

شرح

القصيدة الشمقمقية

لأحمد بن محمد بن محمد بن الونان الحميري الفاسي
المعروف بابن أبي الشمقمق

شرح

محمد بن سعيد ابن طوق المري

شَرْحُ

الْقَصِيدَةِ الشَّمَقْمَقِيَّةِ

لِأَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْوَنَانِ الْحِمَيْرِيِّ الْفَاسِيِّ
الْمَعْرُوفِ بِابْنِ أَبِي الشَّمَقْمَقِ

شرح

محمد بن سعيد ابن طوق المري



نَصُّ الْقَصِيدَةِ الشَّمَقَمَقِيَّةِ

- ١ مَهْلًا عَلَى رِسْلِكَ حَادِي الْأَيْتِقِ
- ٢ فَطَالَ مَا كَلَّفَتْهَا وَسُقَّتْهَا
- ٣ وَلَمْ تَزَلْ تَرْمِي بِهَا يَدُ النَّوَى
- ٤ وَمَا ائْتَلَتْ تَذَرُّعُ كُلِّ فَذْدٍ
- ٥ وَكُلَّ أَبْطَحٍ وَأَجْرِعٍ وَجِرْزٍ
- ٦ مَجَاهِلٌ تَحَارُّ فِيهِ الْقَطَا
- ٧ لَيْسَ بِهَا غَيْرُ السَّوَافِي وَالْحَوَا
- ٨ وَالْمَرْخِ وَالْعَفَارِ وَالْعِضَاهِ وَالـ
- ٩ وَالرَّمْثِ وَالْحُلَّةِ وَالسَّعْدَانِ وَالْثـ
- ١٠ وَعُشْرِ وَنَشْمٍ وَإِسْحِلِ
- ١١ وَالسَّمْعِ وَالْيَعْقُوبِ وَالْقَشَّةِ وَالسـ
- ١٢ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالرُّئَالِ وَالـ
- ١٣ وَلَمْ تَزَلْ تَقْطَعُ جِلْبَابَ الدُّجَى
- ١٤ فَمَا اسْتَرَاخَتْ مِنْ عُبُورِ جَعْفَرٍ
- ١٥ إِلَّا وَفِي خَضْخَاضٍ دَمَعِ عَيْنِهَا
- وَلَا تُكَلِّفْهَا بِمَا لَمْ تُطِقِ
- سَوَقَ فَتَى مِنْ حَالِهَا لَمْ يُشْفِقِ
- بِكُلِّ فَجٍّ وَفَلَاةٍ سَمَلَقِ
- أَذْرُعُهَا وَكُلَّ قَاعٍ فَرِقِ
- عِ وَصَرِيْمَةٍ وَكُلَّ أَبْرِقِ
- لَا دِمْنَةَ لَا رَسْمَ دَارٍ قَدْ بَقِيَ
- صَبِّ الْحَرَاجِيجِ وَكُلِّ زَحْلِقِ
- بَشَامِ وَالْأَثَلِ وَنَبْتِ الْخَرْبِقِ
- ثَغْرِ وَشَرِيٍّ وَسَنَّا وَسَمْسَقِ
- مَعَ ثَمَامٍ وَبَهَارٍ مُونِقِ
- سَيِّدِ السَّبْتَى وَالْقَطَا وَجَوْرِقِ
- هَيْثَمٍ مَعَ عِكْرَمَةٍ وَخِرْنَقِ
- بِجَلَمِ الْيَدِ وَسَيْفِ الْعُنُقِ
- وَمِنْ صُعُودٍ بَصْعِيدٍ زَلَقِ
- خَاضَتْ وَغَابَتْ بِسَرَابٍ مُطْبِقِ

- كَأَنَّمَا رَقَرَأَقُهُ بِحَرٍّ طَمًا ١٦ وَالنُّوْقُ أَمْوَاجٌ عَلَيْهِ تَرْتَقِي
- وَكُلُّ هَوْدَجٍ عَلَى أَقْتَابِهَا ١٧ مِثْلُ سَفِينٍ مَآخِرٍ أَوْ زَوْرَقٍ
- مَرَّتْ بِهَا هَوْجُ الرِّيَّاحِ فَهِيَ فِي ١٨ تَفَرُّقٍ حِينًا وَحِينًا نَلْتَقِي
- وَكَمْ بِسَوَاطِئِ الْبَغْيِ سُقَّتْ سَوْقَهَا ١٩ سَوَاقِ الْمُعْنَفِ الَّذِي لَمْ يَتَّقِ
- حَتَّى غَدَتْ خَوْصًا عَجَافًا ضَمَرًا ٢٠ أَعْنَاقُهَا تَشْكُو طَوِيلَ الْعَنَقِ
- مَرْتُومَةً الْأَيْدِي شَكَتْ فَرَطَ الْوَجَى ٢١ لَكِنَّهَا تَشْكُو لِغَيْرِ مُشْفِقٍ
- قَدْ ذَهَبَتْ مِنْهَا الْمَحَاسِنُ بِإِذٍ ٢٢ مَانَ السُّرَى وَقَلَّةِ التَّرْفُقِ
- كَأَنَّهُا لَمْ تَكُ قَبْلُ انْتُخِبَتْ ٢٣ مِنْ كُلِّ قَرَوَاءٍ رُقُوبٍ فُتِّقِ
- دَوْسَرَةً هَوَجَاءَ وَجَنَامَا بِهَا ٢٤ مِنْ نَقَبٍ وَمِنْ وَجَى وَسَلَقِ
- مِنْ بَعْدِ مَا كَانَتْ هُنَيْدَةً غَدَتْ ٢٥ أَكْثَرَ مَنْ ذُوْدٍ وَدُونَ شَنْقِ
- فَإِنْ تَمَادَيْتَ عَلَى إِتْعَابِهَا ٢٦ وَلَمْ تَكُنْ مُتَّهِيًا عَنْ رَهَقِ
- فَسَوْفَ تَعْرُوكَ عَلَى إِتْلَافِهَا ٢٧ نَدَامَةُ الْكُسْعِيِّ وَالْفَرَزْدَقِ
- وَكَُنْتَ قَدْ عَوَّضْتَ عَنْ أَخْفَافِهَا ٢٨ خُفِّي حُنَيْنٍ ظَافِرًا بِالْأَنْقِ
- لَأَنْتَ أَظْلَمُ مِنْ ابْنِ ظَالِمٍ ٢٩ إِنْ كُنْتَ مِنْ بَعْدِ بِهَا لَمْ تَرْفُقِ
- رَفَقًا بِهَا قَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى ٣٠ وَاتَّسَعَ الْخَرْقُ عَلَى الْمُرْتَقِ
- وَهَبْ لِأَيْدِيهِنَّ أَيْدَا وَلَهَا ٣١ مَتْنًا مَتِينًا مَا خَلَا عَنْ مَضْدَقِ
- فَمَا لِظُعْنٍ حَمَلَتْ مِنْ مِرَّةٍ ٣٢ بَظْعَنِ أَوْدَى بِهَا فِي الْغَسَقِ
- أَسَأْتَ لِلْغَيْدِ وَلِلنُّوْقِ وَلِي ٣٣ إِسَاءَةً بِتَوْبَةٍ لَمْ تُمَحِّقِ
- لَوْ لَمْ يَكُنْ بِحُبِّ حِلْمٍ أَخْنَفِ ٣٤ وَالْمِنْقَرِي قَلْبِي ذَا تَعْلُقِ

- حَمَلْتُ رَأْسَكَ عَلَى شَبَا الْقَنَا ٣٥ مَرَّوَعًا بِهِ حُدَاةَ الْإِنْسِقِ
- فَسُقْ فَلَا نَعِمَ عَوْفُكَ وَلَا ٣٦ أَمِنْ خَوْفِكَ وَلَا تَذَرْنَفِقِ
- وَدَعْ يَسُوقُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَقَدْ ٣٧ دَنَا وَلَوْ جُهَا بِوَعْرِ ضَيِّقِ
- وَلَتَّخِذْنِي رَائِدًا فَإِنِّي ٣٨ ذُو خَبْرَةٍ بِمُبْهَمَاتِ الطَّرِيقِ
- إِنْ غَرِثْتَ عَلَقْتُهَا وَلَوْ بِمَا ٣٩ جَمَعْتُهُ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقِ
- أَوْ صَدِيتْ أَوْ رَدْتُهَا مِنْ أَدْمَعِي ٤٠ نَهَرَ الْأُبْلَّةُ وَنَهَرَ جَلْقِ
- رَفَقًا بِهَا شَفِيعُهَا هَوَادِجُ ٤١ غَدَتْ سَمَاءَ كُلِّ بَذْرِ مُشْرِقِ
- مِنْ كُلِّ غَيْدَاءٍ عَرُوبٍ بَضَّةٍ ٤٢ رُغْبَوْبَةٍ عَيْطَاءَ ذَاتِ رَوْنَقِ
- خَرِيدَةٍ مَمْسُودَةٍ رَقْرَاقَةٍ ٤٣ وَهَنَانَةٍ بِهَنَانَةِ الْمُعْتَنَقِ
- وَقُلْ لِرَبَّاتِ الْهَوَادِجِ انْجَلِي ٤٤ — أَنْمَاتِ فَرْعٍ وَفَرْقِ
- فَإِنِّي أَشْجَعُ مِنْ رَبِيعَةٍ ٤٥ حَامِي الطَّعِينَةِ لَدَى وَقْتِ اللَّقِي
- فَرَبَّمَا يَبْدُو إِذَا بَرَزْنَ لِي ٤٦ رُئِمَ إِلَيْهِ طَارَ بِي تَشَوُّقِي
- لُبْنَى وَمَا أَذْرَاكَ مَا لُبْنَى بِهَا ٤٧ عُرِفْتُ صَبًّا مُغْرَمًا ذَا قَلْقِ
- تَسْبِي بِشْغَرٍ أَشْنَبٍ وَمَرْشَفٍ ٤٨ قَدِ ارْتَوَى مِنْ قَرْقَفٍ مُعْتَقِ
- وَنَاعِمٍ مُهَيَّكَلٍ وَفَاحِمٍ ٤٩ مَرْجَلٍ وَحَاجِبٍ مُرَقَّقِ
- وَعَقِبٍ مُحَجَّجٍ وَمِعْصَمٍ ٥٠ مُسَوَّرٍ وَعُنُقٍ مُطَوَّقِ
- وَمُقَلَّةٍ تَرْمِي بِقَوْسٍ حَاجِبٍ ٥١ لَاحِظَهَا بِسَهْمِهَا الْمُفَوَّقِ
- تَمْنَعُ مَسَّ ثَوْبِهَا لِجِسْمِهَا ٥٢ ثَلَاثَةُ مِثْلِ الْإِثَافِي فِي الرُّقِي
- حُقَّانٍ مِنْ عَاجٍ وَقَعْبُ فِضَّةٍ ٥٣ مِنْ ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ كَالشَّفَقِ

- وَزَادَ مِسْكَ الْخَالِ وَرَدَ خَدَّهَا ٥٤ حُسْنًا وَقَدْ عَمَّ بِطِيبِ عَبِقِ
- وَقَبَّلْتُ أَقْدَامَهَا ذَوَائِبُ ٥٥ سُودٌ كَقَلْبِ الْعَاشِقِ الْمُحْتَرِقِ
- كَمْ أَوْدَعْتُ فِي مُقْلَتِي مِنْ سَهَرٍ ٥٦ وَأَضْرَمْتُ فِي مُهْجَتِي مِنْ حَرِّ
- وَلَا يَزَالُ فِي رِيَاضِ حُسْنِهَا ٥٧ يَسْرَحُ فِكْرِي وَيَجُولُ رَمَقِي
- وَلَا تَسْلُ عَمَّا أَبْتُ مِنْ جَوَى ٥٨ وَمَا تُرِيقُ مِنْ دُمُوعِ حَدَقِي
- يَوْمَ اشْتَكَى كُلُّ بِمَا فِي قَلْبِهِ ٥٩ لِحَبِّهِ بِطَرْفِهِ بِمَا لَقِي
- مَا عُذِرُ مَنْ يَشْكُو الْجَوَى لِمَنْ جَفَا ٦٠ وَهُوَ لِدَمْعِ جَفْنِهِ لَمْ يُرِقْ
- آهَ عَلَى ذِكْرِ لَيْالٍ سَلَفَتْ ٦١ لِي مَعَهَا كَالْبَارِقِ الْمُؤْتَلِقِ
- فِي مَعْهَدٍ كُنَّا بِهِ كَنُخْلَتِي ٦٢ حُلُوانَ فِي وَضَلٍ بِلَا تَفَرُّقِ
- نَلْنَابِهِ مَا نَشْتَهِي مِنْ لَذَّةٍ ٦٣ وَدَعَا فِي ظِلِّ عَيْشٍ دَغْفَقِ
- أَزْمَانَ كَانَ السَّعْدُ لِي مُسَاعِدًا ٦٤ وَمُقْلَةُ الرَّقِيبِ ذَاتُ بَخَقِ
- وَالْيَوْمَ قَدْ صَارَ سَلَامٌ عَزَّةٍ ٦٥ يُقْنِعُ مِنْ لُبْنَى إِذَا مَا نَلْتَقِ
- وَاللَّهُ لَوْ حَلَّتْ دِيَارَ قَوْمِهَا ٦٦ وَاحْتَجَبَتْ عَنِّي بِبَابِ مُغْلَقِ
- لَزُرْتُهَا وَاللَّيْلُ جَوْنٌ حَالِكٌ ٦٧ وَجَفْنُهَا لَمْ يَكْتَحِلْ بِأَرْقِ
- مَعِيَ ثَلَاثَةً تَقِي صَاحِبَهَا ٦٨ مَا لَمْ تَكُنْ نُونُ الْوَقَايَةِ تَقِي
- سَيْفٌ كَصَمْصَامَةٍ عَمُرٍ وَبَاتِرٍ ٦٩ لَا يُتَّقَى بِيَلَبٍ وَدَرَقِ
- وَبَيْنَ جَنْبَيَّ فَوَادُ ابْنِ أَبِي ٧٠ صُفْرَةَ قَاطِعِ قَرَا ابْنِ الْأَزْرَقِ
- وَفَرَسٌ كَلَّاحِقٍ وَدَاحِسٍ ٧١ يَوْمَ الرَّهَانِ شَأْوُهُ لَمْ يُلْحَقِ
- تَقْدَحُ نِيرَانَ الْحُبَّاحِبِ حَوَا ٧٢ فِرُّهُ عِنْدَ خَبَبٍ وَطَلَقِ

- ٧٣ كَالرَّيْحِ فِي هُبُوبِهِ وَالسَّمْعِ فِي
وُثُوبِهِ وَكَالْمَهَا فِي فَشَقِ
- ٧٤ بِهِ أَجْوَسُ فِي خِلَالِ دُورِهَا
وَأَثْنِي كَالْبَارِقِ الْمُؤَنَلِقِ
- ٧٥ فَإِنْ تَكُ الزَّبَا دَخَلْتُ قَصْرَهَا
وَكَقَصِيرٍ سُقْتُهَا لِلنَّفَقِ
- ٧٦ وَمَنْ حَمَاهَا كَكَلِيبٍ فَلَهُ
جَسَّاسُ رُمَحٍ رَاصِدٍ بِالطَّرْقِ
- ٧٧ لَا بُدَّ لِي مِنْهَا وَلَوْ تَحَصَّنَتْ
بِالْأَبْلَقِ الْفَرْدِ وَبِالْخَوَزَنَقِ
- ٧٨ لَا بُدَّ لِي مِنْهَا وَإِنْ عَثَرْتُ فِي
ذَيْلِ الْحَسَامِ وَالسَّنَنِ الْأَزْرَقِ
- ٧٩ فَإِنْ ظَفَرْتُ بِالْمُنَى مِنْ قُرْبِهَا
بَالِغَتْ فِي صَيَانَةِ الْعِرْضِ النَّقِيِّ
- ٨٠ وَإِنْ بَقِيتُ مِثْلَ مَا كُنْتُ فَلَا
زِلْتُ بَغِيضَ مَضْجَعِي وَنَمْرُقِي
- ٨١ أَشْنُ كُلِّ غَارَةٍ شَعُوعَا عَلَى
مَنْ يَحْمِيهَا فِي مِقْنَبٍ وَفَيْلَقِ
- ٨٢ وَفِي خَمِيسٍ مِنْ خِيَارِ يَغْرُبِ
ذَوِي رِمَاحٍ وَخِيُولٍ سُبُقِ
- ٨٣ مِنْ أَسْرَتِي بَنِي مُلُوكٍ فَهُمْ
أَطْوَعُ لِي مِنْ سَاعِدِي وَمَرْفَقِي
- ٨٤ سَلِ ابْنَ خَلْدُونَ عَلَيْنَا فَلَنَا
بِئَمْنٍ مَآثِرٌ لَمْ تُمَحَقِ
- ٨٥ وَسَلِ سُلَيْمَانَ الْكَلَاعِي كَمْ لَنَا
مِنْ خَبَرٍ بِخَيْرٍ وَالْخُنْدَقِ
- ٨٦ وَيَوْمَ بَذَرٍ وَخُنَيْنٍ وَتَبُو
كَ وَالسَّوِيْقِ وَبَنِي الْمُضْطَلَقِ
- ٨٧ بِهِمْ فَخَرْتُ ثُمَّ زِدْتُ مَفْخَرًا
بِأَدْبِي الْغَضِّ وَحُسْنِ مَنْطِقِي
- ٨٨ وَزَانَ عِلْمِي أَدْبِي فَلَنْ تَرَى
مَنْ شِعْرُهُ كَشِعْرِي الْمُنَمَّقِ
- ٨٩ فَإِنْ مَدَحْتُ فَمَدِيحِي يُشْتَفَى
بِهِ كَمِثْلِ الْعَسَلِ الْمُرَوَّقِ
- ٩٠ وَإِنْ هَجَوْتُ فَهَجَائِي كَالشَّجَا
يَقِفُ فِي الْحَلَقِ وَمِثْلُ الشَّرْقِ
- ٩١ فَإِنْ يَكُ الشَّعْرُ عَصَا غَيْرِي فَقَدْ
أَطَاعَنِي فِي عَيْهَقٍ وَحَنَقِ

- وَأِنْ يَكُنْ سَيْفًا مُحَلَّى فَلَقَدْ ٩٢ أَبْلَى نَجَادَهُ عَنَاقُ عُنُقِي
- وَأِنْ يَكُنْ بُرْدًا فَقَدْ صِرْتُ بِهِ ٩٣ مُعْتَجِرًا دُونَ جَمِيعِ السُّوقِ
- وَأِنْ يَكُنْ تَاجًا فَقَدْ زَادَ سَنَا ٩٤ جَوْهَرُهُ مُذْ حَلَّ فَوْقَ مَفْرِقِي
- وَأِنْ يَكُنْ حَدِيقَةً فَطَالَ مَا ٩٥ نَزَّهْتُ فِيهَا خَاطِرِي وَحَدَقِي
- وَأِنْ يَكُنْ بَحْرًا فَقَدْ غُصْتُ عَلَى ٩٦ جَوْهَرِهِ وَكُنْتُ نَعَمَ الْمُتَقِي
- وَهَلْ أَنَا إِلَّا ابْنُ وَنَّانِ الَّذِي ٩٧ قَرَّبَهُ كَمْ مِنْ أَمِيرٍ مُرْتَقٍ
- أَحَقُّ مَنْ حُلِّيَ بِالْأُسْتَاذِ وَالشَّ ٩٨ شَيْخِ الْفَقِيهِ الْعَالِمِ الْمُحَقِّقِ
- وَبِالْمُحَادِّثِ الشَّهِيرِ وَالْأَدِيبِ ٩٩ سَبِّ وَالْمُجِيدِ وَالْبَلِيغِ الْمُفْلِقِ
- وَأَعْلَمُ النَّاسِ بِدُونِ مَرِيَّةٍ ١٠٠ سَيَّانٍ مَنْ بِمَغْرِبٍ وَمَشْرِقِ
- بِالشُّعْرِ وَالتَّارِيخِ وَالْأَمْثَالِ وَالِ ١٠١ أَنْسَابِ وَالْآثَارِ سَلَّ تُصَدِّقِ
- فَبَشِّرْ ذَلِكَ الْحُسُودَ أَنََّّهُ ١٠٢ يَظْفَرُ فِي بَحْرِ الْهَجَا بِالْغَرَقِ
- وَقُلْ لَهُ إِذَا اشْتَكَى مِنْ دَنَسٍ ١٠٣ أَنْتَ الَّذِي سَلَكَتَ نَهْجَ الزَّلَقِ
- وَفُقْتُ فِي الْجُرْأَةِ خَاصِي أَسَدٍ ١٠٤ فَمُتْ بِغَيْظِكَ وَبِالرَّيْقِ اشْرِقِ
- وَمَا الَّذِي دَعَاكَ يَا خَبُّ إِلَى ١٠٥ ذَا الْأَفْعُوانِ ذِي اللِّسَانِ الْفَرَقِ
- نَطَقْتَ بِالزُّورِ أَمَا كُنْتَ تَعِي ١٠٦ أَنَّ الْبَلَا مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ
- وَلَمْ تَخَفْ مِنْ شَاعِرٍ مَهْمَا انْتَضَى ١٠٧ سَيْفَ الْهَجَا فَرَى حِبَالَ الْعُنُقِ
- فَلْتَقِ نَفْسَكَ بِكَفَيْكَ وَلَا ١٠٨ تَسْمُ فَصِيحَ النَّطِقِ بِالتَّشْدُقِ
- فَذَلِكَ خَيْرٌ لَكَ وَاسْتَمِعْ إِلَى ١٠٩ نَصْحِ الْحَكِيمِ الْمَاهِرِ الْمُحَقِّقِ
- فَكُنْ مُهَذَّبَ الطَّبَاعِ حَافِظًا ١١٠ لِحِكْمِهِمْ وَأَدَبٍ مُفْتَرِّقِ

- وَعَاشِرِ النَّاسِ بِحُسْنِ خُلُقٍ ١١١ تُحَمِّدُ عَلَيْهِ زَمَنَ التَّفَرُّقِ
وَلَا تُصَاحِبُ مَنْ يَرَى لِنَفْسِهِ ١١٢ فَضْلًا بِلاَ فَضْلٍ وَغَيْرَ الْمُتَّقِي
وَكُلُّ مَنْ لَيْسَ لَهُ عَلَيْكَ مِنْ ١١٣ فَضْلٍ فَلَا تُطْمِعْهُ بِالتَّمَلُّقِ
وَفَوْقَ سَهْمِ النُّمَيْرِيِّ لِمَنْ ١١٤ لَطَرُقِ الْعَلِيَاءِ لَمْ يُوقِّقِ
وَأَفْعَلُ بِمَنْ تَرْتَابُ مِنْهُ مِثْلَ فَعْدِ ١١٥ لِ الْمُتَلَمَّسِ اللَّيْبِ الْحَذَقِ
أَلْقَى الصَّحِيفَةَ بِنَهْرٍ حَيْرَةٍ ١١٦ وَقَالَ يَا ابْنَ هِنْدٍ ارْعُدْ وَابْرُقِ
وَلَا تَعِدْ بِوَعْدِ عُرْقُوبٍ أَخَا ١١٧ وَفِيهِ وَفَا سَمَوَالٍ بِالْأَبْلَقِ
شَحَّ بِأَذْرَعِ امْرِئِ الْقَيْسِ وَقَدْ ١١٨ تَرَكَ نَجْلَهُ غَسِيلَ الْعَلَقِ
وَمِثْلَ جَارٍ لِأَبِي دُوَادَ لَا ١١٩ تَطْمَعُ بِهِ إِنْ لَمْ تَكُنْ بِالْأَحْمَقِ
وَاحْمَدُ جَلِيسًا لَا تَخَافُ شَرَّهُ ١٢٠ وَكَابِنِ شُورٍ لَنْ تَرَى مِنْ مُطْرِقِ
وَنَمْ كَنُومِ الْفَهْدِ أَوْ عَبُودَ عَنْ ١٢١ عَيْبِ الْوَرَى وَالظَّنَّ لَا تُحَقِّقِ
وَلَتُكَ أَبْصَرَ مِنَ الْهُدْهِدِ وَالزُّ ١٢٢ زَرْقًا بِعَيْبِ نَفْسِكَ الْمُحَقِّقِ
وَكُنْ كَمِثْلٍ وَاسْطِيَّ غَفْلَةً ١٢٣ عَنْ شَتْمِ ضَارِعٍ وَعَتَبِ سُقُقِ
وَاعْدُ عَلَى رِجْلَيْ سُلَيْكِ هَارِبًا ١٢٤ مِنْ قُرْبِ كُلِّ خُبْنِقٍ وَسَهْوَقِ
وَكُنْ نَدِيمَ الْفَرَقْدَيْنِ تَنْجُ مِنْ ١٢٥ مُنْغَصٍّ وَمِنْ طُرُوءِ الرَّنَقِ
وَكُنْ كَعَقْرَبٍ وَضَبٍّ مَعَ مَنْ ١٢٦ عَلَيْكَ قَلْبُهُ امْتَلَا بِالْحَنْقِ
ثُمَّتَ لَا تَعْجَلْ وَكُنْ أَبْطَأَ مِنْ ١٢٧ غُرَابِ نُوحٍ أَوْ كَفْنِدِ الْمَوْسِقِي
مَضَى لِنَارِ طَالِبَا وَبَعْدَ عَا ١٢٨ مِ جَابِهَا يَسُبُّ فَرَطَ الْقَلَقِ
وَحُذِّ بِشَارِكَ وَكُنْ كَمَنْ أَتَى ١٢٩ بِالْجَيْشِ خَلْفَ شَجَرٍ ذِي وَرَقِ

- وَأَنْتَهَزِ الْفُرْصَةَ مِثْلَ بَيْهَسٍ ١٣٠ وَبِالْمُدَى لَحْمَ الْعُدَاةِ شَرِّقِ
- وَكَا بِنِ قَيْسٍ بِهِمْ كُنْ مُوَلِّمًا ١٣١ وَلَيْمَةً شَهِيرَةً كَالْفَلَقِ
- يَوْمَ مَلَائِكِهِ بِأُمِّ فَرْوَةٍ ١٣٢ عَرَقَبَ كُلَّ ذَاتِ أَرْبَعٍ لَقِي
- وَلَا تَدْعُ وَإِنْ قَدَرْتَ حِيلَةً ١٣٣ فَهِيَ أَجَلُ عَسْكَرٍ مُدْهِدِ
- إِنْ كَانَ فِي سَفْكِ دَمِ الْعِدَا الشِّفَا ١٣٤ سَفْكَ دَمِ الْبَرِيِّ غَيْرُ أَلِيَقِ
- وَلَا تَحَارِبْ سَاقِطَ الْقَدْرِ فَكَمْ ١٣٥ مِنْ شَهَةٍ قَدْ غَلَبَتْ بِيَذَقِ
- وَكَمْ حُبَارَى أَمَّهَا صَقْرٌ فَلَمْ ١٣٦ يَظْفَرْ بِغَيْرِ حَتْفِهِ بِالذَّرَقِ
- وَكَمْ عُيُونٍ لِأَسْوَدٍ دَمِيَتْ ١٣٧ بِالْعَضِّ مِنْ بَعُوضِهَا الْمُلتَصِقِ
- وَالْخُلْدُ قَدْ مَزَّقَ أَقْوَامَ سَبَا ١٣٨ وَهَدَّ سَدًّا مُحْكَمَ التَّائِقِ
- وَلَا تُنْقِضْ أَحَدًا فَكُنَّا ١٣٩ مِنْ رَجُلٍ وَأَضْلَنَّا مِنْ عَلَقِ
- لَا تُلْزِمِ الْمَرْءَ عُيُوبَ أَضْلِهِ ١٤٠ فَالْمِسْكُ أَضْلُهُ دَمٌ فِي الْعُنُقِ
- وَالْخَمْرُ مَهْمَا طَهَّرَتْ فَبَيْنَهَا ١٤١ وَبَيْنَ أَضْلِهَا بِحُكْمٍ فَرَّقِ
- وَلَا تُؤَيِّسْ طَامِعًا فِي رُتْبَةٍ ١٤٢ لِنِيلِهَا نَظِيرُهُ لَمْ يَرْتَقِ
- فَالزَّرْدُ يَوْمَ الْغَارِ لَمْ يَثْبُتْ لَهُ ١٤٣ فَضْلٌ وَكَانَ الْفَضْلُ لِلْخَدَرَنْقِ
- وَقَوْسُ حَاجِبٍ بَرَهْنَهَا لَدَى ١٤٤ كِسْرَى اطمأنَّ قَلْبُهُ بِمَا لَقِي
- لَا تَغْشَ دَارَ الظُّلْمِ وَاعْلَمْ أَنَّهَا ١٤٥ أَخْرَبُ مِنْ جَوْفِ حِمَارٍ خَلَقِ
- وَلَا تَبِعْ عِرْضَكَ بَيْعَةَ أَبِي ١٤٦ غَبْشَانَ بَيْعِ الْغَبْنِ وَالتَّبْلُصُقِ
- بَاعَ السَّدَانَةَ قُصَايَا أَخَذَا ١٤٧ عِوَضَهَا نَحِيًّا مِنْ أُمِّ زَنْبُقِ
- وَلَا تَكُنْ كَأَشْعَبٍ فَرَبَّمَا ١٤٨ تَلَحَّقُ يَوْمًا وَافِدَ الْمُحَرَّقِ

- وَلَا تَكُنْ كَوَاوِ عَمْرٍو زَائِدًا ١٤٩ فِي الْقَوْمِ أَوْ كَمَثَلِ نُونٍ مُلْحَقِ
- وَاعْضُلْ كَهَمَّامٍ بَنَاتِ فِكْرَةٍ ١٥٠ ضِنًّا بِهَا عَنْ غَيْرِ فَحْلِ مُعْرِقِ
- كَيْ لَا تَقُولَ بِلِسَانِ حَالِهَا ١٥١ مَقَالَ هِنْدَ أَلِقِ مَنْ لَمْ يَلِقِ
- وَسَلْ مُهُورَ كِنْدَةٍ إِنْ تُهْدِهَا ١٥٢ لِذِي نَدَى كَالْبَحْرِ فِي تَدَقِّقِ
- لَا تَنْسَ مِنْ دُنْيَاكَ حَظًّا وَإِلَى ١٥٣ كَالطَّالِقَانِي وَالْخَصِيبِ انْطَلِقِ
- لَا تَهْجُ مَنْ لَمْ يُعْطِ وَاهْجُ مَنْ أَتَى ١٥٤ إِلَى السَّرَابِ بِالْذَّلَاءِ يَسْتَقِي
- وَعُدْ لِمَا عُوذْتَ مِنْ بَذْلِ اللَّهِهَا ١٥٥ فَالْعَوْدُ أَحْمَدُ لِكُلِّ مُمْلِقِ
- وَلَا تُعْذِلْ حَرْبٍ مَنْ مَنْ وَلَوْ ١٥٦ مَنْ فَمَا غَلَّ يَدًا كَمُطْلِقِ
- وَالْعَوْدُ يُخْتَارُ عَلَى مَنْ كَانَ كَالِ ١٥٧ مُخْتَارٍ أَوْ مَنْ كَانَ ذَا تَزْنَدُقِ
- وَالصَّمْتُ حِصْنٌ لِلْفَتَى مِنَ الرَّدَى ١٥٨ وَقَلَّ مَنْ شَرَّ لِسَانِهِ وَقِي
- وَإِنْ وَجَدْتَ لِلْكَلامِ مَوْضِعًا ١٥٩ فَكُنْ عَرَارًا فِيهِ أَوْ كَالْأَشْدَقِ
- لَا تَكْتُمِ الْحَقَّ وَقُلْهُ مُعَلَّنًا ١٦٠ فَهُوَ جَمَالُ صَوْتِكَ الصَّهْصَلِقِ
- وَصِخْ بِهِ مِثْلَ شَيْبٍ وَأَبِي ١٦١ عُروَةَ وَالْعَبَّاسِ عِنْدَ الزَّعَقِ
- لَا تَنْسَ مَا أَوْصَى بِهِ الْبَكْرِي أَخَا ١٦٢ فَهُوَ سَدَادٌ فِيهِ الشُّوءُ أَتَقِ
- لَا تَأْمَنِ الدَّهْرَ فَإِنَّ خُطْبَهُ ١٦٣ أَرْشَقُ نَبَلًا مِنْ رُمَاءِ الْحَدَقِ
- لَا تَرْجُونَ صَفْوًا بَغَيْرِ كَدَرٍ ١٦٤ فَذَا لَعَمْرُ اللَّهِ لَمْ يَتَّفِقِ
- لَا تَبْخُلَنَّ بِرَدِّ مَا اسْتَعَرْتَهُ ١٦٥ كَضَائِبِي فَالْبُخْلُ شَرُّ مُوْبِقِ
- شَحَّ بِرَدِّ كُلِّ صَيْدٍ وَهَجَا ١٦٦ أَرْبَابَهُ ظُلْمًا فَلَمْ يُصَدَّقِ
- وَمَاتَ فِي سِجْنِ ابْنِ عَفَّانَ كَمَا ١٦٧ قَضَى إِلَهُ مِيتَةِ الْمُحْزَرِّقِ

- وَنَجْلُهُ مِنْ أَجْلِهِ أَجْلُهُ ١٦٨ مِنْ سَطْوَةِ الْحَجَّاجِ لَمْ يَكُنْ وُقِي
- وَاسْتُرَ عَنِ الْحُسَّادِ كُلِّ نِعْمَةٍ ١٦٩ كَمْ فَاضِلٍ بِكَأْسٍ مَكْرِهِمْ سُقِي
- فَصَاعِدٌ عَلَى مَدِيحٍ وَرَدَةٍ ١٧٠ أَصْبَحَ مُنْحَطًّا بِقَوْلِ سَهْوَقٍ
- وَأَفْخَرُ كَفْخَرٍ خَالِدٍ بِالْعِيرِ وَالنَّ ١٧١ نَفِيرٍ لَا بِحُلَّةٍ مِنْ سَرَقٍ
- وَاتَّخَذَ الصَّبْرُ دِلَاصًا سَابِغًا ١٧٢ وَبِمَجْنٍ عَمَرٍ لَا تَتَّقِ
- وَإِنْ حَمَلْتَ رَايَةَ الْأَمْرِ فَكُنْ ١٧٣ كَجَعْفَرٍ أَوْ دَغٍ وَلَا تَسْتَبِقِ
- قَدْ قُطِعَتْ يَدَاهُ يَوْمَ مُؤْتَةٍ ١٧٤ وَلَمْ يَدْعُهَا لِكَمِيٍّ سَوْحِقِ
- لَكِنَّهُ اخْتَضَّهَا حُبًّا لَهَا ١٧٥ فَيَالَهُ مِنْ سَيِّدٍ مُوَفَّقِ
- وَكَُنْ إِذَا اسْتُنْجِدْتَ مِثْلَ مَنْ غَزَا ١٧٦ أَرْضَ الْعِدَا بِكُلِّ طَرْفٍ أَبْلَقِ
- وَسُمِّ عَدُوُّ الدِّينِ بِالْخَسْفِ وَكُنْ ١٧٧ مِثْلَ أَبِي يُوسُفَ ذِي التَّخْبُقِ
- رَدَّ كِتَابَ مَنْ دَعَاهُ لِلْوَعَى ١٧٨ مِنْهُمْ مُمَزَّقًا لِفَرْطِ الْحَنَقِ
- وَقَالَ إِنِّي لَا أُجِيبُ بِسَوَى ١٧٩ جَيْشٍ عَرْمَرَمٍ وَخَيْلٍ دُلُقِ
- وَضَرَبَ الْفُسْطَاطَ فِي الْحَيْنِ وَقَدْ ١٨٠ أَحَاطَ جَيْشُهُ بِهِمْ كَالشَّوْذَقِ
- وَكَانَ مَا قَدْ أَبْصَرُوا مِنْ بَأْسِهِ ١٨١ أَبْلَغَ مِنْ جَوَابِهِ الْمُشْبَرِقِ
- يَا صَاحٍ وَاشْغَلْ فُسْحَةَ الْعُمْرِ بِمَا ١٨٢ يَغْنِي وَزُرْ غِبًّا رُسُومَ الْعَيْهَقِ
- وَأَبْكَ عَلَى ذَنْبٍ وَقَلْبٍ قَدْ قَسَا ١٨٣ كَالصَّخْرِ مِنْ هَوَاهُ لَمْ يَسْتَفِقِ
- بِمُقْلَةٍ كَمُقْلَةِ الْخَنْسَاءِ إِذْ ١٨٤ بَكَتْ عَلَى صَخْرٍ بَلَا تَرْفُقِ
- أَوْ كَبُكَاءَ فَارَعَةٍ عَلَى الْوَلِيِّ ١٨٥ سِدِّ وَبُكَاءِ خَنْدِفٍ وَخِرْنَقِ
- وَكَُنْ مُتَمِّمًا بِكَامُتَمِّ ١٨٦ عَلَى الذُّنُوبِ وَارْجُ عَفْوَ مُعْتِقِ

- وَكُنْ خَمِيصَ الْبَطْنِ مِنْ زَادِ الرَّبَا ١٨٧ وَخَمْرَةَ التَّقْوَى اضْطَبِّحْ وَاعْتَبِقِ
- وَحَصِّلِ الْعِلْمَ وَزِنَهُ بِالتَّقَى ١٨٨ وَسَائِرِ الْأَوْقَاتِ فِيهِ اسْتَغْرِقِ
- وَلَيْكَ قَلْبُكَ لَهُ أَفْرَغْ مِنْ ١٨٩ حَجَّامِ سَابَاطٍ وَمَنْ لَمْ يَعْشَقِ
- وَلَا تَكُنْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى وَاضْطَبِّرْ ١٩٠ لِكَدِّهِ وَلِلْمَلَالِ طَلِّقِ
- وُخِّصْ عِلْمَ الْفَقْهِ بِالدَّرْسِ وَكُنْ ١٩١ كَاللَّيْثِ أَوْ كَأَشْهَبِ الْعُتْقِي
- وَفِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ إِنْ لَمْ تَكُنْ ١٩٢ مِثْلَ الْبُخَارِيِّ فَكُنْ كَالْبَيْهَقِيِّ
- فَالْعِلْمُ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَى لَهُ ١٩٣ فَضْلٌ فَبَشِّرْ حِزْبَهُ شَرًّا وَوَقِي
- وَاعْنِ بِقَوْلِ الشُّعْرِ فَالشُّعْرُ كَمَا ١٩٤ لُ لِلْفَتَى إِنْ بِهِ لَمْ يَرْتَزِقِ
- وَالشُّعْرُ لِلْمَجْدِ نَجَادُ سَيْفِهِ ١٩٥ وَلِلْعُلَا كَالْعِقْدِ فَوْقَ الْعُنُقِ
- فَقُلْهُ غَيْرَ مُكْثَرٍ مِنْهُ وَلَا ١٩٦ تَعْبَأُ بِقَوْلِ جَاهِلٍ أَوْ أَحْمَقِ
- وَإِنْ تَكُنْ مِنْهُ عَقِيمَ فِكْرَةٍ ١٩٧ فَاعْنِ بِجَمْعِ شَمْلِهِ الْمُفْتَرِقِ
- مَا عَابَهُ إِلَّا عَيْيٌ مُفْحَمٌ ١٩٨ لِعَرْفِهِ الذِّكْيِ لَمْ يَسْتَنْشِقِ
- كَمْ حَاجَةٌ يَسَّرَهَا وَكَمْ قَضَى ١٩٩ بِفِكَ عَانٍ وَأَسِيرٍ مُوثِقِ
- وَكَمْ أَدِيبٍ عَادَ كَالنَّطْفِ غَنَى ٢٠٠ وَكَانَ أَفْقَرَ مِنَ الْمُدْلَقِ
- وَكَمْ حَدِيثٍ جَاءَنَا بِفَضْلِهِ ٢٠١ عَنْ سَيِّدِ عَنِ الْهَوَى لَمْ يَنْطِقِ
- وَقَدْ تَمَثَّلَ بِهِ وَكَانَ مِنْ ٢٠٢ أَصْحَابِهِ يَسْمَعُهُ فِي الْحَلَقِ
- وَقَدْ بَنَى الْمُنْبَرِ لِابْنِ ثَابِتٍ ٢٠٣ فَكَانَ لِلْإِنْشَادِ فِيهِ يَرْتَقِي
- وَقَالَ لِابْنِ أَهْتَمٍ فِي مَدْحِهِ ٢٠٤ وَذَمِّهِ لِلزُّبَيْرِ قَانَ الْأَسْمَقِ
- مَقَالَهَ خَتَمَهَا بِقَوْلِهِ ٢٠٥ إِنَّ مِنْ الشُّعْرِ لِحِكْمَةً تَقِي

- وَعِنْدَمَا سَمِعَ مِنْ قَتِيلَةٍ ٢٠٦ رثا قَتِيلَهَا الَّذِي لَمْ يُعْتَقِ
- رَدَّ لَهَا سَالِبَهُ وَقَدْ بَكَى ٢٠٧ شَفَقَةً بِدَمْعِهِ الْمُنْطَلِقِ
- وَقَدْ حَبَا كَعْبًا غَدَاةَ مَدْحِهِ ٢٠٨ بِبُرْدَةٍ وَمِئَةٍ مِنْ أَيْتِقِ
- وَبَشَّرَ الْجَعْدِيَّ وَابْنَ ثَابِتٍ ٢٠٩ بِجَنَّةٍ جَزَاءَ شِعْرِ عُسْنُقِ
- كَمْ خَامِلٍ سَمَّا بِهِ إِلَى الْعُلَا ٢١٠ بَيْتٌ مَدِيحٍ مِنْ بَلِيغٍ ذَلِقِ
- مِثْلُ بَنِي الْأَنْفِ وَمِثْلُ هَرِمٍ ٢١١ وَكَالَّذِي يُعْرِفُ بِالْمُحَلَّقِ
- وَكَمْ وَكَمْ حَطَّ الْهَجَا مِنْ مَاجِدٍ ٢١٢ ذِي رُتْبَةٍ قَعَسَا وَقَدَّرِ سَمِيقِ
- مِثْلُ الرَّبِيعِ وَبَنِي الْعَجَلَانِ مَعَ ٢١٣ بَنِي نُمَيْرٍ جَمَرَاتِ الْحَرَقِ
- لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلشُّعْرِ عِنْدَ مَنْ مَضَى ٢١٤ فَضْلٌ عَلَى الْكَعْبَةِ لَمْ يُعَلَّقِ
- لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ بَيَانُ آيَةٍ ٢١٥ مَا فَسَّرَتْ مَسَائِلُ ابْنِ الْأَزْرَقِ
- مَا هُوَ إِلَّا كَالْكِتَابَةِ وَمَا ٢١٦ فَضْلُهُمَا إِلَّا كَشَمْسِ الْأُفُقِ
- وَإِنَّمَا نُزَّهَ عَنْهُمَا النَّبِي ٢١٧ لِيُذْرَكَ الْإِعْجَازُ بِالتَّحْقِيقِ
- فَهُمْ بِهِ فَإِنَّهُ لَا شَكَّ عَنْهُ ٢١٨ وَانُ الْحِجَا وَالْفَضْلِ وَالتَّحْدِثِ
- وَهُوَ إِكْسِيرٌ وَتَذْبِيرٌ لِمَنْ ٢١٩ رَامَ اضْطِيَادَ وَرَقٍ بِوَرَقِ
- مِنْ غَيْرِ تَقْطِيرٍ وَتَضْعِيدٍ وَتَكْ ٢٢٠ لَيْسَ وَتَرْطِيبٍ وَقَتْلٍ زُبُّقِ
- وَكُنْ لَهُ رَاوِيَةً كَالْأَضْمَعِي ٢٢١ وَالْجَهْلُ أَوْلَى بِالَّذِي لَمْ يَضْدُقِ
- وَلَكَ فِيمَنْ كَانَ مِثْلَ الْأُمُوِي ٢٢٢ فِي أُسُوءَةٍ بِهَا اقْتَدَى كُلُّ تَقِي
- هَذَا هُوَ الْمَجْدُ الْأَصِيلُ فَاتَّبِعْ ٢٢٣ سَبِيلَهُ عَلَى الْجَمِيعِ تَرْتَقِي
- وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ شَاعِرًا ٢٢٤ فَحَلَّا فَكُنْ مِثْلَ أَبِي الشَّمَقَمَقِ

- مَا خِلْتُ فِي الْعَصْرِ لَهُ مِنْ مَثَلٍ ٢٢٥ سَوَى أَبِي فِي مَغْرِبٍ وَمَشْرِقٍ
- لِذَاكَ كَنَاهُ بِهِ سَيِّدَنَا السَّ ٢٢٦ سُلْطَانُ عِزِّ الدِّينِ تَاجُ الْمَفْرِقِ
- مُحَمَّدٌ سَبْطُ الرَّسُولِ خَيْرُ مَنْ ٢٢٧ سَادَ بِحُسْنِ خَلْقِهِ وَالْخُلُقِ
- أَعْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَنَ أَمِيرَ ٢٢٨ رِ الْمُؤْمِنِينَ بَنَ الْأَمِيرِ الْمُتَّقِي
- خَيْرُ مُلُوكِ الْغَرْبِ مِنْ أَسْرَتِهِ ٢٢٩ وَغَيْرِهِمْ عَلَى الْعُمُومِ الْمُطْلَقِ
- وَدُوحَةُ الْمَجْدِ الَّتِي أَغْصَانُهَا ٢٣٠ بِهَا الْأَرَامِلُ ذُوو تَعَلُّقِ
- لَهُ مُحْيَا ضَاءٍ فِي أَوْجِ الدُّجَى ٢٣١ سَنَاهُ مِثْلُ الْقَمَرِ الْمُتَّسِقِ
- وَرَاخَةُ تَغَارٍ مِنْ سُيُولِهَا ٢٣٢ سُيُولُ وَدْقٍ وَرُكَّامٍ مُطْبِقِ
- فَاقَ الرَّشِيدَ وَابْنَهُ بِحِلْمِهِ ٢٣٣ وَعِلْمِهِ وَرَأْيِهِ الْمُؤَفَّقِ
- وَسَادَ كَعْبًا وَابْنَ سُعْدَى وَابْنَ جُدٍ ٢٣٤ عَانَ وَحَاتِمًا بِبَذْلِ الْوَرِقِ
- وَلَمْ يَدْعُ مَعْنَى لِمَعْنٍ فِي النَّدَى ٢٣٥ وَلَمْ يَكُنْ كَمِثْلِهِ فِي الْخُلُقِ
- مُنْذُ كَانَ طِفْلًا وَالسَّمَاحُ دَائِبُهُ ٢٣٦ وَغَيْرَ مَا خَذَ الشَّالَمُ يَعْشَقِ
- نَشَأَ فِي حَجَرِ الْخِلَافَةِ وَقَدْ ٢٣٧ شَبَّ فَتًى بِغَيْرِهَا لَمْ يَعْلَقِ
- فَبَايَعْتَهُ النَّاسُ طُرًّا دَفْعَةً ٢٣٨ لَمْ يَكُ فِيهَا أَحَدٌ بِالْأَسْبَقِ
- وَأُعْطِيَتْ قَوْسُ الْعُلَامَنُ قَدْ بَرَى ٢٣٩ أَعْوَادَهَا رِعَايَةً لِلْأَلْيَقِ
- فَصَارَ فِيءُ الْعَدْلِ فِي زَمَانِهِ ٢٤٠ مُنْتَشِرًا مِثْلَ انْتِشَارِ الشَّرِقِ
- وَشَادَ رُكْنَ الدِّينِ بِالسَّيْفِ وَقَدْ ٢٤١ حَازَ بِتَقْوَاهُ رِضَى الْمُؤَفَّقِ
- وَقَدْ رَقَى فِي مُلْكِهِ مَعَارِجًا ٢٤٢ لَمْ يَكُ غَيْرُهُ إِلَيْهَا يَرْتَقِي
- وَرَدَّ أَرْوَاحَ الْمَكَارِمِ إِلَى ٢٤٣ أَجْسَادِهَا بَعْدَ ذَهَابِ الرَّمَقِ

- وَالسَّعْدُ قَدْ أَلْقَى عَصَا تَسْيَارِهِ ٢٤٤ بِقَصْرِهِ وَخَصَّصَهُ بِمَعَشَقِ
- يَا مَلِكًا أَلْوِيَّةُ النَّصْرِ عَلَى ٢٤٥ نَظِيرِهِ فِي غَرْبِنَا لَمْ تَخْفِقِ
- طَابَ الْمَدِيحُ فِيكُمْ وَازْدَانِ لِي ٢٤٦ وَجَاشَ صَدْرِي بِالْفَرِيدِ الْمُونِقِ
- لَوْلَاكَ كُنْتُ لِلْقَرِيضِ تَارِكًا ٢٤٧ لَعَدَمَ الْبَاعِثِ وَالْمُشَوِّقِ
- تَرَكَ الْغَزَالَ ظِلَّهُ وَوَاصِلِ ٢٤٨ لِلرَّاءِ وَابْنِ تَوْلَبٍ لِلْمَلَقِ
- وَكُنْتُ فِي تَرْكِي لَهُ كَابِنِ أَبِي ٢٤٩ رَبِيعَةَ النَّاذِرِ عَثَقَ الْهُنُّنِقِ
- وَمُذْ بِكَ الرَّحْمَنُ مَنْ لَمْ يَزَلْ ٢٥٠ فَكُرِّي فِي بَحْرِ الشَّنَا ذَا غَرَقِ
- لَا زِلْتُ بَذْرًا فِي بُرُوجِ الشَّعْرِ تَنْ ٢٥١ سَخُ بُنُورِكَ ظَلَامَ الْغَسَقِ
- وَلَا بَرَحْتَ بِالْأَمَانِي ظَافِرًا ٢٥٢ وَمُذْ رَكَا لِمَا تَشَامِنُ أَنْقِ
- بِسُورَةِ الْفَتْحِ وَطَهَ وَالضُّحَى ٢٥٣ وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ وَآيِ الْفَلَقِ
- إِلَيْكَهَا أَرْجُوزَةٌ حُسَّانَةٌ ٢٥٤ لِمِثْلَهَا ذُو أَدَبٍ لَمْ يَسْبِقِ
- كَانَتْهَا أَسْلَاكُ دُرٍّ وَيَوَا ٢٥٥ قِيْتُ تُضَيِّ كَالْبَارِقِ الْمُؤْتَلِقِ
- أَعَزُّ مَنْ بَيَضَ الْأَنْوَقِ وَمِنْ الـ ٢٥٦ عَنَقَا وَمِنْ فَحْلٍ عَقُوقٍ أَبْلَقِ
- مَا رَوْضَةٌ فَيَنَانَةٌ غَنَاءُ قَدْ ٢٥٧ جَادَتْ لَهَا الشُّحْبُ بِمَاءٍ غَدَقِ
- فَابْتَسَمَتْ أَغْصَانُهَا عَنْ أَبْيَضِ ٢٥٨ وَأَحْمَرٍ وَأَصْفَرٍ وَأَزْرَقِ
- يَوْمًا بِأَنْهَى لِلْعُيُونِ مَنْظَرًا ٢٥٩ مِنْهَا وَلَا كَلَفَظَهَا الْمُرُونِقِ
- مَا لِحَرِيرٍ وَجَمِيلٍ مِثْلَهَا ٢٦٠ فِي غَزَلٍ وَفِي نَسِيبٍ مُونِقِ
- فَلَوْ رَأَاهَا الْأَضْمَعِيُّ خَطَّهَا ٢٦١ كَيْ يَسْتَفِيدَ بِسَوَادِ الْحَدَقِ
- أَوْ فَتَحَ الْفَتْحُ عَلَيْهَا طَرْفَهُ ٢٦٢ سَامَ قَلَائِدَهُ بِالتَّمْرِقِ

- أَوْ وَصَلْتُ لِلْمَوْصِلِي فِيمَا مَضَى ٢٦٣ عِنْدَ الْغِنَا بِغَيْرِهَا لَمْ يَنْطِقِ
 أَوْ ابْنُ بَسَّامٍ رَأَاهَا لَتَدَا ٢٦٤ رَكَ الذَّخِيرَةَ بِهَا عَنْ مَلَقِ
 وَلَا أَدِيبٌ مَنْ قُرَى أَنْدَلُسِ ٢٦٥ جَرَتْ بِهَا أَقْلَامُهُ فِي مُهْرِقِ
 مَنْ كَانَ يَرْجُو مِنْ سِوَايَ مِثْلَهَا ٢٦٦ رَجَا مِنَ الْقُرْبَةِ رَشَحَ الْعَرَقِ
 حَصَّيْتُهَا بِسُورَةِ النَّجْمِ إِذَا ٢٦٧ هَوَى مِنَ الْمُتَحِلِّ الْمُسْتَرَقِ
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَيَّرَهَا ٢٦٨ إِثْمَدَ عَيْنٍ مُنْصَفٍ مُوَفَّقِ
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَهَا ٢٦٩ قَذَى بَعَيْنِ الْحَاسِدِ الْحَفْلَقِ
 ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا تَغْنَى ٢٧٠ نَتُّ أُمَّ مَهْدِيٍّ بِرَوْضِ مُورِقِ
 عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ ٢٧١ وَتَابِعِيهِمْ مَنْ مَضَى وَمَنْ بَقِيَ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين^١.
 أما بعد فهذه مدارسُ الشَّمَقْمَقِيَّةِ لأبي العباس أحمد بن محمد بن محمد بن الوثان
 الحميريّ النسب الفاسي الدار، وقد كان والدُه من نُدَماء السُّلطان محمد بن عبد الله سُلطان
 المغرب، وكان أديبًا ظريفًا خفيف الروح، صاحب نواذر ومُلح، فأحبّه السُّلطان وقربه منه،
 وكناه بأبي الشَّمَقْمَق؛ تشبيهًا بذلك الشاعر الما جن مروان بن محمد المعروف بأبي الشَّمَقْمَق
 وهو من شعراء صدر الدولة العباسية، عاصر بشار بن بُرد وأبا نُوَاس وأبا العتاهية؛ فلزمتُه هذه
 الكُنية التي كناه بها السُّلطان فصار لا يُدعى إلا بها، بل تَخَطَّته إلى ابنه ابن أبي الشَّمَقْمَق، بل
 إلى أرجوزته فصارت تُعرَفُ بالشَّمَقْمَقِيَّة، فلما تُوفِّي والدُ صاحبِ الشَّمَقْمَقِيَّة أراد ابن أبي
 الشَّمَقْمَق أن يلتحق بالسُّلطان، فغلبته حاشيته عليه، فلما أعياه الأمر تحين خروج السُّلطان
 واعترضه في موكبه وصعد نشزًا عاليًا من الأرض ونادى بأعلى صوته:

يَا سَيِّدِي سَبْطَ النَّبِيِّ أَبُو الشَّمَقْمَقِ أَبِي

فعرّفه السُّلطان، وأمر بعد بلوغه قصره بإحضاره، فأنشده ابن أبي الشَّمَقْمَق هذه الأرجوزة
 التي نالت رضا السُّلطان ورفعت مرتبته عنده.

وهذه الأرجوزة واحدة أدبية فيها إشارات كثيرة إلى قصص الأدب وأخبار العرب على
 سبيل الرمز والإشارة، وقد ابتدأها بذكر رحيل الأحبة، ثم الغزل، وقد أكثر في أولها من حشر

^١ أصل هذه الأوراق شرح صوتي على الشَّمَقْمَقِيَّة كان أول مجالسه في شهر ربيع الآخر لعام ١٤٤٥، وقد
 اطلع الشارح على هذه الأوراق قبل نشرها فراجعها وأعاد صياغة مواضع منها بما يناسب الكتاب
 المقروء (رابط الشرح الصوتي) (رابط آخر للشرح الصوتي) (رابط الشرح الصوتي على اليوتيوب).

الكلمات الغريبة والألفاظ الحوشية حتى كأنك تدرس متناً من متون اللغة، ثم انتقل إلى الفخر والحماسة، ولم يُخلها من الحكَم والأمثال والوصايا، ثم تخلص إلى مدح السُلطان. وعلى القصيدة شروح من أحسنها: **زهر الأفنان من حديقة ابن النون** لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي، وهو شرح واسع، وقد اختصره الشيخ أحمد بن محمد الأمين الجكني الشنقيطي في **قطوف الريحان من زهر الأفنان**.

ومن شروحها: شرح الشيخ عبدالله كنون الحسني، وهو شرح مختصر لكنه عظيم النفع. وهذا أوان الشروع في المقصود.

قال ابن النون -رحمه الله-:

مَهْلًا عَلَى رِسْلِكَ حَادِي الْأَيْتِقِ ١ وَلَا تُكَلِّفَهَا بِمَا لَمْ تُطِيقْ

(مَهْلًا) المَهْلُ والمَهْلُ اسمُ مصدرٍ مِنْ أَمَهَلَ، والمَهْلُ والمَهْلُ والإمهال: السكينة والتؤدة والرفق في الأمر، قال تعالى: ﴿فَمَهْلٍ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُويْدًا﴾ [الطارق: ١٧].
(على رِسْلِكَ) الرِّسْلُ والرِّسْلَةُ والترسُّل: الرفق والتؤدة.

(حَادِي الْأَيْتِقِ) كان الأصل أن يقول: (حَادِي) بفتح الياء؛ لأنه مُنادَى منصوبٌ لكن لم تظهر الفتحة للضرورة، ومنه قول زهير بن أبي سلمى في معلقته:

وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزَّجَاجِ فَإِنَّهُ يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكْبَتُ كُلِّ لَهْذَمٍ

كان الأصل أن يقول: (العَوَالِي) وتقديرُ الفتحة هنا من أقيس الضرورات.

وأصله: (يا حادي الأيتق) فَحَذَفَ (يا)، وَحَذَفَ (يا) جائزٌ في النداء، قال الحريري في

ملحة الإعراب:

وَحَذَفَ يَا يَجُوزُ فِي النَّدَاءِ كَقَوْلِهِمْ رَبِّ اسْتَجِبْ دُعَائِي

والحُداء: هو الغناء للإبل، قال الناظم:

فَغَنَّهَا وَهِيَ لَكَ الْفِدَاءُ إِنَّ غِنَاءَ الْإِبْلِ الْحُدَاءُ

وقد كان لِنَبِيِّنا -صلى الله عليه وسلم- حادٍ يُقال له: أنجشة، قال له -صلى الله عليه وسلم-: «رُؤَيْدَكَ يَا أَنْجَشَةُ، لَا تَكْسِرِ الْقَوَارِيرَ».

يُقال: إن أول من حدا الإبلَ عَبْدٌ لِمُضَرِّ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدٍّ بْنِ عَدْنَانَ، كان في إبلٍ لسيده مُضَرَّ فَقَصَّرَ، فضربه مُضَرٌّ على يده فأوجعه، فقال: "يا يداه! يا يداه!"، وكان حسن الصوت، فأسرعت الإبلُ في السير لما سمعته، فاستعملت العرب الحُداءَ من ذلك الوقت.
(الْأَيْتُ): جمعُ ناقة، وهي الأنثى من الإبل.

(وَلَا تُكَلِّفُهَا) أي لَا تُحْمِلْهَا كُفْلَةً وَمَشَقَّةً، قالت الخنساء -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-:

يُكَلِّفُهُ الْقَوْمُ مَا عَالَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَصْغَرُهُمْ مَوْلِدًا

(بِمَا لَمْ تُطِقْ) الإِطَاقَةُ: الْقُدْرَةُ، قالت الخنساء -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-:

هَرِيقِي مِنْ دُمُوعِكَ وَأَسْتَفِيقِي وَصَبْرًا إِنْ أَطَقْتَ وَلَنْ تُطِيقِي

يقول في هذا البيت لحادي الأيتق: أَمْهَلْ وارْفُقْ وتَأَنَّ في سَيْرِكَ، وَلَا تَسْقِ الْإِبِلَ هَذَا السَّوْقَ العنيف فتكَلِّفُها ما لا طاقة لها به.

فَطَالَ مَا كَلَّفَتْهَا وَسُقَّتْهَا ٢ سَوَقَ فَتَى مِنْ حَالِهَا لَمْ يُشْفِقْ

(فَطَالَ مَا) (ما) هنا كَافَّةٌ عن العمل، فالفعل (طال) ليس له فاعل لأن (ما) كَفَّتْهُ عن عمل الرفع، ولم تَكُفَّ (ما) من الأفعال إلا (طال) و(قَلَّ) و(كَثُرَ).

(وَسُقَّتْهَا) السَّوْقُ خلافُ القَوْدِ، فالسائقُ يكون خلف الدابة، والقائد يكون أمامها، وأما

الراكبُ فيكون على ظهرها، وفي الحديث: «فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُودُهُ حُذَيْفَةُ وَيَسُوقُهُ عَمَّارٌ»، «يَقُودُهُ حُذَيْفَةُ» أي مِنَ الْأَمَامِ، «وَيَسُوقُهُ عَمَّارٌ» أي مِنَ الْخَلْفِ.

(سَوَقَ فَتَى) الفتى: الشابُّ الحَدَثُ، وَيُطَلَّقُ أيضًا على الكريم الكامل من الرجال، كما

قال طرفه في معلقته:

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتَى خِلْتُ أَنِّي عُنِيتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدْ

(من حالها) الحال: صفة الشيء التي هو عليها من خيرٍ وشرٍ.

يُقال: (حالة) بالتاء، ومنه قول الشاعر:

عَلَى حَالَةٍ لَوْ أَنَّ فِي الْقَوْمِ حَاتِمًا عَلَى جُودِهِ لَضَنَّ بِالْمَاءِ حَاتِمٌ

ويقال: (حال) بدون تاء، فيذكر ويؤنث، يقال: (حالٌ حسنةٌ)، و(حالٌ حسنٌ)، ومن تأنيثه

قول الشاعر:

إِذَا أَعْجَبْتُكَ الدَّهْرَ حَالٌ مِنْ أَمْرِي فَدَعُّهُ وَوَاجِلْ أَمْرَهُ وَاللَّيَالِيَا

أنث الفعل في قوله: "أعجبتك" فدل على أن الحال في البيت مؤنثة.

ومن لطيف تذكير الحال وتأنيثها: ما أنشده العلامة الشيخ محمد العاقب الشنقيطي -

رحمه الله - للسُّلطان عبدالحفيظ الفاطمي الحسني ملك المغرب مهنتاً له بمناسبة بيعته

وشاكياً له حالته التي هو عليها قال:

لَمَّا تَوَلَّى عَلَى الْإِسْلَامِ رَأَيْتُهُ مَوْلَايَ عَبْدَ الْحَفِظِ الْفَاطِمِي الْحَسَنِي

جُنَّاءَ إِلَيْهِ بِحَالٍ غَيْرِ لَائِقَةٍ كَيْمَانُؤُوبَ بِحَالٍ لَائِقٍ حَسَنٍ

أنث الحال في الشطر الأول، وذكر في الشطر الثاني وبعث بالبيتين إليه، فلما قرأ ما كتبه

الشيخ، قال الملك: "اتتوني بمذكر الحال ومؤنثه"، فكانت فاتحة خيرٍ على الجماعة التي هي

برفقته.

(لَمْ يُشْفَقْ) يُقال: (أشفقَ منه) إذا خافه وحذره، و(أشفقَ عليه) إذا حنا عليه وعطفَ.

يقول: طالت مُدَّةُ تَكْلِيفِكَ الْإِيْنُقَ وَسَوَّقِهَا بِلَا شَفَقَةٍ عَلَيْهَا، ولو نظرت في حالها لأشفقت

عليها.

وَلَمْ تَزَلْ تَرْمِي بِهَِا يَدُ النَّوَى ٣ بِكُلِّ فَجٍّ وَفَلَاةٍ سَمَلَقَ

(تَرْمِي بِهَِا) يُقَالُ: رَمَى بِالشَّيْءِ وَرَمَاهُ أَيَّ أَلْقَاهُ.

(يَدُ النَّوَى) النَّوَى: الْبُعْدُ، وَالْيَدُ: الْكَفُّ. وَالْيَدُ مُؤَنَّثَةٌ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ

لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا﴾ [النور: ٤٠]، وَالْقَاعِدَةُ: أَنَّ مَا كَانَ مِنَ الْأَعْضَاءِ الْمُزْدَوِجَةِ كَالْيَدِ وَالرَّجْلِ وَالْعَيْنِ وَالْأُذُنِ فَمِنْ الْمُؤَنَّثِ، وَمَا كَانَ وَاحِدًا فَمِنْ الْمَذَكَّرِ: كَالرَّأْسِ وَالْأَنْفِ وَتَوْجَدُ اسْتِثْنَاءَاتٌ فِي الْمَسْأَلَتَيْنِ لَكِنَّ هَذَا هُوَ الْغَالِبُ.

(بِكُلِّ فَجٍّ) الْفَجُّ: الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ بَيْنَ جَبَلَيْنِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ

مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٌ﴾ [الحج: ٢٧].

(وَفَلَاةٍ) الْفَلَاةُ: الصَّحْرَاءُ الْوَاسِعَةُ.

(سَمَلَقَ) السَّمَلَقُ: الْأَرْضُ الْمُسْتَوِيَّةُ.

وَمَا ائْتَلَتْ تَذَرَعُ كُلَّ فَذَفِدٍ ٤ أَذْرُعَهَا وَكُلَّ قَاعٍ قَرِيقَ

(وَمَا ائْتَلَتْ) أَيَّ مَا قَصَّرَتْ، وَالْاِئْتَلَاءُ: التَّقْصِيرُ وَالْإِبْطَاءُ، يُقَالُ: ائْتَلَى: إِذَا قَصَرَ وَأَبْطَأَ،

وَائْتَلَى أَيْضًا إِذَا حَلَفَ وَأَقْسَمَ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾

[النور: ٢٢]، وَقَدْ فَسَّرَتِ الْآيَةُ بِالْمَعْنَيْنِ: لَا يُقَصِّرُ وَلَا يَحْلِفُ، لَكِنْ تَفْسِيرُ الْآيَةِ بِالْحَلْفِ أَصَحُّ،

لِقِرَاءَةِ أَبِي حَعْفَرٍ: (وَلَا يَتَأَلَّ) وَهَذَا لَا يَحْتَمِلُ إِلَّا الْحَلْفَ، وَيَدُلُّ لَذَلِكَ سَبَبُ نَزُولِهَا فَإِنَّهَا

نَزَلَتْ فِي حَلْفِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَلَّا يُنْفِقَ عَلَى مِسْطَحٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-

لِمَشَارَكَتِهِ فِي الْإِفْكَ.

(تَذَرَعُ) أَيَّ تَقِيسُ بِأَذْرُعِهَا، وَالْأَذْرُعُ: جَمْعُ ذِرَاعٍ، وَهِيَ مِنَ الْمُؤَنَّثِ عَلَى الْقَاعِدَةِ السَّابِقَةِ

فِي الْأَعْضَاءِ الْمَزْدَوِجَةِ، وَيَدُلُّ لِتَأْنِيثِهَا قَوْلُ الشَّاعِرِ:

أَرْمِي عَلَيْهَا وَهِيَ فَرْعٌ أَجْمَعُ وَهِيَ ثَلَاثُ أَذْرُعٍ وَإِضْبَعُ

والشاهد من البيت على أن الذراع مؤنثة هو في تذكير العدد (ثلاث) لأن القاعدة أن العدد من ثلاثة إلى تسعة يُخَالَفُ المعدود كما قال تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٧]، الليلة مؤنثة فذَكَرَ العدد سبع، واليوم مذكر فَأَنْتَ العدد ثمانية.

(كُلُّ فَذْفِدٍ) الفَذْفُدُ: الفلاة والمكان الغليظ المرتفع.

(وَكُلُّ قَاعٍ) القَاعُ: الأرض السَّهْلَةُ المُطَمَّنَةُ، ومنه في القرآن: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ [طه: ١٠٦]، وتُجْمَعُ على قِيعٍ وقِيعَانٍ وقِيعَةٍ ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾ [النور: ٣٩].

(قَرِيقٍ) القَرِيقُ كَكَتِفٍ وَجَبَلٍ والكسرُ أفصح: المكان المُسْتَوِي.

وَكُلُّ أَبْطَحٍ وَأَجْرَعٍ وَجِرْزٍ ه عِ وَصَرِيْمَةٍ وَكُلُّ أَبْرِقٍ
(وَكُلُّ أَبْطَحٍ) الأَبْطَحُ والبَطْحَاءُ: مسيلٌ واسعٌ فيه دُقَاقُ الحصى، وقد قال كعبٌ بن زهيرٍ

-رضي الله عنه- في قصيدته بانت سعاد:

شَجَّتْ بِذِي شَبَمٍ مِنْ مَاءٍ مَحْنِيَةٍ صَافٍ بِأَبْطَحٍ أَضْحَى وَهُوَ مَشْمُولٌ

(وَأَجْرَعٍ) الأَجْرَعُ: الرملة الطيبة المنبت.

ولك أن تقول: (وَكُلُّ أَبْطَحٍ وَأَجْرَعٍ) وأن تقول: (وَكُلُّ أَبْطَحٍ وَأَجْرَعٍ) فالوزن بكليهما مستقيم لكن ارتكاب الضرورة هنا أحسن من الزحاف؛ لأن الزحاف زحافُ الخَبَلِ وهو وإن كان في الرَّجَزِ غيرَ سَمِجٍ خصوصًا في الشعر التعليمي إلا أنه زحافٌ غيرُ مستعذب، والضرورة صرفٌ ممنوعٌ من الصرف، وهو من أحسن الضرائر عندهم، وهو شائع في الشعر، حتى إن من العلماء من ذكر أنه لغة لا ضرورة، فيؤثّر ارتكابه على ارتكاب زحاف الخبل. وليس ذلك مُطَرِّدًا أعني تقديم الضرورة على الزحاف بل يُوازَنُ بين الأمرين ويؤخذ بأخفهما قُبْحًا.

(وَجِرْزٍ) الجِرْزُ: مُنْعَطَفُ الوادي ومُنْحَنَاه.

(وَصَرِيْمَةٌ) الصَّرِيْمَةُ: الْقِطْعَةُ مِنَ الرَّمْلِ تَنْصَرُمُ أَي تَنْقَطَعُ عَنْ مُعْظَمِهِ.

(وَكُلُّ أَتْرَقٍ) الْأَتْرَقُ: الْأَرْضُ الْغَلِيظَةُ ذَاتِ الْحِجَارَةِ وَالطِّينِ.

وهذه كلها مواضع لم تُقَصِّرِ الْإِبِلُ فِي قِطْعِهَا، وَقَدْ كَلَّتْ أَذْرُعُهَا فِي ذَرْعِهَا وَقِيَاسُهَا.

مَجَاهِلٌ تَحَارُّ فِيهِ الْقَطَا ٦ لَا دِمْنَةَ لَا رَسْمٌ دَارٍ قَدْ بَقِيَ

الْمَجَاهِلُ: جَمْعُ مَجْهَلٍ، وَالْمَجْهَلُ: الْمَفَازَةُ الَّتِي لَا أَعْلَامَ فِيهَا يُهْتَدَى بِهَا، وَكَانَ حَقُّهَا أَنْ

تُمنَعَ مِنَ الصَّرْفِ؛ بَأَن يُقَالَ: (مَجَاهِلٌ) لِأَنَّهَا عَلَى صِيغَةِ مُنْتَهَى الْجُمُوعِ، لَكِنَّا صُرِفَتْ

لِلضَّرُورَةِ، وَصُرِفَ الْمَمْنُوعُ لِلضَّرُورَةِ كَثِيرٌ جَائِزٌ اتِّفَاقًا، قَالَ ابْنُ مَالِكٍ:

وَلَا ضُطْرَارٍ أَوْ تَنَاسُبٍ صُرِفَ ذُو الْمَنْعِ وَالْمَصْرُوفُ قَدْ لَا يَنْصَرِفُ

وَقَالَ الْحَرِيرِيُّ فِي مُلَحَّتِهِ:

وَجَائِزٌ فِي صَنْعَةِ الشَّعْرِ الصَّلِفِ أَنْ يَصْرِفَ الشَّاعِرُ مَا لَا يَنْصَرِفُ

بَلْ قَدْ يُصَرَّفُ الْمَمْنُوعُ لَغَيْرِ الضَّرُورَةِ بَلْ لِمَجْرَدِ التَّنَاسُبِ كَمَا فِي قِرَاءَةِ: ﴿سَلَاسِلًا

وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ [الْإِنْسَانُ: ٤] بِتَنْوِينِ (سَلَاسِلٍ) لِمُنَاسَبَةِ مَا بَعْدَهُ.

(تَحَارُّ) مِنَ الْحَيْرَةِ وَهِيَ ضِدُّ الْهَدَايَةِ.

(الْقَطَا) الْقَطَا: اسْمُ جَنْسٍ جَمْعِي.

وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ اثْنَيْنِ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ:

❖ الْجَمْعُ.

❖ وَاسْمُ الْجَمْعِ.

❖ وَاسْمُ الْجَنْسِ الْجَمْعِي.

أَمَّا الْجَمْعُ فَمَعْرُوفٌ وَهُوَ جَمْعُ الْمَذْكَرِ السَّالِمِ، وَجَمْعُ الْمُنْثَى السَّالِمِ، وَجَمْعُ التَّكْسِيرِ.

وَأَمَّا اسْمُ الْجَمْعِ فَهُوَ مَا لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ مِثْلُ: قَوْمٍ وَنِسَاءٍ وَرَهْطٍ وَإِبِلٍ وَخَيْلٍ.

وأما اسم الجنس الجمعي فهو ما يُفَرَّقُ بينه وبين مفردِه بالتاء أو بالياء.

مثال ما يُفَرَّقُ بينه وبين مفردِه بالتاء: نخلٌ ونخلةٌ، وبقرةٌ وبقرةٌ، ومنه: القطا والقطاة.

ومثال ما يُفَرَّقُ بينه وبين مفردِه بالياء: رومٌ وروميٌّ، ومجوسٌ ومجوسيٌّ.

قال ابن مالك في الكافية الشافية:

وَمَا بَتَاءٍ أَوْ يَبَاءٍ أَفْرَادًا فَهُوَ اسْمُ جِنْسٍ كَمَجُوسٍ وَحِدًا

يقال: مجوسٌ ومجوسيٌّ، وحِدًا وحِدَاءٌ.

والقطا: طيرٌ بحجم الحمام يُضربُ به المثل في الاهتداء، وقد أكثر من ذِكْرِهِ الشعراء

والعلماء، قال القاضي عياض في صدر كتابه الشفا: "وها هنا مَهَامُهُ فَيُحْ تَحَارَ فِيهَا الْقَطَا، وَتَقْصُرُ بِهَا الْخُطَا".

وقال الحريري في مقاماته: "وَجُبْتُ فِي سَيْرِي وَغُورًا لَمْ تُدَمِّثْهَا الْخُطَا، وَلَا اهْتَدَتْ إِلَيْهَا

الْقَطَا".

وقال الشاعر:

وَالنَّاسُ أَهْدَى فِي الْقَبِيحِ مِنَ الْقَطَا وَأَضَلُّ فِي الْحُسْنَى مِنَ الْغُرَبَانِ

قالوا: وإنما سُمِّيَ القطا بهذا الاسم مُشَاكَلَةً لَصَوْتِهِ لَأَنَّهُ يَقُولُ: "قَطَا قَطَا".

(لَا دِمْنَةَ) الدِّمْنَةُ: مَا اسْوَدَّ مِنْ آثَارِ الدِّيَارِ، قَالَ زُهَيْرٌ فِي مُعَلَّقَتِهِ:

أَمِنْ أَمْ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةِ الدُّرَاجِ فَالْمُتَشَلِّمِ

(لَا رَسْمٌ دَارٍ قَدْ بَقِيَ) الرَّسْمُ: مَا لَا شَخْصَ لَهُ مِنْ آثَارِ الدِّيَارِ، أَيِ مَا لَصِقَ بِالْأَرْضِ مِنْ آثَارِ

الدِّيَارِ، وَأَمَّا مَا لَهُ شَخْصٌ مِنْ آثَارِ الدِّيَارِ فَهُوَ الطَّلَلُ.

يقول ابن الونان: تلك المفاوز التي يسلكها الحادي ويكلف الأيتق قطعها مجاهل لا

يُهْتَدَى فِيهَا، حَتَّى الْقَطَا الْمَعْرُوفَةُ بِالْإِهْتِدَاءِ لَا تَهْتَدِي فِيهَا، وَقَدْ عَفَتْ آثَارُهَا وَدُرِسَتْ

معالمها، فهي مَظِنَّةٌ أَنْ يَضِلَّ سَالِكُهَا.

ثم بعد أن وصف الأرض التي قطعها النوق بما هو في طبيعتها من حزنونة وسهولة وارتفاع واستواء انتقل إلى ذكر ما فيها من رياح وعواصف فقال:

لَيْسَ بِهَا غَيْرُ السَّوَافِي وَالْحَوَا ٧ صَبِ الْحَرَاجِيجِ وَكُلِّ زَحْلِقِ

(السَّوَافِي) السَّوَافِي: جمعُ سَافِيَةٍ وهي الرِّيحُ التي تَسْفِي التُّرابَ أي تحمله وتذروه.

(وَالْحَوَاصِبِ) الْحَوَاصِبُ: جمعُ حَاصِبٍ وهي الرِّيحُ التي ترمي بالحصباء، ومنه قوله

تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ [العنكبوت: ٤٠].

(الْحَرَاجِيجِ) الْحَرَاجِيجُ: جمعُ حُرْجُوجٍ وهي الرِّيحُ الباردة الشديدة.

(وَكُلِّ زَحْلِقِ) الزَّحْلِقُ: الرِّيحُ الشديدة.

ثم انتقل إلى وصف ما اشتملت عليه الأرض من أشجار ونبات فقال:

وَالْمَرْخِ وَالْعَفَارِ وَالْعِضَاهِ وَالـ ٨ بَشَامِ وَالْأَثَلِ وَنَبَتِ الْخَرْبَقِ

(وَالْمَرْخِ وَالْعَفَارِ) الْمَرْخُ وَالْعَفَارُ ضربان من الشجر كلاهما سريعُ الْوَرِي، ومن أمثال

العرب: "في كل شَجَرٍ نار، واستمجد الْمَرْخُ وَالْعَفَارُ" استمجد أي استكثر، والمعنى: كثرت

نارهما، فهاتان الشجرتان من أكثر الشجر نارًا، وزنادهما أكثر الزنادِ ورِيًا، وليس في الشجرِ

كلُّهُ أَوْرى زنادًا من المرخ حتى إنه رُبَّمَا تَهَبُّ الرِّيحُ فَيَحُكُّ بَعْضُهُ بَعْضًا فتنقدحُ النار، ويحترقُ

الوادي، قال الله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾

[يس: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾

[الواقعة: ٧١-٧٢] قال المفسرون: أي شجرتها التي تُقدحُ منها النار كالْمَرْخِ وَالْعَفَارِ.

(وَالْعِضَاهِ) الْعِضَاهُ: كُلُّ شَجَرٍ عَظِيمٍ لَهُ شوك.

(وَالْبَشَامِ) الْبَشَامُ: شَجَرٌ طَيِّبُ الرِّيحِ يُسْتَاكُ بِأَغْصَانِهِ، قال جرير:

أَتَذْكُرُ يَوْمَ تَصْقُلُ عَارِضُهَا بِفَرْعِ بَشَامَةٍ سُقِيَ الْبَشَامُ

(وَالْأَثْلُ) الْأَثْلُ: شَجَرٌ عَظِيمٌ لَا ثَمَرَ لَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي

أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: ١٦].

قال: (وَنَبَتِ الْخَرْبَقِ) نَبْتُ الْخَرْبَقِ: نَبْتُ يُتَدَاوَى بِهِ.

وَالرَّمْثِ وَالْخُلَّةِ وَالسَّعْدَانِ وَالثَّ ٩ ثَغْرِ وَشَرِي وَسَنَا وَسَمْسَقِ

(وَالرَّمْثِ) الرَّمْثُ: مِنْ مَرَاعِي الْإِبِلِ.

(وَالْخُلَّةِ) الْخُلَّةُ: كُلُّ مَا فِيهِ حَلَاوَةٌ مِنَ النَّبَاتِ.

(وَالسَّعْدَانِ) السَّعْدَانُ: نَبْتُ لَهُ شوكٌ، وَهُوَ مِنْ أَجودِ مَا تَرَعَاهُ الْإِبِلُ، وَفِي الْمَثَلِ: "مَرَعَى

وَلَا كَالسَّعْدَانِ" يُضْرَبُ لِمَا يُحْمَدُ بَعْضُ الْحَمْدِ وَيُفْضَلُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ.

(وَالثَّغْرِ) الثَّغْرُ: نَبْتُ جَيِّدِ الرَّعْيِ مِنْ أَفْضَلِ الْعُشْبِ.

(وَشَرِي) الشَّرِيُّ: هُوَ الْحَنْظَلُ، وَمِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ: "لِفُلَانٍ طَعْمَانُ: أَرِيَّ وَشَرِيَّ" الْأَرِيُّ:

الْعَسَلُ، وَالشَّرِيُّ: الْحَنْظَلُ.

مسألة: يذكر الفقهاء الحنظل في كتاب الصيام ما مناسبة ذلك؟

الجواب: يقولون: لو حَكَ الصَّائِمُ الْحَنْظَلَ تَحْتَ قَدَمِهِ فَوَجَدَ طَعْمَهُ فِي حَلْقِهِ لَمْ يَكُنْ

مَفْطَرًا بِذَلِكَ.

(وَسَنَا) السَّنَا: نَبْتُ مُسَهَّلٍ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ بِمَكَّةَ وَيُنْسَبُ إِلَيْهَا.

وقد أَلْحَقَهُ الْمَالِكِيُّ بِالْإِذْخَرِ فِي جَوَازِ أَخْذِهِ وَالِانْتِفَاعِ بِهِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ نَبَاتِ الْحَرَمِ، قَالَ فِي

أَسْهَلِ الْمَسَالِكِ:

وَأَمْنَعُ عَلَى الْإِنْسَانِ قَطْعَ الشَّجَرِ مِنْ حَرَمٍ إِلَّا السَّنَا وَالْإِذْخَرَ

(وَسَمْسَقِ) السَّمْسَقُ: الْيَاسْمِينُ، وَفِيهِ لُغَاتٌ فَهُوَ كَجَعْفَرٍ أَيْ سَمْسَقٍ، وَكَزَبْرِجٍ: أَيْ

سَمْسِقٌ، وَكَقَنْفُذٍ أَيْ سُمْسُقٍ، وَكَجُنْدَبٍ أَيْ سُمْسُقٍ.

وَعُشْرٍ وَنَشْمٍ وَإِسْحِلٍ ١٠ مَعَ ثُمَامٍ وَبَهَارٍ مُونِقٍ

(وَعُشْرٍ) الْعُشْرُ: شَجَرٌ سَرِيعُ الْوَرِي.

(وَنَشْمٍ) النَّشْمُ: شَجَرٌ تَتَّخِذُ مِنْهُ الْقِسِيُّ.

(وَإِسْحِلٍ) الْإِسْحِلُ: شَجَرٌ لَهُ أَغْصَانٌ نَاعِمَةٌ يُسْتَاكُ بِهَا، قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ فِي مُعَلَّقَتِهِ:

وَتَعْطُوبٍ بِرَخْصٍ غَيْرِ شَثْنٍ كَأَنَّهُ أَسَارِيعُ ظَبْيٍ أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْحِلٍ

(مَعَ ثُمَامٍ) الثُّمَامُ: نَبْتُ كَالْحَشِيشِ تَتَّخِذُ مِنْهُ الْأَقْلَامُ، وَبِهِ سُمِّيَ ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ الْحَنْفِيُّ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(وَبَهَارٍ) الْبَهَارُ: نَبْتُ طِيبِ الرِّيحِ، وَيُقَالُ فِيهِ: الْعَرَارُ.

(مُونِقٍ) أَيْ مُعْجِبٍ.

ثُمَّ بَعْدَ أَنْ وَصَفَ الْأَرْضَ بِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ شَجَرٍ وَنَبَاتٍ انْتَقَلَ إِلَى وَصْفِ مَا فِيهَا

مِنَ الْحَيَوَانِ فَقَالَ:

وَالسَّمْعُ وَالْيَعْقُوبُ وَالْقَشَّةُ وَالسِّدُ ١١ سَيِّدِ السَّبَبَتَى وَالْقَطَا وَجَوْرَقِ

(وَالسَّمْعُ) السَّمْعُ: وَلَدُ الذَّنْبِ مِنَ الضَّبْعِ.

(وَالْيَعْقُوبُ) الْيَعْقُوبُ: ذَكَرُ الْحَجَلِ، وَجَمْعُهُ يَعْقِيبٌ، قَالَ الشَّاعِرُ:

أَوْدَى الشَّبَابُ الَّذِي مَجَّدُ عَوَاقِبُهُ فِيهِ نَلْدٌ، وَلَا لَذَاتٍ لِلشَّيْبِ

وَلَى حَيْثَا وَهَذَا الشَّيْبُ يَطْلُبُهُ لَوْ كَانَ يُدْرِكُهُ رَكْضُ الْيَعَاقِبِ

وَالْيَعْقُوبُ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ عِنْدَ الْعَرَبِ فِي شِدَّةِ الرِّكْضِ.

(وَالْقَشَّةُ) الْقَشَّةُ: الْقَرْدَةُ.

(وَالسِّدُ) السِّيدُ: هُوَ الذَّنْبُ، قَالَ فِي لَامِيَةِ الْعَرَبِ:

وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ سَيِّدٌ عَمَلَسَ وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جِيَالٌ

(السَّبْتِيُّ) السَّبْتِيُّ: هو الجريء المقدام من كل شيء يُقال فيه: سَبْتِي، وسَبْنَدِي، وهو هنا صفةٌ للسَّيد.

(وَالْقَطَا) القطا تقدم في قوله: (مَجَاهِلٌ تَحَارُ فِيهِنَّ الْقَطَا).

(وَجَوْرَقٌ) الجَوْرَقُ: ذَكَرُ النَّعَامِ.

وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالرُّئَالُ وَالْـ ١٢ هَيْثَمٌ مَعَ عِكْرَمَةٍ وَخَرْنَقٍ

(وَاللَّيْلُ) اللَّيْلُ: فَرَحُ الْكَرَوَانِ، وقد ألغز فيه الْحَرِيرِيُّ في مقاماته في المقامة الطيبية، فقال في الصائم: "فإن عمداً لأن أكلَ لَيْلاً" قال: "لِيُشَمَّرَ للقضاء ذَيْلاً".

أَكَلَ لَيْلاً ووجب عليه القضاء كيف ذلك؟

الجواب: أكل لحم هذا الطائر الذي اسمه الليل.

(وَالنَّهَارُ) النَّهَارُ: فَرَحُ الْحُبَارَى.

(وَالرُّئَالُ) جَمْعُ رَأَلٍ بفتح الراء وسكون الهمزة، ويجوز إبدالها ألفاً فتقول: (رَال)، كما

تقول في (فَأَس: فاس)، وفي (رَأْس: راس)، وتقول في (ذَيْب: ذيب)، وفي (بِئْر: بير)، وتقول في (بُؤْس: بُوس) وفي (سُور: سور).

(وَالْهَيْثَمُ) قِيلَ: هو فَرَحُ الْحُبَارَى، وقيل: فَرَحُ الْعُقَابِ، وقيل: فَرَحُ النَّسْرِ.

(مَعَ) بِإِسْكَانِ الْعَيْنِ وهي لغة قليلة في (مع) وليست ضرورة، قال ابن مالك:

و(مَعَ) (مَعَ) فِيهَا قَلِيلٌ وَنَقِلَ فَتَحٌ وَكَسْرٌ لِسُكُونِ يَتَّصِلُ

(عِكْرَمَةٍ) الْعِكْرَمَةُ: الْأُنْثَى مِنَ الْحَمَامِ، وبه سُمِّيَ عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عِكْرَمَةُ.

(وَخَرْنَقٌ) الْخَرْنَقُ: الْفَتِيُّ مِنَ الْأَرَنْبِ، وَيُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فِي اللَّيْنِ، يُقَالُ: أَلِينُ مِنْ خَرْنَقٍ.

وَلَمْ تَزَلْ تَقْطَعُ جِلْبَابَ الدُّجَى ١٣ بِجَلَمِ الْيَدِ وَسَيْفِ الْعُنُقِ
(وَلَمْ تَزَلْ) أي النوق.

(تَقْطَعُ جِلْبَابَ) الْجِلْبَابُ: ثَوْبٌ أَوْسَعُ مِنَ الْخِمَارِ وَدُونَ الرِّدَاءِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَاسِيِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، وَقَالَتْ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- فِي قِصَّةِ الْإِفْكِ: «فَخَمَرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي».

(الدُّجَى) الدُّجَى: جَمْعُ دُجِيَّةٍ، وَالدُّجِيَّةُ كَالظُّلْمَةِ وَزَنًّا وَمَعْنَى، يُقَالُ: دُجِيَّةٌ وَدُجِيٌّ كَظُلْمَةٍ وَظُلْمٍ.

(بِجَلَمِ الْيَدِ) الْجَلَمُ: الْمَقْرَاضُ أَيْ الْمَقْصَصُ، وَالْأَكْثَرُ اسْتِعْمَالُهُ بِلَفْظِ التَّشْبِيهِ، فَيُقَالُ: الْجَلَمَانِ.

وإضافة الجلباب إلى الدجى في قوله: (جِلْبَابَ الدُّجَى) هو من إضافة المشبّه به إلى المشبّه، أي لم تزل تقطع الدجى الذي هو كالجلباب.

وكذلك قوله: (بِجَلَمِ الْيَدِ) هو من إضافة المشبّه به إلى المشبّه أي باليد التي هي كالجلَم، وكذلك قوله: (وَسَيْفِ الْعُنُقِ) هو من إضافة المشبّه به إلى المشبّه أي بالعنق الذي هو كالسيف.

والمعنى: لم تزل هذه النوق تقطع الدجى الذي هو كالجلباب، بيدها التي هي كالجلَم أي كالمَقْصَصِ، وَبِعُنُقِهَا الذي هو كالسيف، وهذا يدل على أن هذه النوق لا تستريح من السير ليلاً ونهاراً.

فَمَا اسْتَرَاخَتْ مِنْ عُبُورِ جَعْفَرٍ ١٤ وَمِنْ صُغُودٍ بِصَعِيدٍ زَلَقٍ
إِلَّا وَفِي خَضْخَاضٍ دَمَعٌ عَيْنِهَا ١٥ خَاضَتْ وَغَابَتْ بِسَرَابٍ مُطْبِقٍ
(فَمَا اسْتَرَاخَتْ) الرَّاحَةُ: ضِدُّ التَّعَبِ.

(مِنْ عُبُورٍ) العبُورُ: قطع النهر ومجاوزته من عِبْرٍ إلى عِبْرٍ، وَعِبْرُ النَّهْرِ: جانبه.

(جَعْفَرٍ) الجَعْفَرُ: النهر الكبير والصغير، والمناسب لمراده هنا: الكبير

(وَمِنْ صُعُودٍ) الصُّعُودُ: الارتفاع والارتقاء، والماضي منه صَعِدَ بكسر العين، والصعيد

في اللغة: وجه الأرض مطلقاً، تراباً كان أو غيره، قال الزجاج: "لا أعلم خلافاً بين أهل اللغة

في ذلك"، والخلاف بين الفقهاء مشهور في قوله تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣]،

هل هو كل ما صعد على وجه الأرض؟ وهو مذهب الحنفية والمالكية، أو هو خاص بالتراب

وهو مذهب الشافعية والحنابلة.

(زَلَقٍ) يقال: مكانٌ زَلَقٌ أي تَزَلُّ فيه القَدَم ولا تثبت، ومنه قوله تعالى: ﴿فَتُصْبِحُ صَعِيدًا

زَلَقًا﴾ [الكهف: ٤٠] أي تصبح ملساء لا تثبت عليها قدم.

(إِلَّا وَفِي خَضْخَاضٍ) الخَضْخَاضُ هنا: الطينُ المختلطُ بالماء.

(دَمْعٍ عَيْنَهَا) الدَّمْعُ: ماء العين، والدمعة قبل أن تفيض يقال لها: عَبْرَةٌ، كما قال امرؤ

القيس:

وَأِنْ شِفَائِي عَبْرَةٌ لَوْ سَفَحْتُهَا وَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ

والعرب تزعم أن دمعة السرور باردة، وأن دمعة الحزن ساخنة، لذا يقولون في الدعاء

للشخص: "أقر الله عينك" أي أبردها سروراً، ويقولون في الدعاء عليه: "أسخن الله عينه".

(خَاضَتْ) يقال: خاض الغمرات إذا اقتحمها.

(بِسَرَابٍ) السَّرَابُ: هو الذي يتراءى للعين نصف النهار كأنه ماء.

الذي يتراءى للعين في أول النهار وآخره كأنه ماء هو الآل، والذي يتراءى في نصف النهار

هو السراب، قال تعالى: ﴿كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾

[النور: ٣٩].

(مُطَبَّقٍ) المُطَبَّقُ: هو المُجَلَّلُ المُغَطَّى.

يقول: إنها لا تستريح من قطع نهرٍ ومجاوزته، ومن تسلُّق مكانٍ وعَرٍ، إلا وهي تخوض في بحرٍ من دمعها، وتغيَّب في السَّرابِ المُغْطِي، فهي لا تستريح ليلاً ولا نهاراً، لا تستريح ليلاً كما قال: (تَقْطَعُ جِلْبَابَ الدُّجَى)، ولا تستريح نهاراً كما قال: (وَعَابَتْ بِسَرَابٍ مُطْبِقٍ) والسَّراب إنما يكون في النهار.

كَأَنَّمَا رَقَرَأْتُهُ بَحْرٌ طَمًا ١٦ وَالنُّوقُ أَمْوَاجٌ عَلَيْهِ تَرْتَقِي

(كَأَنَّمَا رَقَرَأْتُهُ) أي رَقَرَأْتُ السَّرَابَ وهو ما تَلَأَّأَ منه.

(بَحْرٌ طَمًا) أي علا وارتفعت أمواجه.

(وَالنُّوقُ أَمْوَاجٌ) الأمواج: جمع مَوْجٍ، وهو مصدر غلبت عليه الاسمية، فهو مصدرُ مَاجٍ مَوْجًا إذا اضطرب، ثم سُمِّيَ به ما يرتفع من البحر عند هَيْجَانِهِ. (تَرْتَقِي) أي تصعد.

وَكُلُّ هَوْدَجٍ عَلَى أَقْتَابِهَا ١٧ مِثْلُ سَفِينٍ مَآخِرٍ أَوْ زُورَقٍ

(وَكُلُّ هَوْدَجٍ) الهَوْدَجُ: مركب للنساء، والجمع هوداج.

(عَلَى أَقْتَابِهَا) الأَقْتَابُ: جمع قَتَبٍ وهو رَحْلٌ صغير يكون على قدر سنام البعير.

(مِثْلُ سَفِينٍ) السَّفِينُ: واحدته سفينة.

(مَآخِرٍ) يقال: مَخَرَتِ السفينة الماءَ إذا جَرَت تَشُقُّ الماءَ، قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ

مَوَآخِرَ فِيهِ﴾ [النحل: ١٤] أي تجري تَشُقُّ وجه الماءِ حتى تَسْلُكَ فيه من قُطْرٍ إلى آخر.

(أَوْ زُورَقٍ) الزُّورَقُ: السفينة الصغيرة.

شَبَّهَ ابْنُ الْوَنَانِ السَّرَابَ بِالْبَحْرِ الْمُتَلَاطِمِ في قوله: (كَأَنَّمَا رَقَرَأْتُهُ بَحْرٌ طَمًا) والنُّوقُ بالأمواج

في قوله: (وَالنُّوقُ أَمْوَاجٌ عَلَيْهِ تَرْتَقِي) والهوداج بالسفن والزوارق في قوله:

وَكُلُّ هَوْدَجٍ عَلَى أَقْتَابِهَا ١٧ مِثْلُ سَفِينٍ مَآخِرٍ أَوْ زُورَقٍ

ثم قال:

مَرَّتْ بِهَا هُوجُ الرِّيحِ فَهِيَ فِي ١٨ تَفَرَّقَ حِينًا وَحِينًا تَلْتَقِي

(مَرَّتْ بِهَا هُوجُ الرِّيحِ) هذا من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي مَرَّتْ بِهَا الرِّيحُ الهُوجُ وهي التي لا تستقيم، فتأتي تارةً من هنا وتارةً من هنا، لذا قال: (فَهِيَ فِي تَفَرَّقَ حِينًا وَحِينًا تَلْتَقِي) والناقة الهُوجَاءُ: هي المسرعة في السير كأن بها هَوْجًا أي حُمَقًا وطَيْشًا.

وَالْحِينُ: الوقت، قال تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: ١٧].

وَكَمْ بِسَوَاطِئِ الْبَغْيِ سُقَّتْ سُوقَهَا ١٩ سَوَقَ الْمُعْنَفِ الَّذِي لَمْ يَتَّقِ

(وَكَمْ) كم تأتي للتكثير كثيرًا وللتقليل قليلًا وهي هنا للتكثير.

(بِسَوَاطِئِ) السَّوْطُ: الخلط، ومنه قيل للمِقْرَعَةِ سَوَاطِئُ؛ لأنها تخلط اللحم بالدم، قال تعالى:

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوَاطِئَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ١٣]، ومنه قول كعب بن زهير -رضي الله عنه-:

لَكِنَّهَا خُلَّةٌ قَدْ سِيطَ مِنْ دِمَها فَجَعُ وَوَلَعُ وَإِخْلَافُ وَتَبْدِيلُ

(الْبَغْيِ) البَغْيُ: الظلم والتعدي.

(سُقَّتْ) مِنْ السَّوْقِ وهو خِلافُ القَوْدِ.

(سُوقَهَا) السُّوقُ: جمع ساقٍ لما بين الكعب إلى الركبة، وهي من المؤنث على قاعدة

الأعضاء المزدوجة كما سبق، وقد قال تعالى: ﴿وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ [القيامة: ٢٩]، فَأَنَّثَ الفعل، وهو دليل على أن الساق مؤنثة.

(سَوَقَ الْمُعْنَفِ) مِنَ الْعُنْفِ وهو ضِدُّ الرِّفْقِ.

(الَّذِي لَمْ يَتَّقِ) أي لم يحذر ولم يخف عليها.

يقول: كثيرًا ما سُقَّتِ النُّوقُ ظالمًا لها غير مُتَرَفِّقٍ بها ولا خائف عليها.

حَتَّى غَدَتْ خُوصًا عِجَافًا ضَمَرًا ٢٠ أَعْنَاقُهَا تَشْكُو طَوِيلَ الْعَنِقِ

(حَتَّى غَدَتْ خُوصًا) الخُوصُ جَمْعُ خَوْصَاءٍ مِنَ الْخَوْصِ وَهُوَ غُوْرُ الْعَيْنِ وَضِيقُهَا وَصِغَرُهَا. أَيِ حَتَّى غَدَتْ غَائِرَاتِ الْأَعْيُنِ.

(عَجَافًا) الْعِجَافُ جَمْعُ عَجْفَاءٍ مِنَ الْعَجْفِ وَهُوَ الْهَزَالُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «أَرْبَعٌ لَا تَجُوزُ فِي الضَّحَايَا» وَذَكَرَ مِنْهَا: الْعَجْفَاءُ الَّتِي لَا تُنْقِي أَيِ الْمَهْزُولَةِ الَّتِي لَا تُخَّ فِي عِظَامِهَا لَهْزَالِهَا، وَالنَّقْيُ: الْمُخُّ.

(ضُمَّرًا) الضُّمَرُ جَمْعُ ضَامِرَةٍ مِنَ الضُّمْرِ وَهُوَ الْهُزَالُ وَخِفَّةُ اللَّحْمِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

(أَعْنَاقُهَا تَشْكُو طَوِيلَ الْعَنْقِ) الْعَنْقُ: ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ فَسِيحٌ سَرِيعٌ، وَمِنْهُ قَوْلُ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فِي إِفَاضَةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ عَرَفَاتٍ فِي الْحَجِّ يَصِفُ سِيرَهُ قَالَ: «كَانَ يَسِيرُ الْعَنْقَ فَإِذَا وَجَدَ فَجْوَةً نَصَّ» الْعَنْقُ كَمَا سَبَقَ: ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ فَسِيحٌ سَرِيعٌ «فَإِذَا وَجَدَ فَجْوَةً» أَيِ مَكَانًا مُتَّسِعًا «نَصَّ» أَيِ أَسْرَعَ حَتَّى يَسْتَخْرِجَ أَقْصَى سِيرِ النَّاقَةِ، فَالْنَّصُّ سَيْرٌ أَسْرَعَ مِنَ الْعَنْقِ.

يَقُولُ فِي هَذَا الْبَيْتِ: بِسَبَبِ الضَّرْبِ بِسَوْطِ الْبَغْيِ وَالسَّوْقِ الْعَنِيفِ صَارَتِ التُّوقُ عَلَى الْحَالِ الَّتِي وَصَفَ فِي هَذَا الْبَيْتِ غَائِرَاتِ الْأَعْيُنِ مَهْزُولَةً تَشْكُو أَعْنَاقُهَا مِنَ السَّيْرِ السَّرِيعِ الطَّوِيلِ.

مَرْتُوْمَةُ الْأَيْدِي شَكَتْ فَرَطَ الْوَجَى ٢١ لَكِنَّهَا تَشْكُو لِغَيْرِ مُشْفِقٍ

(مَرْتُوْمَةُ الْأَيْدِي) أَيِ مُشَقَّقَةِ الْأَيْدِي تَسِيلُ دَمًا.

(شَكَتْ فَرَطَ الْوَجَى) الْوَجَى: وَجَعٌ يَكُونُ فِي الرَّجْلِ.

يَقُولُ: بِسَبَبِ ذَلِكَ الضَّرْبِ وَالسَّوْقِ الْعَنِيفِ وَالسَّيْرِ الطَّوِيلِ الَّذِي لَا رَاحَةَ فِيهِ صَارَتِ الْإِبِلُ مُشَقَّقَةِ الْأَيْدِي تَسِيلُ دَمًا، تَشْكُو مِنْ وَجَعٍ أَخْفَافِهَا وَإِلْحَاحِهَا عَلَيْهَا لَكِنَّ شَكْوَاهَا تَذْهَبُ

سُدَى؛ لأنها تشكو لمن لا يشفق عليها.

قَدْ ذَهَبَتْ مِنْهَا الْمَحَاسِنُ بِإِدِّ ٢٢ مَانَ السُّرَى وَقَلَّةِ التَّرْفُقِ

(بِإِدْمَانِ السُّرَى) الإِدْمَانُ: الملازمة والمداومة، والسُّرَى: سَيْرُ الليل، يقال: سَرَى وأَسْرَى

بمعنى واحد، قال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ [هود: ٨١] من أسرى الرباعي، وفي القراءة الأخرى:

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ مِنْ سَرَى الثلاثي، وقد جمعهما حسان بن ثابت - رضي الله عنه - في قوله:

حَيِّ النَّصِيرَةِ رَبَّةَ الْخِذْرِ أَسْرَتْ إِلَيْكَ وَلَمْ تَكُنْ تَسْرِي

(أَسْرَتْ إِلَيْكَ) مِنْ أَسْرَى الرباعي، (وَلَمْ تَكُنْ تَسْرِي) مِنْ سَرَى الثلاثي.

يقول: إِنَّ محاسن النوق قد ذَهَبَتْ عنها بسبب ملازمة السَّير ليلاً، وقلة تَرْفُقِ السائق بها.

كَأَنَّهَا لَمْ تَكُ قَبْلُ انْتُخِبَتْ ٢٣ مِنْ كُلِّ قَرَوَاءٍ رَقُوبٍ فُنُقٍ

(كَأَنَّهَا) كَأَنَّ هذه النوق (لَمْ تَكُ قَبْلُ انْتُخِبَتْ) أي اختيرت.

(مِنْ كُلِّ قَرَوَاءٍ) القَرَوَاءُ: الطويلة السَّنام.

(رَقُوبٍ) الرَّقُوبُ: الناقة التي لا تدنو من الحوض عند الزحام، وهو دليلُكرمها.

(فُنُقٍ) الفُنُقُ: الناقةُ الفَتِيَّةُ السَّمِينَةُ.

دَوْسَرَةٌ هَوْجَاءُ وَجَنَامَا بِهَا ٢٤ مِنْ نَقَبٍ وَمِنْ وَجَى وَسَلَقِ

(دَوْسَرَةٌ) الدَّوْسَرَةُ: الناقةُ الضخمةُ العظيمةُ.

(هَوْجَاءُ) الهَوْجَاءُ: المسرعةُ السَّيْرِ كَأَنَّهَا هَوْجَاءُ، أي طَيْشًا وَحُمْقًا، وجمع هَوْجَاءُ:

هُوْجٌ، وقد سبق قوله في وصف الرياح: (مَرَّتْ بِهَا هُوجُ الرِّيَّاحِ).

(وَجَنَا) الْوَجَنَاءُ قِيلَ: عظيمة الوجنتين، والوجنتان: عظامان في أعلى الخَدِّ تحت العين.

وقيل: صُلْبَةٌ كَالْوَجِينِ، وَالْوَجِينُ: مَا غَلِظَ مِنَ الْأَرْضِ.

ومنه قول كعب بن زهير - رضي الله عنه - في بانة سعاد:

غَلَبَاءُ وَجَنَاءُ عُلُكُومٍ مُذَكَّرَةٌ فِي دَفْهَاءِ سَاعَةٍ قَدَّامَهَا مِيلٌ

وقوله: (وَجَنَاءُ) أصله: (وَجَنَاءُ) قَصْرُهُ النَازِمُ للضرورة، وقَصْرُ الممدود للضرورة جائز

بالإجماع، قال ابن مالك:

وَقَصْرُ ذِي الْمَدِّ اضْطِرَارًا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ وَالْعَكْسُ بِخُلْفٍ يَقَعُ

(مَا بِهَا مِنْ نَقَبٍ) يقال: نَقَبَ البعيرُ إِذَا رَقَّتْ أَخْفَافُهُ.

يحكى أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ضرب الغزو على قوم من المسلمين، فجاءه أعرابي فقال: يا أمير المؤمنين، إن ناقتي عَجَفَاءُ نَقَبَاءُ دَبْرَاءُ، فاحملني، فظنَّه عمر -رضي الله عنه- كاذبًا، فحَلَفَ أَنْ مَا بِهَا مِنْ نَقَبٍ وَلَا دَبْرٍ، وأعطاه شيئًا من الدقيق، ولم يحمله، فولَّى الأعرابي يسوق ناقته ويرتجز قائلاً:

أَقْسَمَ بِاللَّهِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ

مَا مَسَّهَا مِنْ نَقَبٍ وَمِنْ دَبْرٍ

فَاغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ فَجَرُ

أَيَّ إِنْ كَانَ حَنْثٌ، فسمعه عمر -رضي الله عنه- فجعل يقول: اللَّهُمَّ صَدَقْ، اللَّهُمَّ صَدَقْ، ثم دعاه فقال له: ضَعُ عَنْ راحلتك، فوضع عنها، فإذا هي كما قال عَجَفَاءُ نَقَبَاءُ دَبْرَاءُ، فحمله على بعير وزَوَّدَهُ وكساه.

(وَمِنْ وَجَى) الوجى: الوجعُ في حافرِ الفرسِ وفي خُفِّ البعير، وقد سبق ذلك في قوله:

(مَرْتُومَةُ الْأَيْدِي شَكَّتْ فَرَطَ الْوَجَى).

(وَسَلَّتِي) السَلَّتِي: أَثَرُ دَبْرَةِ الْبَعِيرِ أَيْ الْأَلَمُ فِي ظَهْرِ الْبَعِيرِ مِنْ أَثَرِ الرَّحْلِ أَوْ الْمَتَاعِ الْكَبِيرِ.

هكذا كانت النوق! كانت منتخبةً كما قال:

مِنْ كُلِّ قَرَوَاءٍ رُقُوبٍ فُنُقٍ

.....

دَوْسَرَةً هَوَجَاءَ وَجَنَامَا بِهَا مِنْ نَقَبٍ وَمِنْ وَجَى وَسَلَقِ
لكنها صارت بعد ذلك بسبب مواصلة السير الطويل ليلاً ونهاراً وقلة ترفُّق السائق
وتكليفها ما لا تطيق مهزولة ضعيفة غائرة الأعين مشققة الأيدي تسيل دماً.

مِنْ بَعْدِ مَا كَانَتْ هُنَيْدَةً غَدَتْ ٢٥ أَكْثَرَ مِنْ ذَوْدٍ وَدُونَ شَنْقٍ

(هُنَيْدَةً) هند وهنيدة: اسمٌ للمئة من الإبل، ثم سُمِّيَ به النساء، وقد يسمى به الرجال مثل
هند بن أبي هالة - رضي الله عنه - ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمُّه خديجة بنت
خويلد أمُّ المؤمنين رضي الله عنها، كان وصافاً، وَصَفَ حَلِيَّةَ رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - في الحديث المروي في «الشمايل».

(أَكْثَرَ مِنْ ذَوْدٍ) المشهور في الذود أنه ما بين الثلاث إلى العشر من الإبل.

(وَدُونَ شَنْقٍ) الشَّنْقُ: ما بين العشر إلى العشرين.

يقول: إن الإبل من بعد ما كانت هُنَيْدَةً أي مِئَةً صارت أقل من عشرين، فالتلف ليس في
أجسام الإبل فقط بل تعدى إلى نفوسها، فقد أباد السائق أكثرها، ولم يبق منها إلا القليل.

فَإِنْ تَمَادَيْتَ عَلَى إِتْعَابِهَا ٢٦ وَلَمْ تَكُنْ مُنْتَهِيَا عَنْ رَهَقٍ

(فَإِنْ تَمَادَيْتَ) أي استمررت (عَلَى إِتْعَابِهَا وَلَمْ تَكُنْ مُنْتَهِيَا) أي كافاً (عَنْ رَهَقٍ) أي عن

تحميلها ما لا تطيق.

فَسَوْفَ تَعْرُوكَ عَلَى إِتْلَافِهَا ٢٧ نَدَامَةُ الْكُسْعِيِّ وَالْفَرَزْدَقِ

(فَسَوْفَ تَعْرُوكَ) أي تغشاك وتصيبك.

(الْكُسْعِيُّ) هو الكُسْعِيُّ بفتح السين، وقد سَكَنَ الناظم السينَ للضرورة، وهو رجل من

كُسْعٍ حَيٍّ مِنَ الْيَمَنِ اسْمُهُ مُحَارِبُ بْنُ قَيْسٍ.

وكان من خبره أنه بَصُرَ بِنَبْعَةٍ - نوع من الشجر تُعْمَلُ منه الْقِسِيُّ - فصنع منها قوساً،

وأنشأ يقول:

يَا رَبِّ وَفَّقْنِي لِنَحْتِ قَوْسِي
فَإِنَّهَا مِنْ لَدَّتِي لِنَفْسِي
وَأَنْفَعُ بِقَوْسِي وَلَدِي وَعَرْسِي
أَنْحِتْهَا صَفْرَاءَ مِثْلِ الْوَرَسِ
صَلْدَاءَ لَيْسَتْ كَالْقِسِيِّ النُّكْسِ

(أَنْحِتْهَا) تقال بكسر الحاء وفتحها، والكسر أفصح، وبه قرئ في المتواتر: ﴿وَتَنْحِتُونَ﴾

مِنَ الْجِبَالِ بَيُوتًا فَارِهِينَ ﴿[الشعراء: ١٤٩]﴾.

ثم عمَدَ إلى ما كان من بُرَايَتِهَا فاتخذ منه خمسة أسهم، ثم خرج ليلاً، فمرَّ به قطيع من الحُمُرِ فرمى عَيْرًا منها بسهم فَأَمْخَطَهُ السَّهْمُ أَي نَفَذَ فِيهِ وَجَارَهُ، فأصاب الجبل الذي خلفه، فأورى نارًا، فظن الكُسْعِي أنه لم يُصِبْهُ؛ لأن ذلك كان بالليل، ثم وردت الحُمُرُ فرمى ثانيًا، فَأَمْخَطَهُ السهم، وكان كالذي مضى من رَمِيهِ، فظن أنه لم يصبه، وحصل ذلك خمس مرات، وهو في كل ذلك يظن أنه لم يصبه، فقال:

أَبْعَدَ خَمْسٍ قَدْ حَفِظْتُ عَدَّهَا
أَحْمِلُ قَوْسِي وَأُرِيدُ رَدَّهَا
أَخْزَى إِلَاهُ لِيْنَهَا وَشَدَّهَا
وَاللَّهِ لَا تَسْلَمُ مِنِّي بَعْدَهَا
وَلَا أَرْجِي - مَا حَيْثُ - رِفْدَهَا

ثم عمَدَ إلى قوسه فكسرها على صخرة، ثم بات إلى جانبها، فلما أصبح نَظَرَ فَإِذَا الحُمُرُ حوله مُطَرَّحَةً مُصَرَّعَةً، وَأَسْهُمُهُ بِالدِّمِ مُضَرَّجَةً، فندم على أن كسر القوس، فعَصَّ على إبهامه

فقطعها أَسْفًا وحسرة، ثم أنشأ يقول:

نَدِمْتُ نَدَامَةً لَوْ أَنَّ نَفْسِي تُطَاوِعُنِي إِذَا لَقَطَعْتُ خَمْسِي
تَبَيَّنَ لِي سَفَاهُ الرَّأْيِ مِنِّي لَعَمْرُ أَيْكَ حِينَ كَسَرْتُ قَوْسِي

ثم صار مثلاً لكل نادِمٍ على فِعْلٍ فَعَلَهُ، قال الشاعر:

نَدِمْتُ نَدَامَةَ الْكُسْعِيِّ لَمَّا رَأَتْ عَيْنَاهُ مَا صَنَعَتْ يَدَاهُ

أما الفرزدق فهو الشاعر المشهور هَمَّامُ بْنُ غَالِبٍ بنِ صَعْصَعَةَ، وكنيته: أبو فراس.

وكان من خبر ندامته أن ابنة عَمِّهِ النَّوَّارَ خَطَبَهَا رَجُلٌ فَرَضِيَّتُهُ، ولم يكن أحدٌ أقربَ إليها من أوليائها من الفرزدق، فسألت الفرزدق أن يزوجه إياه، فقال: حتى تُشْهَدِي النَّاسَ أَنَّكَ جعلتِ أَمْرَكَ إِلَيَّ، فلما أشهدت الناس على ذلك، قام فيهم وقال: "عَلِمْتُمْ أَنَّ النَّوَّارَ قَدْ وَلَّتْنِي أمرها، وأنا أشهدكم أني قد زوجتها من نفسي على مئةِ ناقةٍ حمراءِ سُودٍ الْحَدَقِ".

فَفَرَّتِ النَّوَّارُ مِنْ ذَلِكَ وَنَاكَرَتْهُ، وكان عبدالله بن الزُّبَيْرِ يومئذٍ أميراً على الحجاز والعراق واليمن، يُدْعَى لَهُ بِالْخِلَافَةِ فِيهَا، وكان في مكة، فحملها حَيٌّ مِنَ الْعَرَبِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ -رضي الله عنهما-، فقال في ذلك الفرزدق:

وَإِنَّ أَمْرَاءَ يَسْعَى يُخَبِّبُ زَوْجَتِي كَسَاعٍ إِلَى أَسَدِ الشَّرَى يَسْتَبِيلُهَا
وَمِنْ دُونِ أَبْوَالِ الْأَسُودِ بَسَالَةً وَأَيْدٍ طَوَالٍ يَمْنَعُ الضَّمِيمَ طَوْلَهَا

ثم إن الفرزدق لم يُدْرِكِ النَّوَّارَ حَتَّى قَدِمَتْ مَكَّةَ، ونزلت بزواج عبدالله بن الزُّبَيْرِ -رضي الله عنهما-، وهي تُماضِرُ بِنْتُ مَنظُورِ بْنِ زَبَّانٍ، ونزل الفرزدق على ابنه حمزة بن عبدالله بن الزبير ومدحه بشعر، وكان يرى أن كلَّ ما أصلح حمزة من أمر عبدالله بن الزبير بالنهار أفسدته زَوْجُهُ تُماضِرُ بِاللَّيْلِ، فقال:

أَمَّا الْبُنُونَ فَلَمْ تُقْبَلْ شَفَاعَتُهُمْ وَشَفَّعْتُ بِنْتُ مَنظُورِ بْنِ زَبَّانَا

لَيْسَ الشَّفِيعُ الَّذِي يَأْتِيكَ مُتَزَرًّا مِثْلَ الشَّفِيعِ الَّذِي يَأْتِيكَ عُزَيَانَا

فبلغ ذلك ابن الزبير فأحفظه ودعا النّوّار وقال: إن شئت فرقتُ بينكما وبعثته إلى ثغر من ثغور المسلمين، وأرحتُ المسلمين من شرِّ لسانه، وإلا فهو ابنُ عمِّك، وهو فيك راغب، فأزوّجه إياك، قالت: نعم، فزوّجه إياها، ثم إن الفرزدق تزوج عليها وهجاها وآذاها، فلم تزل تسأله طلاقها حتى أجابها إلى ذلك، وطلبتُ منه أن يُشهد الحسن البصري، فذهب وأشهد الحسن، وقال: "أشهدك أن النّوّار طالقٌ ثلاثاً"، فقال الحسن: "قد شهدنا"، فلما انصرف ندم على ما فعل، فقال له صاحبه: "والله إني أرى أن ندمك سيقترق، أتدري من أشهدت! والله لئن رجعت لترجمن بأحجارك" فقال الفرزدق في هذا:

نَدِمْتُ نَدَامَةَ الْكُسْعِيِّ لَمَّا غَدَتُ مِنِّي مُطَلَقَةً نَوَارُ
وَكَاثُ جَنَّتِي فَخَرَجْتُ مِنْهَا كَادَمَ حِينَ أَخْرَجَهُ الضَّرَارُ
وَكُنْتُ كَفَاقِي عَيْنَيْهِ عَمْدًا فَأَصْبَحَ مَا يُضِيءُ لَهُ نَهَارُ

وأخبار من طلق فندم وقال شعراً في ذلك كثيرة.

وَمَارَأَيْتُ شَاعِرًا بَيْنَ الْوَرَى طَلَّقَ إِلَّا عَابَ مَا مِنْهُ جَرَى
مِثْلُ ابْنِ شَاسٍ قَيْسِ الْفَرَزْدَقِ وَابْنِ أَبِي بَكْرٍ لِسَانَكَ أَتَقُ

وَكُنْتُ قَدْ عَوَّضْتُ عَنْ أَخْفَافِهَا ٢٨ خُفِّي حُنَيْنٍ ظَافِرًا بِالْأَنْقِ

الأخفاف: جمع خُفٍّ، والخُفُّ للبعير كالحافر للفرس، أما الخُفُّ الذي نلبسه فجمعه خِفاف.

وأما تعويضه بِخُفِّي حُنَيْنٍ؛ فهو مَثَلٌ يُضْرَبُ في الرجوع بالخيبة، وأصله: أن إسكافاً بالحيرة يقال له: حُنَيْنٌ جاءه أعرابي فساومه بخفين، وماكسه فيهما حتى أخرجهما، ثم لم يشتر

١ البيتان من منظومة صنعة من طب لمن حب في علم الأدب، انظر: شرحهما في شرح المنظومة ص ١٠٦.

منه، فأغضب ذلك حُنيئًا وعزم على أن يكيدَه، فرصده حتى إذا ارتحل تقدَّمه بالخفين، فعَلَّقَ أحدهما على شجرة على طريق الأعرابي، ثم تقدم قليلًا وطرح الآخر على قارعة الطريق، ثم كَمَنَ حيث لا يراه أحد.

فجاء الأعرابي حتى إذا حاذى الخُفَّ المُعَلَّقَ بَصُرَ به فقال: ما أشبه هذا الخف بخف حنين، فلو كان معه صاحبه لأخذته، ثم سار قليلًا فعَثَرَ على الآخرِ مطروحًا، فنَدِمَ على تفريطه في الأول، فنزل عن راحلته فعَقَلَهَا وأخذ الخف المطروح، ورجع ليأخذ الخف الأول، فخرج حنين فأخذ الراحلة وما عليها وذهب؛ حتى إذا رجع الأعرابي بحث عنها فلم يجدها؛ فلما أيس منها رَجَعَ إلى حَيِّهِ ومعه الخفان، فكان قومه يقولون: بم جئت من سفرك؟ فيقول: جئتكم بخفي حنين، فذهب قوله هذا مَثَلًا يُضْرَب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخبية.

يقول في البيتين قبله: إذا تماديت على إتعاب هذه النوق فإنها ستتلف وستندم عليها كما ندم الكسعي والفرزدق.

ويقول في هذا البيت: لن تندم فحسب بل سترجع بخفي حنين، أي سترجع بالخبية والحرمان بدلًا من رجوعك بها؛ لأنها ستتلف ولن يبقى منها شيء.

أما قوله: (ظَافِرًا بِالْأَنْقِ) فالظَّفَرُ: الفوز، والأَنْقُ: الفرح والسرور، وهذا الاستعمال في الضدِّ معدودٌ عند علماء البيان من التَّهَكُّم ومنه قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] المقصود: الدَّلِيلُ المُهَانُ، ومنه قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الانشقاق: ٢٤] البشارة حقيقة فيما يَسُرُّ، وقد وُضِعَتْ هنا موضع النذارة، ومنه قوله تعالى: ﴿هَذَا نَزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الواقعة: ٥٦] النُّزْلُ: ما يُعَدُّ للضيف، وقد سميت هنا صنوفُ العذابِ المذكورة في الآيات قبلها نَزْلًا، ومن طريف هذا الفن قولُ ابن الرومي:

فَيَالَهُ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ يَرْفَعُهُ اللَّهُ إِلَى أَسْفَلٍ

لَأَنْتَ أَظْلَمُ مِنْ ابْنِ ظَالِمٍ ٢٩ إِنَّ كُنْتَ مِنْ بَعْدُ بِهَا لَمْ تَرْفُقِ

(أَظْلَمُ) الظُّلْمُ: وضع الشيء في غير موضعه.

(مِنْ ابْنِ ظَالِمٍ) ابْنُ ظَالِمٍ: فاتكُ مِنْ فَتَاكِ العرب المشهورين، اسمه: الحارث بن ظالم

المري.

له أخبار كثيرة منها: فَتَكُهُ بخالد بن جعفر، وهو في جوار الملك النعمان بن المنذر، وكان خالد بن جعفر قد قتل بعض أشراف قبيلة الحارث بن ظالم، فقال الحارث بن ظالم لقومه: أنا أكفيكم خالد بن جعفر فليل له: كيف تصل إليه وهو في جوار الملك؟ فقال: لَأَقْتُلَنَّهُ ولو كان في حَجْرِهِ.

ثم أخذ الحارثُ فَرَسًا من عِتَاقِ خَيْلِ بني مُرَّةَ وأهداه للملك النعمان، فأعجبه، وأقبل عليه، وقربه، ورفع منزلته عنده، ووصل الحارثُ إلى جعفر بن خالد فقتله وفرَّ، فَوَجَّهَ النُّعْمَانُ في إِثْرِهِ جماعةً فلحقوا به، فقتل الحارثُ بعضهم ورجع الباقون ولم يظفروا به، وَلَحِقَ الحارثُ بِنُ ظَالِمٍ بأهله.

هذه إحدى فتكاته، وللعرب في الحارث بن ظالم مغالاةٌ كبيرة.

يقول ابن النونان في هذا البيت: لَأَنْتَ يا حادي النوق إن لم تَرْفُقْ بها أَظْلَمُ من الحارث بن

ظالم الذي تَضْرِبُ العرب المَثَلَ بفتكه.

رَفُقًا بِهَا قَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى ٣٠ وَاتَّسَعَ الْخَرْقُ عَلَى الْمُرْتَقِ

(رَفُقًا بِهَا) أي ارفُق بها.

(قَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى) الزُّبَى: جمع زُبْيَةٍ وهي حفرة تُتَّخَذُ للأسد في الموضع العالي،

وَتُغَطَّى بشيء ويُجعل عليها لحم، فإذا جاء الأسد ليتناول اللحم سقط فيها، ثم يُتَّبَعُ بعد ذلك

بالرماح.

وقولهم: "قَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبْيَ" مَثَلٌ يُضْرَبُ لِلشَّيْءِ الَّذِي جَاوَزَ الْحَدَّ؛ لِأَنَّ السَّيْلَ لَا يَصِيرُ إِلَى الْمَوْضِعِ الْعَالِيِّ إِلَّا إِذَا كَانَ جَارِفًا مُجَحِّفًا.

(وَأَتَّسَعَ) اتَّسَعَ: ضِدُّ ضَاقَ.

(الْخَرْقُ) الْخَرْقُ: الثَّقْبُ النَّافِذُ.

(عَلَى الْمُرْتَقِ) الْمُرْتَقُ: فَاعِلُ التَّرْتِيقِ يُقَالُ: رَتَقَ الثَّوبَ إِذَا أَصْلَحَهُ، وَالرَّتْقُ ضِدُّ الْفَتْقِ

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠]. وَهُوَ مَثَلٌ

يُضْرَبُ لِبُلُوغِ الْأَمْرِ نَهَايَةً لَا يُمْكِنُ تَدَارُكُهَا.

وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ:

لَا نَسَبَ الْيَوْمَ وَلَا خُلَّةً اتَّسَعَ الْخَرْقُ عَلَى الرَّاتِقِ

وَفِي رَوَايَةٍ: "عَلَى الرَّاقِعِ".

يَقُولُ لِلْسَّائِقِ: ارْفُقْ بِهَا؛ فَقَدْ بَلَغَ الْأَمْرَ غَايَتَهُ فِي الْهَوْلِ، وَبَلَغَ حَدًّا لَا يُمَكِّنُ تَدَارُكُهُ.

وَهَبٌ لِأَيْدِيهِنَّ أَيْدًا وَلَهَا ٣١ مَتْنًا مَتِينًا مَا خَلَا عَنْ مَصْدَقِ

(وَهَبٌ) هَبٌ: اعْتَقَدَ، وَهُوَ فِعْلٌ أَمْرٌ لَا يُسْتَعْمَلُ مِنْهُ مَاضٍ وَلَا مُضَارِعٌ.

(لِأَيْدِيهِنَّ) الْأَيْدِي: جَمْعُ يَدٍ.

(أَيْدًا) الْأَيْدُ: الْقُوَّةُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الحجرات: ٤٧] أَيَّ بِقُوَّةٍ، وَقَوْلُهُ

تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ﴾ [ص: ١٧] أَيَّ ذَا الْقُوَّةِ.

(وَلَهَا مَتْنًا) الْمَتْنُ: الظَّهَرُ.

(مَتِينًا) الْمَتِينُ: الشَّدِيدُ الْقَوِيُّ.

(مَا خَلَا عَنْ مَصْدَقِ) الْمَصْدَقُ: مَفْعَلٌ مِنَ الصِّدْقِ وَهُوَ الشَّدَّةُ وَالصَّلَابَةُ.

يقال: شَيْءٌ صَدَقَ أَي صُلِبَ قَوِيٌّ، قال عنتره في معلقته:

جَادَتْ لَهُ كَفِّي بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ بِمُثَقَّفِ صَدَقِ الْكُؤُوبِ مُقَوِّمٍ

قال في موطأة الفصيح:

وَالصَّدَقُ فِي الْأَشْيَاءِ مِثْلُ الصُّلْبِ وَالصَّدَقُ فِي الْقَوْلِ لِضِدِّ الْكَذِبِ

فَمَا لِظُعْنٍ حَمَلَتْ مِنْ مِرَّةٍ ٣٢ بِظُعْنٍ أَوْدَى بِهَا فِي الْغَسَقِ

(فَمَا لِظُعْنٍ) الظُّعْنُ وَالظُّعْنُ: جَمْعُ ظُعِينَةٍ، وهي في الأصل: المرأة في الهَوْدَجِ، ثم تُوسَّعُ

فيه فأُطْلِقَ على المرأة مطلقاً وإن لم تكن في الهَوْدَجِ.

(مِنْ مِرَّةٍ) المِرَّةُ: قُوَّةُ الْخَلْقِ وَشِدَّتُهُ، ومنه قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ [النجم: ٦].

(بِظُعْنٍ) الظُّعْنُ وَالظُّعْنُ -بِفَتْحَتَيْنِ وَبِفَتْحٍ فَسَكُون-: السَّيْرُ، يقال: ظَعَنَ إِذَا سَارَ، قال

تعالى: ﴿يَوْمَ ظَعَنَكُمُ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ [النحل: ٨٠] أَي فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ.

(أَوْدَى بِهَا) أَهْلَكَهَا.

(فِي الْغَسَقِ) الْغَسَقُ: ظِلْمَةُ أَوَّلِ اللَّيْلِ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾

[الفلق: ٣].

يقول في هذين البيتين: افْرِضْ أَنَّ هَذِهِ الْإِبِلَ قَوِيَّةٌ، فإِلسَاءُ اللَّاتِي عَلَيْهِنَّ لَيْسَ بِهِنَّ قُوَّةٌ

على سَفَرٍ يُهْلِكُهُنَّ فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ، فإِلسَاءُ تَكْ أَيُّهَا الْحَادِي السَّائِقُ لَيْسَتْ قَاصِرَةً عَلَى النَّوْقِ بَلْ

كَمَا قَالَ بَعْدُ:

أَسَأَتْ لِلْغَيْدِ وَلِلنُّوْقِ وَلِي ٣٣ إِسَاءَةٌ بِتَوْبَةٍ لَمْ تُمَحَقْ

(أَسَأَتْ) الْإِسَاءَةُ: ضِدُّ الْإِحْسَانِ.

(لِلْغَيْدِ) الْغَيْدُ: جَمْعُ غَيْدَاءٍ وَهِيَ الْمَرْأَةُ الْمُتَشَبِّهَةُ لَيْنًا.

(لَمْ تُمَحَقْ) يُقَالُ: مَحَقَهُ إِذَا أَبْطَلَهُ وَمَحَاهُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٦]

أَيُّ يُهْلِكُهُ حِسًّا بِتَلْفِهِ أَوْ مَعْنَى بَذَاهِبِ بَرَكَّتِهِ.

يقول: أسأت إساءةً عظيمةً لا تمحوها توبةٌ.

لَوْ لَمْ يَكُنْ بِحُبِّ حِلْمٍ أَحْنَفٍ ٣٤ وَالْمِنْقَرِي قَلْبِي ذَا تَعَلَّقِ

حَمَلْتُ رَأْسَكَ عَلَى شَبَا الْقَنَا ٣٥ مُرَوَّعًا بِهِ حُدَاةَ الْإِيْثَقِ

(لَوْ لَمْ يَكُنْ بِحُبِّ) الْحُبُّ وَالْمَحَبَّةُ: مَيْلُ النَّفْسِ بِفَطْرَتِهَا إِلَى مَا تُدْرِكُ حُسْنَهُ أَوْ إِحْسَانَهُ.

(حِلْمٍ) الْحِلْمُ: مَصْدَرُ حَلَمَ إِذَا صَفَحَ وَسَتَرَ. وَإِذَا ذُكِرَ الْحِلْمُ ذُكِرَ الْأَحْنَفُ بَنِي قَيْسٍ لِذَلِكَ

ذَكَرَهُ النَّازِمُ هُنَا.

(الشَّبَا) الشَّبَا: وَاحِدَتُهُ شَبَاةٌ، وَشَبَاةٌ كُلُّ شَيْءٍ حَدُّهُ وَطَرْفُهُ.

(الْقَنَا) الْقَنَا: وَاحِدَتُهُ قَنَاةٌ، وَهِيَ الرَّمْحُ.

(مُرَوَّعًا) أَيُّ مُفْزِعًا يَقَالُ: رَوَّعَهُ إِذَا أَخَافَهُ وَأَفْزَعَهُ.

وَقَدْ ذَكَرَ النَّازِمُ الْأَحْنَفَ بَنِي قَيْسٍ وَالْمِنْقَرِيَّ، نَبْدًا بِالْمِنْقَرِيِّ لِأَنَّهُ صَحَابِيٌّ.

أَمَّا الْمِنْقَرِيُّ فَهُوَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ الْمِنْقَرِيُّ التَّمِيمِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَفَدَّ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَصَحْبَهُ، وَكَانَ مَشْهُورًا بِالْحِلْمِ وَالْعَقْلِ، حَتَّى إِنَّهُ لَمَّا قِيلَ لِلْأَحْنَفِ: مِمَّنْ

تَعَلَّمْتَ الْحِلْمَ؟ قَالَ: مِنْ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ الْمِنْقَرِيِّ. وَهُوَ خَالُ الْأَحْنَفِ.

قَالَ الْأَحْنَفُ: رَأَيْتُهُ يَوْمًا قَاعِدًا مُحْتَبِيًّا بِحِمَائِلِ سَيْفِهِ -حِمَالَةُ السَّيْفِ: حَبْلُهُ- يُحَدِّثُ

قَوْمَهُ، حَتَّى أَتَى بِرَجُلٍ مَكْتُوفٍ وَآخَرَ مَقْتُولٍ، فَقِيلَ لَهُ: هَذَا ابْنُ أَخِيكَ قَتَلَ ابْنَكَ.

قَالَ الْأَحْنَفُ: فَوَاللَّهِ مَا حَلَّ حَبَوْتَهُ وَلَا قَطَعَ كَلَامَهُ، فَلَمَّا أَتَمَّهُ التَّفَتَ إِلَى ابْنِ أَخِيهِ فَقَالَ: يَا

ابْنَ أَخِي، بِئْسَ مَا فَعَلْتَ، عَصَيْتَ رَبَّكَ، وَقَطَعْتَ رَحِمَكَ، وَقَتَلْتَ ابْنَ عَمِّكَ، وَرَمَيْتَ نَفْسَكَ

بِسَهْمِكَ. ثُمَّ قَالَ لِابْنِهِ لَهُ آخَرُ: قُمْ يَا بُنَيَّ فَوَارِ أَخَاكَ، وَحُلِّ كِتَافِ ابْنِ عَمِّكَ، وَسُقْ إِلَى أَمْلِكَ

مِثَّةَ نَاقَةٍ دِيَّةَ ابْنِهَا فَإِنَّهَا غَرِيْبَةٌ. وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ.

وأما الأحنف فهو الأحنف بن قيس التميمي من سادات التابعين، أسلم - رحمه الله - في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يجتمع به، وكان سيّد بني تميم والمطاع فيهم، كان إذا غَضِبَ سَلَّتْ بنو تميم سِيوفَها قبل أن يعلموا فيم غَضِبَ. خاصمه مرة رجل فقال للأحنف: لئن قلت واحدة لتسمعن مني عشراً. فقال الأحنف: لكنك إن قلت عشراً لم تسمع واحدة.

وقال الأحنف: "لست بحليم ولكني أتحالم".

قال حاتم الطائي:

تَحَلَّمْ عَنِ الْأَذْنَيْنِ وَاسْتَبِقْ وَدَّهْمٌ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الْحِلْمَ حَتَّى تَحَلَّمَا

أي كن حليماً على أقاربك ومن تعاشره وتصاحبه، واستبق حبهام لك، ولن تكون حليماً حتى تتحلم، فإذا لم تكن حليماً فاصطنع الحلم، فالجلم بالتحلم.

هنا انتقل الناظم إلى التهديد يقول: لولا حُبِّي لِجِلْمِ الأحنف بن قيس التميمي وقيس بن عاصم المنقري وتعلّق قلبي بذلك لحملتُ رأسك أيها الحادي على رؤوس الرماح حتى أجعلك عبرة لكل من تُسَوِّلُ له نفسه من الحداة أن يكلف الإبل ما لا تطيق.

فَسُقْ فَلَا نَعِمَ عَوْفُكَ وَلَا ٣٦ أَمِنْ خَوْفُكَ وَلَا تَذَرْنَفِقَ

(فَسُقْ) أمرٌ من السَّوَقِ.

(فَلَا نَعِمَ عَوْفُكَ) هذا دعاء عليه أي لا نعيم بالكَ، فالعَوْفُ: البال والشأن.

(وَلَا أَمِنْ خَوْفُكَ) دعاء عليه أيضاً.

(وَلَا تَذَرْنَفِقَ) يقال: اذْرَنْفَقَ الرجل إذا أسرع.

يقول: أما وقد نجاك حلمي فسُقْ، ثم دعا عليه بالألا ينعَمَ بالهُ وألا يظَلَّ خائفاً، وجدّد نهيه

عن الإسراع.

وَدَعٌ يَسُوقُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَقَدْ ٣٧ دَنَا وَلُوجُهَا بِوَعْرِ ضَيْقٍ

(وَدَعٌ) معناه: اترك، والمشهور عند أهل اللغة أن العرب أماتت ماضي يدَعُ ومصدره لكن قد قرئ في الشواذ: ﴿مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ٣]، بتخفيف الدال، وفي الحديث «مَنْ عَلَقَ وَدَعَةً فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ» أي لا تَرَكَهُ في دَعَةٍ وسكون، ومن المصدر ما في الحديث «لَيْتَهُنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدَعِهِمُ الْجُمُعَاتِ» أي عن تركهم الجمعَات. فالصواب - كما في المصباح المنير - التعبير بقلة الاستعمال لا الإماتة.

(يَسُوقُ بَعْضُهَا بَعْضًا) أي تسوق نفسها بنفسها.

(فَقَدْ دَنَا) أي قَرُبَ.

(وَلُوجُهَا) أي دخولها.

(بِوَعْرِ) الوَعْرُ: الصعب.

يقول: اتركها تسوق نفسها بنفسها فقد قَرُبَ دخولها بمكان وَعْرِ ضَيْقٍ لا يمكن أن تسلكه إلا أن تكون متتابعة يقدّم بعضها بعضًا، أما أنت فسوقك العنيف يُحْرِجُهَا وَيَحْمِلُهَا على التدافع في هذا الطريق الوعر، فتعطبُ بذلك وتهلك.

ثم بعد أن نهى سائق النوق عن الإسراع وأرشده إلى صفة سَوِقِهَا رَتَبَ على ذلك قوله:

وَلِتَّخِذْنِي رَائِدًا فَإِنِّي ٣٨ دُو خَبْرَةٍ بِمُبْهَمَاتِ الطُّرُقِ

(وَلِتَّخِذْنِي رَائِدًا) أي لِتَجْعَلْنِي رَائِدًا، والرَّائِدُ: هو المُرْسَلُ في طلب الكلاء، والكَلَاءُ:

العُشْبُ الرَّطْبُ.

(فَإِنِّي دُو خَبْرَةٍ) الخَبْرَةُ: العِلْمُ بالشيء،

(بِمُبْهَمَاتِ الطُّرُقِ) مُبْهَمَاتُ الطُّرُقِ: خَفِيَّاتُهَا وَمُغْلَقَاتُهَا، والطُّرُقُ: جَمْعُ طَرِيقٍ، والطريق

تُذكر وتؤنث.

يقول: لِتَجْعَلَنِي دَلِيلَكَ أَرْتَادُ لَكَ الْمَرَاعِي الْخِصْبَةَ وَأَسِيرُ بِكَ؛ فَإِنِّي خَيْرٌ بِالطَّرْقِ الْخَفِيَّةِ.

إِنْ غَرِثْتُ عَلَفْتُهَا وَلَوْ بِمَا ٣٩ جَمَعْتُهُ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقٍ

(إِنْ غَرِثْتُ) أي جاعت فالغَرِثُ: الجُوع، قال حسان - رضي الله عنه -:

حَصَانُ رَزَانُ مَا تُزَنُّ بِرِبِيَّةٍ وَتُصْبِحُ غَرَثِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ

أي أنها لا تَرْتَعُ في أعراض الناس.

(وَوَرِقٍ) الورقُ: دراهمُ الفضة المضروبة، تُكْسَرُ فيها الرءاء وتُسَكَّنُ، وقد قُرئ بهما قوله

تعالى: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ [الكهف: ١٩].

أَوْ صَدِيتْ أَوْرَدْنَهَا مِنْ أَدْمَعِي ٤٠ نَهَرَ الْأُبْلَةَ وَنَهَرَ جَلَّتِي

(أَوْ صَدِيتْ) أي عَطِشَتْ، وَالصَّدى: العطش.

(أَوْرَدْنَهَا) الإيرادُ: ضِدُّ الإصدار، يُقال: وَرَدَ الْمَاءُ إِذَا أَتَاهُ، وَصَدَرَ عَنْهُ إِذَا رَجَعَ، وَقَدْ

اجتمعَا في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ﴾ أي جاء وأتى ﴿مَاءَ مَدِينٍ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ

يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾

[القصص: ٢٣] أي حتى يرجعوا وينصرفوا.

(نَهَرَ الْأُبْلَةَ) الأُبْلَةُ: مدينةٌ بالعراق تقعُ على شاطئِ دجلة، وهي من جنان الدنيا

ومُتَنَزَّهَاتِهَا، وقد أكثر الأدباء من ذِكْرِهَا في أشعارهم، قال أبو القاسم التَّنُوخِيُّ:

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى الْأُبْلَةِ خِلْتَهَا مِنْ جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ حِينَ تَخِيلُ

(وَنَهَرَ جَلَّتِي) جَلَّتُ: هي دمشق، قال حسان بن ثابت - رضي الله عنه -:

لِلَّهِ دُرٌّ عَصَابَةٌ نَادِمَتْهُمْ يَوْمًا بِحِلْقٍ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ

وقد تذاكر جماعةُ المُتَنَزَّهَاتِ يَوْمًا وفيهم ابنُ دُرَيْدٍ صاحبُ الجُمهرة والمقصورة، فقال

بعضهم: أَنَزَّهُ الأَماكِنَ غُوطَةً دِمَشْقَ، وقال آخرون: بل نَهْرُ الأُبُلَّةِ، وقال آخرون: بل شَعْبُ بَوَّانَ بِأَرْضِ فَارَسَ، وشَعْبُ بَوَّانَ هو الَّذِي قال فِيهِ المُتَنَبِّي:

مَغَانِي الشَّعْبِ طِيَّافِي الْمَغَانِي بِمَنْزِلَةِ الرَّيِّعِ مِنَ الزَّمَانِ
وَلَكِنَّ الْفَتَى الْعَرَبِيَّ فِيهَا غَرِيبُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ
مَلَاعِبُ جَنَّةٍ لَوْ سَارَ فِيهَا سُلَيْمَانُ لَسَارَ بِتَرْجَمَانِ

فقال لهم ابن دُرَيْدٍ: هذه مُتَنَزِّهَاتُ الْعِیُونِ فَأینَ أَنْتُمْ عَنْ مُتَنَزِّهَاتِ الْقُلُوبِ؟ قال: وما هي يا أبا بكر؟ قال: عِیُونُ الْأَخْبَارِ لِلْقُتَيْبِيِّ -أي لابن قُتَيْبَةَ- وَذَكَرَ كُتُبًا مِنْ كُتُبِ الْأَدَبِ، ثم أَنشَأَ یقول:

وَمَنْ تَكُ نُزْهَتُهُ قَيْنَةٌ وَكَأْسُ تَحْتٍ وَكَأْسُ تُصَبِّ
فَنُزْهَتُنَا وَأَسْـَـوْا تِرَاحِنًا تَلَاقِي الْعِیُونَ وَدَرُسُ الْكُتُبِ

رِفْقًا بِهَا شَفِيعُهَا هَوَادِجُ ٤١ غَدَتِ سَمَاءٌ كُلُّ بَذْرِ مُشْرِقٍ

بعد أن ذكر الناظم رَحِيلَ الْأَحِبَّةِ، وَالْإِبِلَ الَّتِي تَحْمَلُوا عَلَيْهَا، وَلَامَ الْحَادِي عَلَى عُنْفِهِ فِي سَوْقِهَا، وَذَكَرَهُ بِمَنْ تَحْمِلُ عَلَى ظُهورِهَا مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا طَاقَةَ بَيْنَ عَلَى السَّيْرِ الْعَنِيفِ، انْتَقَلَ إِلَى ذِكْرِ صِفَاتِ الْمَحْبُوبِ فَقَالَ:

(رِفْقًا بِهَا) رِفْقًا: مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ نَائِبٌ عَنْ فَعْلِهِ، أَيِ ارْفُقْ بِالْإِبِلِ.

(شَفِيعُهَا هَوَادِجُ) الْهَوَادِجُ: مَرَاكِبُ النِّسَاءِ. وَهُوَ مَمْنُوعٌ مِنَ الصَّرْفِ لِأَنَّهُ عَلَى صِيغَةِ مَمْنُوعِ الْجُمُوعِ، وَقَدْ صَرَفَهُ النَّازِمُ لِلضَّرُورَةِ.

(غَدَتِ): أَيِ غَدَتِ الْهَوَادِجُ.

(سَمَاءٌ كُلُّ بَذْرِ مُشْرِقٍ) شَبَّهَ الْهَوَادِجَ بِالسَّمَاءِ، وَاسْتَعَارَ الْبَدَوْرَ الْمُشْرِقَةَ لِلنِّسَاءِ اللَّاتِي فِي

الهُوَادِجُ.

مِنْ كُلِّ غَيْدَاءٍ عَرُوبٍ بَضَّةٍ ٤٢ رُغْبُوبَةٍ عَيْطَاءٍ ذَاتِ رَوْنَقٍ

(غَيْدَاءُ) الغَيْدَاءُ: الْمُتَشَنِّهُ لِنَا.

(عَرُوبٍ) العَرُوبُ من النساء: الْمُتَحَبِّبَةُ إِلَى زَوْجِهَا، وَالْجَمْعُ: عُرْبٌ وَعُرْبٌ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ

تَعَالَى: ﴿عُرْبًا أَتْرَابًا﴾ [الوَاقِعَةُ: ٣٧]، قُرِئَ بِضَمِّ الرَّاءِ وَبِسُكُونِهَا، وَسُكُونُهَا تَخْفِيفٌ.

(بَضَّةٍ) البَضَّةُ: الرَّخْصَةُ الْبَدَنِ النَّاعِمَةُ.

(رُغْبُوبَةٍ) الرُّغْبُوبَةُ: هِيَ الْبَيْضَاءُ النَّاعِمَةُ.

(عَيْطَاءُ): الْعَيْطَاءُ: طَوِيلَةُ الْعُنُقِ، وَهُوَ مِمَّا يُتَمَدَّحُ بِهِ.

(ذَاتِ رَوْنَقٍ) الرَّوْنَقُ: الْحُسْنُ.

خَرِيدَةٍ مَمْسُودَةٍ رَقْرَاقَةٍ ٤٣ وَهْنَانَةٍ بَهْنَانَةٍ الْمُعْتَنَقِ

(خَرِيدَةٍ) الْخَرِيدَةُ: الْبِكْرُ الَّتِي لَمْ تُمَسَّ، وَيُقَالُ: لَوْلُؤَةٌ خَرِيدَةٌ لِلَّتِي لَمْ تُثَقَّبَ.

(مَمْسُودَةٍ) الْمَمْسُودَةُ: الْمَجْدُولَةُ الْخَلْقِ الْمَمْشُوقَةُ الْقَدَّ.

(رَقْرَاقَةٍ) الرَّقْرَاقَةُ: الْمُتَلَالِئَةُ الْبَرَّاقَةُ الَّتِي كَأَنَّ الْمَاءَ يَجْرِي فِي وَجْهِهَا حُسْنًا.

(وَهْنَانَةٍ) الْوَهْنَانَةُ: الَّتِي فِيهَا فَتَوْرٌ عِنْدَ الْقِيَامِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا مَخْدُومَةٌ، إِذْ لَوْ كَانَتْ

تَخْدُمُ نَفْسَهَا لَكَانَتْ أَنْشَطَ وَأَجْلَدَ، قَالَ الْأَعَشَى:

يَكَادُ يَضْرَعُهَا لَوْلَا تَشَدُّدُهَا إِذَا تَقُومُ إِلَى جَارَاتِهَا الْكَسَلِ

وَقَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ:

وَتُضْحِي فَيَتُ الْمِسْكُ فَوْقَ فَرَاشِهَا نَوُومُ الضُّحَى لَمْ تَتَطَّقْ عَنْ نَفْضِ

(بَهْنَانَةِ الْمُعْتَنَقِ) بَهْنَانَةُ الْمُعْتَنَقِ: طَيِّبَتُهُ وَلَيْسَتُهُ.

وَقُلْ لِرَبَّاتِ الْهُوَادِجِ أَنْجَلِي — ٤٤ — نَ آمَنَاتٍ فَزَعٍ وَفَرَقٍ

(لِرَبَّاتِ الْهَوَاجِ) رَبَّاتُ الْهَوَاجِ: صاحبات الهواج وهن النساء اللاتي وصفهن،
والهواج كما سبق: مراكب النساء.

(أَنْجَلِينَ) أي ابْرُزْنَ وَآخِرُجْنَ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ
لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ [الحشر: ٣]، الجَلَاءُ: هو الخروج من الديار.

(آمَنَاتٍ فَزَعٍ وَفَرَقٍ) أي آمَنَاتٍ مِنَ الدُّعْرِ وَالْخَوْفِ، وَالْأَمْنُ ضِدُّ الْفَزَعِ، قال تعالى:
﴿وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩].

يقول للحادي: قل للنساء اللاتي في الهواج يَبْرُزْنَ غَيْرَ خَائِفَاتٍ، فلن يدنو منهن أحد.

ثم ذكر علة ذلك في البيت الذي بعده فقال:

فَإِنِّي أَشْجَعُ مِنْ رِبْعَةٍ ٤٥ حَامِي الطَّعِينَةِ لَدَى وَقْتِ اللَّقْيِ

يقول: قل لهن يبرزن من الهواج؛ لأنني أشجع من ربيعة حامي الطعينة، وهو ربيعة بن
مُكَدَّم الكِنَانِي، يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فيقال: أحمى من مُجِيرِ الظُّعْنِ.

وَالظُّعْنُ وَالظُّعْنُ: جمع طعينة، والطعينة في الأصل المرأة في هودجها، ثم تُوَسَّعَ فِيهِ

فسميت بهذا الاسم وإن كانت في بيتها.

وكان من خبر حمايته لظعنته: أن دُرَيْدَ بْنَ الصَّمَّةِ كان في فوارس من قومه، فُرِفِعَ لَهُ مِنْ

ناحية رجلٍ معه ظعنته، وكان هذا الرجل ربيعة بن مُكَدَّم، فقال لفارسٍ من قومه: دونكه،

فصاح به الرجل: أَنْ خَلَّ عَنْ الطَّعِينَةِ وَانْجُ بِنَفْسِكَ، فَأَلْقَى رِبْعَةُ زِمَامَ الرَّاحِلَةِ إِلَى ظَعْنَتِهِ

وقال لها:

سِيرِي عَلَى رِسْلِكَ سَيْرَ الْأَمَنِ

سَيْرَ رَدَاحِ ذَاتِ جَأْشٍ سَاكِينِ

إِنَّ أَتَشَائِي دُونَ قِرْنِي شَائِنِي

ابْلَى بَلَائِي وَاخْبُرِي وَعَايِنِي

ثم حمل على الفارس قطعنه فصرعه وأخذ فرسه، وأعطاه الظعينة.

فَبَعَثَ دُرَيْدٌ ثَانِيًا لِيَنْظُرَ مَا صَنَعَ صَاحِبُهُ، فَرَأَاهُ صَرِيْعًا، فَصَاحَ بِرَبِيعَةٍ فَتَصَامَّ عَنْهُ، فَظَنَّ أَنَّهُ

لَمْ يَسْمَعْهُ، فَغَشِيَهُ فَأَلْقَى رَبِيعَةً الزَّمَامَ إِلَى ظُعِينَتِهِ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَى الْفَارَسِ فَصَرَعَهُ وَهُوَ يَقُولُ:

خَلَّ سَبِيلَ الْحُرَّةِ الْمَنِيْعَةِ

إِنَّكَ لَا قِيَامَ دُونَهَا رَبِيعَةٍ

فِي كَفِّهِ خَطِيئَةٌ مُطِيعَةٍ

أَوْ لَا فَخُذَهَا طَعْنَةٌ سَرِيعَةٍ

وَالطَّعْنُ مِنِّي فِي الْوَعَى شَرِيعَةٍ

فلما أبطأ الأمر على دُرَيْدٍ أَرْسَلَ ثَالِثًا لِيَنْظُرَ مَا صَنَعَ الْفَارِسَانِ، فَانْتَهَى إِلَيْهِمَا فَرَاَهُمَا

صَرِيعَيْنِ وَنَظَرَ إِلَى رَبِيعَةٍ يَقُودُ ظُعِينَتَهُ وَيَجْرُرُ رَمَحَهُ، فَقَالَ لِرَبِيعَةٍ: خَلِّ الظُعِينَةَ وَانْجُ بِنَفْسِكَ،

فَقَالَ رَبِيعَةٌ لَظُعِينَتِهِ: اقْصِدِي قَصْدَ الْبُيُوتِ، ثُمَّ أَقْبِلِي عَلَى الْفَارَسِ وَهُوَ يَقُولُ:

مَاذَا تُرِيدُ مِنْ شَتِيمِ عَابِسٍ

أَمَا تَرَى الْفَارِسَ بَعْدَ الْفَارِسِ

أَرَدَاهُمَا عَامِلُ رُمَحٍ يَابِسٍ

مَنْ يَدُنْ مِنِّي لِلْحَيَاةِ يَابِسِ

ثم طَعَنَهُ فَصَرَعَهُ، وَانْكَسَرَ رُمَحُ رَبِيعَةٍ، ثُمَّ إِنَّ دُرَيْدًا ارْتَابَ فِي أَمْرِ الْفُؤَارِسِ؛ وَظَنَّ أَنَّهُمْ قَدْ

قَتَلُوا رَبِيعَةً وَأَخَذُوا الظُعِينَةَ، فَلَحَقَ بِهِمْ بِنَفْسِهِ فَوَجَدَهُمْ قَدْ قُتِلُوا، وَوَجَدَ رَبِيعَةً لَا رُمَحَ مَعَهُ،

وَقَدْ دَنَا رَبِيعَةٌ مِنْ حَيِّهِ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْفَارِسُ، إِنَّ مِثْلَكَ لَا يُقْتَلُ، وَقَدْ تَرَكْتُ الْخَيْلَ جَائِلَةً

بَأَهْلِهَا، وَلَا أَرَى مَعَكَ رَمَحًا، وَأَرَاكَ حَدِيثَ السِّنِّ، فَدُونَكَ هَذَا الرَّمَحُ، فَإِنِّي رَاجِعٌ إِلَى

أصحابي فمبْطُهم عنك؛ فأتى دُرَيْدٌ قومَه وقال: إن فارسَ الظعينة قد حماها، وقتل
فوارسكم، وانتزع رُمحي، ولا مطمع لكم فيه، فانصرف القوم وكان هذا من مروءة دُرَيْد بن
الصمة أنه لما رآه لا رُمح معه لم يُقاتله، وقال دُرَيْدٌ في ذلك:

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ حَامِي الظَّعِينَةِ فَارِسًا لَمْ يُقْتَلِ
أَرْدَى فَوَارِسَ لَمْ يَكُونُوا نُهْزَةً ثُمَّ اسْتَمَرَ كَأَنَّهُ لَمْ يَفْعَلِ
النُّهْزَةُ: الفرصة.

مُتَهَلِّلًا تَبْدُو أَسْرَةً وَجْهِهِ مِثْلَ الْحُسَامِ جَلَتْهُ كَفُّ الصَّيْقَلِ
يُزْجِي ظَعِينَتَهُ وَيَسْحَبُ رُمَحَهُ مُتَوَجِّهًا يُمْنَاهُ نَحْوَ الْمَنْزِلِ
يُزْجِي ظَعِينَتَهُ أَي يُسِيرُهَا.

وَتَرَى الْفَوَارِسَ مِنْ مَخَافَةِ رُمَحِهِ مِثْلَ الْبُعَاثِ خَشِينَ وَقَعَ الْأَجْدَلِ
يَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ أَبَوُهُ وَأُمُّهُ يَا صَاحِ مَنْ يَكُ مِثْلَهُ لَمْ يُجْهَلِ

ويُحكى أن بني كنانة وهم قومُ ربيعة غزوا بني جُشم وهم قومُ دُرَيْدٍ؛ فقتلوا وأسروا
وغنموا، وكان من بين الأسرى دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ، وكان ذلك بعد مقتلِ ربيعة بنِ مُكَدَّم، فرأته
ظعينةُ ربيعة فعرفته، فصرخت وقالت: "هذا والله الذي أعطى ربيعةَ رُمَحَه يومَ الظعينة"،
وقالت: "إني له جارة" فسألهم ماذا فعل ربيعة؟ فقالوا: قتلته سُلَيْم، قال: فما فعلت ظعينته؟
قالت المرأة: أنا ظعينته، فأطلقوه وكسوه، ولم يزل كافًّا عن حربهم حتى هلك.

فَرُبَّمَا يَبْدُو إِذَا بَرَزْنَ لِي ٤٦ رُبَّمَا إِلَيْهِ طَارَ بِي تَشَوُّقِي

(فَرُبَّمَا) رُبَّ تَأْتِي للتكثير كثيرًا، وللتقليل قليلاً.

(يَبْدُو) أي يظهر.

(إِذَا بَرَزْنَ لِي) أي إذا ظهروا لي.

(رئِم) الرئِم: هو الظبي الخالص البياض، وتُخَفَّفُ الهمزةُ بإبدالها ياءً فيقال: ريم، وهي قاعدةٌ مطردة في كل اسمٍ ثلاثي عينه همزةٌ ساكنة، يجوز تخفيف همزته بإبدالها حرفَ مدٍّ من جنس حركة ما قبله، فتقول في (رأس: راس)، وفي (فأس: فاس)، وفي (سؤر: سور)، وفي (بؤس: بوس)، وفي (ذئب: ذيب)، وفي (رئِم: ريم).

لُبْنَى وَمَا أَدْرَاكَ مَا لُبْنَى بِهَا ٤٧ عُرِفْتُ صَبًّا مُغْرَمًا ذَا قَلْقٍ

(لُبْنَى) عَلَّمَ على امرأة.

(صَبًّا) الصَّبَابَةُ: رِقَّةُ الشَّوْقِ وحرارته، يُقال: رجلٌ صَبٌّ أي عاشقٌ مُشتاق.

(مُغْرَمًا) أي مُولَعًا، يُقال: أُغْرِمَ بالشيء إذا أولَعَ به.

(ذَا قَلْقٍ) القَلْقُ: المُضْطَرَبُّ المُتَزَعَجُ، وذلك شأنُ المُحِبِّ وديده.

تَسْبِي بِشَغْرِ أَشْنَبٍ وَمَرَشَفٍ ٤٨ قَدِ ارْتَوَى مِنْ قَرْفٍ مُعْتَقٍ

(تَسْبِي) أي تأسر قلبَ الرجل، والسَّبِيُّ والسَّبَاءُ: الأسر.

(بِشَغْرِ) الشَّغَرُ: المَبْسَمُ وهو مقدَّم الأسنان.

(أَشْنَبٍ) مِنَ الشَّنَبِ وهو بَرْدٌ وماءٌ ودِقَّةٌ وعُدُوبَةٌ في الأسنان، قال الراجز:

وَابِأَبِي أَنْتِ وَفُوكِ الْأَشْنَبُ

كَأَنَّمَا ذُرَّ عَلَيْهِ الزَّرْنَبُ

أَوْ زَنْجِيلٌ وَهُوَ عِنْدِي أَطْيَبُ

وقال ذو الرُّمَّة غيلان:

لَمَاءُ فِي شَفْتَيْهَا حُوءٌ لَعَسُ فِي اللَّثَاتِ وَفِي أَيْبَاهَا شَنْبُ

وورد في حديث هند بن أبي هالة وصفُ النبي -صلى الله عليه وسلم- بهذا.

قال الشيخ عبدالله السالم بن حنبل الحسنِي الشنقيطي في نظم الشمائل:

أَشْنَبَ أَفْلَجَ ضَالِيعَ الْفَمِّ يَفْتَرُّ عَنْ كَالْبَرْدِ الْمُنْهَمِّ

(وَمَرَشَفٍ) المَرَشَفُ: الفم؛ لأنه موضع الرِّشْفِ.

(مِنْ قَرْقَفٍ) القَرْقَفُ: الخمر.

(مُعْتَقٍ) الْمُعْتَقُ: القديم، وكان الأصل أن يقول: مِنْ قَرْقَفٍ مُعْتَقَةٍ؛ لأن القرقف مؤنثة،

لكنه وضع المذكر موضع المؤنث، والخمر ليست مما يُطلب فيه الجِدَّة، وفي الكلام استعارة، إذ مراده بالقرقف الرِّيقُ الذي يشبه الخمر في الطَّيب والإسكار.

وَنَاعِمٍ مُهَيَّكِلٍ وَفَاحِمٍ ٤٩ مُرَجَّالٍ وَحَاجِبٍ مُرَقَّقٍ

(وَنَاعِمٍ) نَاعِمٌ: صفة لموصوف محذوف، والتقدير: وَبَدَنٍ نَاعِمٍ.

(مُهَيَّكِلٍ) الهَيَّكُلُ: الضخم.

(وَفَاحِمٍ) فَاحِمٌ: صفة لموصوف محذوف، والتقدير: وشعرٍ فاحِمٍ أي أسود.

(مُرَجَّالٍ) أي مُسَرَّحٍ.

وَعَقِبٍ مُحَجَّالٍ وَمِعْصَمٍ ٥٠ مُسَوَّرٍ وَعُغْنُقٍ مُطَوَّقٍ

(وَعَقِبٍ) الْعَقِبُ: مؤخر القدم.

(مُحَجَّالٍ) أي فيه الْحِجْلُ - بكسر الحاء وفتحها -: وهو الْخَلْخَالُ.

(وَمِعْصَمٍ) الْمِعْصَمُ: موضع السَّوَارِ من اليد.

(مُسَوَّرٍ) فيه السَّوَارِ، وهو واحد الأساور، قال تعالى: ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾

[الإنسان: ٢١].

(وَعُغْنُقٍ مُطَوَّقٍ) أي قد جُعِلَ فيه الطَّوْقُ، وهو القلادة.

وَمُقَلَّةٍ تَرْمِي بِقَوْسٍ حَاجِبٍ ٥١ لَاحِظَهَا بَسْمُهَا الْمُفَوَّقِ

(وَمُقَلَّةٍ) الْمُقَلَّةُ: شَحْمَةُ الْعَيْنِ التي تجمع البياض والسواد.

(تَرْمِي بِقَوْسٍ حَاجِبٍ) أي ترمي بحاجبها الذي يشبه القوس، وفيه إشارة إلى قوس حاجب بن زرارة، وسيأتي إن شاء الله ذِكْرُ حاجبٍ وقوسه، عند قوله:
 وَقَوْسُ حَاجِبٍ بَرَهْنَهَا لَدَى ١٤٤ كَسَرَى اطمأنَّ قلبه بمآلِقي
 (لاحظها) أي ترمي ناظرها.

(بِسَهْمِهَا الْمُفَوَّقِ) فُوقُ السَّهْمِ - بضم الفاء -: طَرَفُهُ الذي يُجعل في الوتر عند الرمي.
 تَمْنَعُ مَسَّ ثَوْبِهَا لِحُسْمِهَا ٥٢ ثَلَاثَةُ مِثْلُ الْأَثَافِي فِي الرُّقِي
 (الْأَثَافِي) بالتشديد وبالتخفيف، يقال: الْأَثَافِي وَالْأَثَافِي وهي جمع أَثْفِيَّة، وَالْأَثْفِيَّةُ
 الْحَجَرُ الذي يوضع عليه القدر، يقولون: رماه الله بثلاثة الْأَثَافِي، وهو الجبل، وهو كناية عن
 الداهية العظيمة؛ لأنهم كانوا إذا لم يجدوا أَثْفِيَّةً ثالثة أسندوا القدر إلى أَثْفِيَّتَيْنِ، وجعلوا حرف
 الجبل ثلاثة الْأَثَافِي.

(فِي الرُّقِي) الرُّقِي: الصَّعُود.
 حُقَّانٍ مِنْ عَاجٍ وَقَعْبُ فِضَّةٍ ٥٣ مِنْ ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ كَالشَّفَقِ
 (حُقَّانٍ) الْحُقُّ: وعاءٌ مِنْ خَشَبٍ، وقد جرت عادة العرب على تشبيه الشدي به، قال عمرو
 ابن كلثوم:

وَتَذِيًّا مِثْلَ حُقِّ الْعَاجِ رَخَصَا حَصَانًا مِنْ أَكْفِ اللَّامِسِينَا

(مِنْ عَاجٍ) الْعَاجُ: أنياب الفيل، ويُطلق على ظهر السِّلْحَفَةِ.

(وَقَعْبُ فِضَّةٍ) الْقَعْبُ: الْقَدْحُ الضَّخْمُ.

(كَالشَّفَقِ) الشَّفَقُ: حُمْرَةُ الْغُرُوبِ.

وَزَادَ مِسْكَ الْخَالِ وَرَدَ خَدَّهَا ٥٤ حُسْنًا وَقَدْ عَمَّ بِطَيْبٍ عَبِقِ

(وَزَادَ مِسْكَ الْخَالِ) الْخَالُ: شامة في البدن تخالف سائر لونه.

(بَطِيبٌ عَبِقَ) أي فائح.

وَقَبَّلْتُ أَقْدَامَهَا ذَوَائِبُ ٥٥ سُودٌ كَقَلْبِ الْعَاشِقِ الْمُحْتَرِقِ

(وَقَبَّلْتُ) التَّقْبِيلُ: اللَّثْمُ.

(ذَوَائِبُ) الذَّوَائِبُ: جمع ذُؤَابَة، وهي الضفيرة من الشعر إذا كانت مرسلة، أما إذا كانت مَلَوِيَّةً فيقال فيها: عقيصة، والذوائبُ مِنَ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ وَكُلُّ شَيْءٍ: أعلاه، كما قال أبو طالب في لاميته:

وَنَحْنُ الصَّمِيمُ مِنْ ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ وَنَحْنُ الْمُدَى مِنْهُمْ وَفَوْقَ الْكَوَاهِلِ

(وَقَبَّلْتُ أَقْدَامَهَا ذَوَائِبُ) يريد أن شعرها يصل إلى أقدامها، وقد بالغ كثيراً! قال امرؤ

القيس: (وَفَرَعٌ يُغَشِّي الْمَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ) وَفَرَعٌ: أي وشعر، يُغَشِّي الْمَتْنَ: أي يغطي الظهر، وهذا القدر كافٍ في طول الشعر!

قال: (سُودٌ) أي ذَوَائِبُ سُودٌ.

(كَقَلْبِ الْعَاشِقِ الْمُحْتَرِقِ) يعني نفسه.

كَمْ أَوْدَعْتُ فِي مُقْلَتِي مِنْ سَهَرٍ ٥٦ وَأَضْرَمْتُ فِي مُهْجَتِي مِنْ حَرَقِ

وَلَا يَزَالُ فِي رِيَاضِ حُسْنِهَا ٥٧ يَسْرَحُ فِكْرِي وَيَجُولُ رَمَقِي

(كَمْ) للتكثير.

(أَوْدَعْتُ) أي تركت.

(فِي مُقْلَتِي) الْمُقْلَةُ: شحمة العين التي تجمع البياض والسواد.

(وَأَضْرَمْتُ) أي أوقدت وأشعلت.

(فِي مُهْجَتِي) الْمُهْجَةُ: الرُّوح.

(مِنْ حَرَقِ) يقول: إنها كانت سبباً في سهري وأرقى، وفي احتراق قلبي.

(فِي رِيَاضٍ حُسْنِهَا) الرِّيَاضُ: جمع روضة، وهي الموضع المُعْجَبُ بالزهور.

(وَيَجُولُ رَمَقِي) أي يتحرك، والرَّمَقُ: بقية الروح، ويقال: رَمَقَهُ: إذا نظر إليه.

وَلَا تَسَلْ عَمَّا أَبَتْ مِنْ جَوَى ٥٨ وَمَا تُرِيقُ مِنْ دُمُوعِ حَدَقِي

(أَبَتْ) أي أذيع وأُفْشِي.

(مِنْ جَوَى) الجَوَى: الحُرْقَةُ وشِدَّةُ الْوَجْدِ مِنْ عِشْقٍ أَوْ حُزْنٍ.

(وَمَا تُرِيقُ) أي تَصُبُّ.

(حَدَقِي) الْحَدَقُ: واحدتها حَدَقَةٌ، وهي سواد العين.

يقول: لا تسأل عن شدة ما أظهر من الحزن، وكثرة ما أريق من الدمع.

يَوْمَ اشْتَكَى كُلُّ بِمَا فِي قَلْبِهِ ٥٩ لِحَبِّهِ بِطَرْفِهِ بِمَا لَقِي

(لِحَبِّهِ) أي لمحبوبه.

(بِطَرْفِهِ) الطَّرْفُ: البصر، وهو لا يُثْنَى ولا يُجْمَعُ، لأنه في الأصل مصدر، والأصل في

المصادر أنها لا تشي ولا تجمع.

وَلَا يُثْنَى مَصْدَرٌ أَوْ يُجْمَعُ إِلَّا الَّذِي يُعَدُّ أَوْ يُنَوَّعُ

قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ [الصفات: ٤٨] فأفرد الطَّرْفَ.

يقول: إنه اشتكى كل واحدٍ منهما لمحبوبه إشارةً بطَرْفِ العين، بسبب ما لقي من الوجد

والشوق.

مَا عَذَرُ مَنْ يَشْكُو الْجَوَى لِمَنْ جَفَا ٦٠ وَهُوَ لَدَمْعِ جَفْنِهِ لَمْ يُرِقْ

(مَا عَذَرُ) هذا استفهامٌ إنكاريٌّ المقصودُ منه النفي، أي لا عذر له.

(الْجَوَى) الجَوَى: الحُرْقَةُ وشِدَّةُ الْوَجْدِ مِنْ عِشْقٍ أَوْ حُزْنٍ.

(لِمَنْ جَفَا) لِمَنْ أَعْرَضَ وَابْتَعَدَ.

(وَهُوَ لِدَمْعٍ جَفْنِهِ)، وفي نسخة: (لِدَمْعٍ عَيْنِهِ).

(لَمْ يُرِقْ) أي لم يَسْكُبْ دَمْعَ عينه.

آه عَلَى ذِكْرِ لَيْالٍ سَلَفَتْ ٦١ لِي مَعَهَا كَالْبَارِقِ الْمُؤْتَلِقِ

(آه) كلمةٌ تقال عند التوجع.

(عَلَى ذِكْرِ لَيْالٍ) ما كان باللسان فهو ذِكْرٌ بكسر الهمزة، وما كان بالقلب أي بمعنى التذكُّرِ

فيجوز فيه كسر الهمزة وضمها، فتقول: ذِكْرٌ، وذِكْرٌ، والضم هو الأعلى، قال في موطأة الفصيح:

وَاجْعَلْ فَلَانًا مِنْكَ يَا زَيْدُ عَلَى ذِكْرِ وَلَا تُغْفَلُهُ فِي مَنْ أُغْفَلَ

(سَلَفَتْ) أي مضت وتقدمت.

(كَالْبَارِقِ الْمُؤْتَلِقِ) البَارِقُ: السَّحَابُ ذو البرق، والمُؤْتَلِقُ: اللامع.

يقول: إن تلك الليالي التي يصفها كانت سريعة المرور، قصيرة الزمن، يُشَبِّهُهَا فِي

سرعتها بالبرق اللامع، وزمنُ الفرح والسرور لا يَشْعُرُ الْإِنْسَانُ بِطَوْلِهِ فَيَرَاهُ قَصِيرًا، وزمنُ

الحزن يشعر بطوله فيراه طويلًا، كما قال الشاعر:

فَاللَّيْلُ أَطْوَلُ شَيْءٍ حِينَ أَفْقَدَهَا وَاللَّيْلُ أَقْصَرُ شَيْءٍ حِينَ أَلْقَاهَا

والليل واحد لكن هذا تأثير السرور والحزن.

وقال المتنبي:

لَيْالِي بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُورٌ طَوَالَ وَلَيْلُ الْعَاشِقِينَ طَوِيلٌ

وقال آخر:

لَيْلَةٌ كَادَ يَلْتَقِي طَرْفَاهَا قِصْرًا وَهِيَ لَيْلَةُ الْإِجْتِمَاعِ

فِي مَعْهَدٍ كُنَّا بِهِ كَنُخَلَّتِي ٦٢ حُلُوانَ فِي وَضَلٍ بِلَا تَفَرُّقٍ

(في مَعَهْدٍ) المَعَهْدُ: المنزل الذي لا يزال القوم إذا بَعُدُوا عنه رجعوا إليه.

(كُنَّا بِهِ) أي كُنَّا فيه، فالباء هنا ظرفية، كالباء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ [آل

عمران: ١٢٣] أي في بدر.

(كَنَخَلَتْنِي حُلُوانٌ) نَخَلَتَا حُلُوان: نخلتان يُضْرَب بهما المَثَلُ في طول الصحبة، وقد أكثر

الشعراء من ذكرهما، من ذلك قول مُطِيع بن إياس:

أَسْعِدَانِي يَا نَخَلَتْنِي حُلُوانٍ وَارْثِيَا لِي مِنْ رَيْبِ هَذَا الزَّمَانِ
وَلَعَمْرِي لَوْ دُقْتُمَا أَلَمَ الْفُرْقَةِ أَبْكَأَكُمَا الَّذِي أَبْكَأَنِي
أَسْعِدَانِي وَأَيَّقِنَا أَنْ نَحْسَا سَوْفَ يَلْقَاكُمَا فَتَفْتَرِقَانِ

وقد تحقق ما قاله الشاعر، فإنه لما خرج الرشيد في خلافته إلى طوس، هاج به الدم بحلوان، فنعت له الطيب الجُمَار، والجُمَار: قَلْبُ النخلة، إذا أُخِذَ تموت، ولم يكن هناك نخلة إلا نخلتا حلوان، فَقُطِعَت إحداهما وَأُتِيَ بِجُمَارِهَا. ثم إنه رأى النخلة القائمة، فوجد مكتوباً عليها الأبيات السابقة، فاغتم لذلك الرشيد، وقال: "يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ أَكُونَ نَحْسُتُكُمَا، ولو كنت سمعت بهذا الشعر ما قطعت هذه النخلة، ولو قتلني الدم" قالوا: فلم تلبث الأخرى أن ذَبَلَتْ وماتت.

نَلْنَابِهِ مَا نَشْتَهِي مِنْ لَذَّةٍ ٦٣ وَدَعَا فِي ظِلِّ عَيْشٍ دَغْفَقٍ

(نَلْنَابِهِ) أي أصبنا بالمعهد، فالضمير يعود على المعهد المذكور في البيت السابق.

(مَا نَشْتَهِي) الشَّهْوَةُ: اشتياق النفس إلى الشيء.

(مِنْ لَذَّةٍ) اللَّذَّةُ: نقيض الألم.

(وَدَعَا) الدَّعَا: الراحة وسعة العيش.

(فِي ظِلِّ عَيْشٍ دَغْفَقٍ) أي في ظِلِّ عَيْشٍ واسع.

أَزْمَانَ كَانَ السَّعْدُ لِي مُسَاعِدًا ٦٤ وَمُقْلَةُ الرَّقِيبِ ذَاتُ بَخَقٍ

(أَزْمَانَ) الأزمانُ: جمع زمن.

(كَانَ السَّعْدُ) السَّعْدُ: بمعنى السعادة، ضد النحس والشقاء.

(لِي مُسَاعِدًا) أي مُوَاتِيًا مُعِينًا.

(وَمُقْلَةُ الرَّقِيبِ) أي الحارس والحافظ.

(ذَاتُ بَخَقٍ) البَخَقُ: أقبح العور.

يقول: في تلك الأزمان بلغنا مقصودنا من لذة العيش، وكان الرقيب الذي يُقْلِنَا غافلاً

عنا، ثم إنه تبدلت الحال كما قال:

وَالْيَوْمَ قَدْ صَارَ سَلَامٌ عَزَّةً ٦٥ يُقْنِعُ مِنْ لُبْنَى إِذَا مَا نَلْتَقِ

يقول: يكفيه من لبنى التي يذكرها في شعره سلامٌ عَزَّةً، لَمَحَ بهذا إلى ما يُروى في كتب

الأدب من أن كثيراً وقف مرةً على عَزَّةٍ فسَلَّمَ عليها، فَردَّتِ السَّلامَ على جَمَلِه، قالت: عليك

السلام يا جمل، فقال يخاطب جملته:

فَحْيٍ وَيَحَكَ مَنْ حَيَّاكَ يَا جَمَلُ

حَيِّكَ عَزَّةً يَوْمَ الْبَيْنِ وَأَنْصَرَفْتُ

عِنْدِي وَمَا مَسَّكَ الْإِذْلَاجُ وَالْعَمَلُ

لَوْ كُنْتَ حَيَّتَهَا مَا زِلْتَ ذَا مِقَّةٍ

مَكَانَ يَا جَمَلُ حَيَّتَ يَارَجُلُ

لَيْتَ التَّحِيَّةَ كَانَتْ لِي فَأَجْعَلَهَا

يقول: لو سلمت عليه لُبْنَى كسلام عزة هذا لَرَأَه شيئاً كثيراً.

ثم انتقل من الغزل إلى الحماسة فقال:

وَاللَّهِ لَوْ حَلَّتْ دِيَارَ قَوْمِهَا ٦٦ وَاحْتَجَبَتْ عَنِّي بِبَابٍ مُغْلَقِ

(وَاللَّهِ) أَكَّدَ كلامه بالقسم، والقسم أقوى المؤكدات عند البلاغيين.

(لَوْ حَلَّتْ) أي نَزَلَتْ.

(دِيَارَ قَوْمِهَا) الْقَوْمُ: جماعة الرجال ولا يطلق على النساء بدليل عَطْفِ النساء على القوم
في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ
مِّنْ نِّسَاءٍ﴾ [الحجرات: ١١].

وقال زهير بن أبي سلمى:

وَمَا أَذْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَذْرِي أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ
فَإِنْ تَكُنِ النِّسَاءُ مُحَبَّاتٍ فَحَقٌّ لِّكُلِّ مُحَصَّنَةٍ هِدَاءُ
وقد يَدْخُلْنَ فِي الْقَوْمِ تَبْعًا، كما في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾
[الشعراء: ١٠٥]، أي كَذَّبَ الرجال والنساء وليس المقصود أنه كَذَّبَ الرجال دون النساء.

(وَاحْتَجَبَتْ) أي استترت.

(عَنِّي بَابٌ مُّغْلَقٌ) مِّنْ أَغْلَقْتُ الْبَابَ، فَالْبَابُ مُغْلَقٌ، ولا يقال: مَغْلُوقٌ، قال أبو الأسود
الدُّؤْلِي:

وَلَا أَقُولُ لِقَدْرِ الْقَوْمِ قَدْ غَلِيَتْ وَلَا أَقُولُ لِبَابِ الدَّارِ مَغْلُوقُ
لَكِنْ أَقُولُ لِبَابِي مُغْلَقٌ وَغَلَتْ قِذْرِي وَقَابَلَهَا دَنْ وَإِبْرِيقُ
قال في "منحة المlich":

الْبَابُ مُغْلَقٌ وَلَا مَغْلُوقُ اللَّحْنُ يَأْصَحُ هُوَ الْعُقُوقُ
لَزُرْتُهَا وَاللَّيْلُ جَوْنٌ حَالِكٌ وَجَفْنُهَا لَمْ يَكْتَحِلْ بِأَرْقِ ٦٧

(لَزُرْتُهَا) هذا جواب القسم.

(وَاللَّيْلُ جَوْنٌ) الْجَوْنُ مِنَ الْأَضْدَادِ، يُطْلَقُ عَلَى الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ، والمراد هنا: الأسود؛
لأنه قال: (وَاللَّيْلُ جَوْنٌ حَالِكٌ)، والحَالِكُ: الشَّديدُ السَّوَادِ.

(وَجَفْنُهَا) الْجَفْنُ: غطاء العين.

(لَمْ يَكْتَحِلْ بِأَرْقٍ) يريد أنها لم تسهر، فالسَّهَر ليس من شأنها، بل من شأنه هو، كما قال

عمر بن أبي ربيعة:

وَوَالِ كَفَاهَا كُلَّ شَيْءٍ يَهْمُهَا فَلَيْسَتْ لِشَيْءٍ آخِرَ اللَّيْلِ تَسْهَرُ

مَعِيَ ثَلَاثَةٌ تَقِي صَاحِبَهَا ٦٨ مَا لَمْ تَكُنْ نُونُ الْوَقَايَةِ تَقِي

(مَعِيَ ثَلَاثَةٌ تَقِي صَاحِبَهَا) أي تدفع عنه.

(مَا لَمْ تَكُنْ نُونُ الْوَقَايَةِ تَقِي) نون الوقاية هي التي تلحق الفعل حين اتصاله بياء المتكلم،

فتقيه من الكسر، كما قال ابن مالك:

وَقَبْلَ يَا النَّفْسِ مَعَ الْفِعْلِ التَّزِمُ نُونُ وَقَايَةٍ.....

وذلك لأن ياء المتكلم يكون ما قبلها مكسورًا، والفعل لا يُكْسَر، فيؤتى بنون الوقاية

التي تقي الفعل من الكسر، مثلاً تقول: (أَكْرَمَنِي)، لولا نون الوقاية لقلت: أَكْرَمِي، وذلك لا يجوز في الفعل.

ثم بين الثلاثة التي تقيه أشد من وقاية النون الفعل من الكسر في ثلاثة أبيات فقال:

سَيْفٌ كَصَمْصَامَةٍ عَمْرٍو بَاتِرٌ ٦٩ لَا يُتَّقَى بِلَبٍّ وَدَرَقٍ

(سَيْفٌ) بدل بعض من كل من قوله: (ثَلَاثَةٌ).

(كَصَمْصَامَةٍ) الصَّمْصَامَةُ: هي السيف الصارم الذي لا ينثني، والمراد هنا صمصامة

عمر بن معديكرب رضي الله عنه.

(بَاتِرٌ) أي قاطع.

(لَا يُتَّقَى) لا يُتَحَرَّزُ ولا يُتَحَفَّظُ منه.

(بِلَبٍّ) اليلبُّ: الدروع، قال عمرو بن كلثوم:

عَلَيْنَا الْبَيْضُ وَالْيَلْبُ الْيَمَانِي وَأَسْيَافٌ يُقَمِّنَ وَيُنْحِنِنَا

(وَدَرَقُ) الدَّرَقُ: التُّرْسُ.

وعمر بن معديكرب - رضي الله عنه - من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فارس مشهور، وبطلٌ مذكور، شَهِدَ عَامَّةَ الفُتُوحِ، وأبلى بلاءً حسنًا في القادسية، يُذَكَّرُ أن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - كتب إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يطلب مددًا، فكتب عمر إليه: "أما بعد فقد أمددتك بألفي رجل، عمرو بن معديكرب وطلحة بن خويلد الأسدي، فشاوَرهما في الحرب، ولا تُولِّهما شيئًا".

وأما صَمَصَامَتُهُ فهي من أشهر سيوف العرب، يُضْرَبُ بها المَثَلُ في المَضَاءِ وَكَرَمِ الجَوْهَرِ، وكان عمرو كثير الغناء بصَمَصَامَتِهِ في الإسلام، وفيها يقول من شعر له:

سِنَانِي أَرْزَقُ لَا عَيْبَ فِيهِ وَصَمَصَامِي يُصَمِّمُ فِي الْعِظَامِ

وقد تداولت الملوك صمصامة عمرو - رضي الله عنه - بعده، حتى وصلت الصمصامة إلى هارون الرشيد، وقد ذكروا أنه اتَّفَقَ أن بعض ملوك الهند أهدى إلى هارون الرشيد هدايا، وكان من بينها سيوفٌ قَلَعِيَّةٌ من أجود سيوف الهند.

فلما حضرت الهدية بين يديه دعا هارون الرشيد بالصمصامة، وصف تلك السيوف وجعل يقطعها بالصمصامة كما يقطع الحديد الخشب، والرُّسُلُ ينظرون ويتعجبون من ذلك. فهذا الأول مما بقي ابن الونان أشد من وقاية النون الفعل من الكسر.

والثاني: قلبٌ بين جنبيه مثل قلب المهلب بن أبي صفرة في الثبات والشجاعة، قال:

وَبَيْنَ جَنْبَيَّ فُؤَادُ ابْنِ أَبِي صُفْرَةَ قَاطِعٍ قَرَا ابْنُ الْأَزْرَقِ ٧٠

(وَبَيْنَ جَنْبَيَّ) الجَنْبُ: شِقُّ الْإِنْسَانِ وَغَيْرُهُ.

(فُؤَادُ ابْنِ أَبِي صُفْرَةَ قَاطِعٍ) بالجر، هو صفةٌ لابن أبي صفرة.

(قَرَا ابْنُ الْأَزْرَقِ) الْقَرَا: الظَّهَرُ.

المهلب بن أبي صفرة: من التابعين، وهو قائد مشهور في زمان بني أمية، وكان صاحب حروب، خاض معارك كثيرة مع الخوارج.

وأما نافع بن الأزرق: فهو رأس الأزارقة من فرق الخوارج، وإليه تنتسب الفرقة، وكان شجاعاً مُقَدِّماً في فقه الخوارج، له مع ابن عباس -رضي الله عنهما- سوالات كثيرة في التفسير، ستأتي إن شاء الله في آخر الشمقمقية عند قوله في مدح الشعر:

لَوْلَمْ يَكُنْ فِيهِ بَيَانُ آيَةٍ ٢١٥ مَا فَسَّرْتُ مَسَائِلَ ابْنِ الْأَزْرَقِ

وقول ابن الونان: (قَاطِعٍ قَرَأَ ابْنُ الْأَزْرَقِ) فيه تَجَوُّزٌ؛ لأن المهلب لم يقاتل نافع ابن الأزرق، فقد كان موت نافع بن الأزرق قبل ولاية المهلب، لكنه قاتل الأزارقة أتباع نافع بن الأزرق.

وَفَرَسٌ كَلَّاحٍ حَقٍّ وَدَاحِسٍ ٧١ يَوْمَ الرَّهَّانِ شَأْوُهُ لَمْ يُلْحَقِ

هذا ثالث الثلاثة التي ذكر ابن الونان أنها تقيه أشد من وقاية النون الفعل من الكسر. (وَفَرَسٌ) الفرس معروف، يُطلق على الذكر والأنثى، يقال لما يختص بالذكر: حصان، ولما يختص بالموث: حَجَرٌ.

ولاحق: اسم فرسٍ لمعاوية رضي الله عنه، وقد ذكره ابن مالك في الألفية في باب العَلَمِ في قوله:

اسْمٌ يَعْنِي الْمُسَمَّى مُطْلَقًا عَلَّمُهُ كَجَعْفَرٍ وَخَرْنَقَا

وَقَرْنٍ وَعَدَنٍ وَلَا حَقٍّ وَشَذَمٍ وَهَيْلَةٍ وَوَاشِقٍ

(وَدَاحِسٍ) داحس: فرس قيس بن زهير العبسي، وهذا الفرس يُضرب به المثل في الشؤم عند العرب، لما جرى بسببه من الحرب المعروفة بحرب داحس والغبراء التي قامت بين عبس وذبيان، ودامت أربعين سنة.

(يَوْمَ الرَّهَانِ) الرّهان: المسابقة على الخيل، وقد يستعمل في غير الخيل.
(شَاءُوهُ لَمْ يُلْحَقْ) لا يُدْرِك شأوه، والشأؤ: الغاية والأمد.

كان سبب حرب داحس والغبراء: أن قيس بن زهير العبسي وحذيفة بن بدر الفزاري تراهنا - والمراهنة: مسابقة الخيل - وكان لقيس بن زهير فرسان: داحس والغبراء، ولحذيفة فرسان: الخطار والحنفاء، واتفقا على غاية، فأرصدت بنو ذبيان على الطريق من يزجر الغبراء أثناء المضمار، فزجروها فُسِقت، فكان ذلك سبباً في وقوع الشر بينهم، ونشبت الحرب التي استمرت أربعين سنة، وهي الحرب التي حمل فيها هَرْمُ بْنُ سِنان، والحرثُ بْنُ عوفِ الحَمالات التي ذكرها زهير في معلقته بقوله:

تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ بِالْدَمِ
رَجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ
عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمِ
تَقَانُوا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمِ
بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ نَسْلَمِ
بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْتَمِ
وَمَنْ يَسْتَبِخْ كَنْزاً مِنَ الْمَجْدِ يَعْظُمِ
مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالٍ مُزْنَمِ
يُنَجِّمُهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِمُجْرِمِ
وَلَمْ يَهْرِيقُوا بَيْنَهُمْ مِلءَ مِحْجَمِ

سَعَى سَاعِيَا غِيْظُ بِنِ مُرَّةٍ بَعْدَمَا
فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ
يَمِينًا لِنِعَمِ السَّيِّدَانِ وَجِدْتُمَا
تَدَارَكْتُمَا عَبَسًا وَذُبْيَانٍ بَعْدَمَا
وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نُدْرِكِ السَّلْمَ وَإِسْعَا
فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنِ
عَظِيمَيْنِ فِي عَلِيَا مَعَدِّ هُدَيْتُمَا
فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيهِمْ مِنْ تِلَادِكُمِ
تُعْفَى الْكُلُومُ بِالْمِئِينَ فَأَصْبَحَتْ
يُنَجِّمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةٍ

تَقْدَحُ نِيرَانَ الْجُبَابِ حَوَا ٧٢ فِرُّهُ عَنْدَ خَبَبٍ وَطَلَقِ

(تَقْدَحُ) أي تُوري النارَ بحوافرها، قال تعالى: ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ [العاديات: ٢].

(نِيرَانُ الْحُبَابِجِ) نَارُ الْحُبَابِجِ: نَارٌ يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فِيمَا لَا طَائِلَ تَحْتَهُ وَلَا نَفْعَ وَرَاءَهُ، وَالْحُبَابِجُ: طَائِرٌ صَغِيرٌ بِقَدْرِ الذَّبَابَةِ يَطِيرُ لَيْلاً، وَيُرَى فِي طَرَفِ جَنَاحِهِ شِعَاعٌ، فَيَتَرَاءَى مِنْ بُعْدٍ كَأَنَّهُ شِرَارَةٌ مِنْ نَارٍ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلنَّارِ الضَّعِيفَةِ: نَارُ الْحُبَابِجِ، وَمِنْهُ أَيْضًا قِيلَ لِلنَّارِ الَّتِي تَوْقَدُهَا الْخِيلُ بِسَنَابِكِهَا مِنَ الْحِجَارَةِ: نَارُ الْحُبَابِجِ.

(حَوَافِرُهُ) هَذَا الْبَيْتُ مُدَوَّرٌ؛ لِأَنَّهُ جَمَعَتْ كَلِمَةً شَطْرِيهَ، وَيَسْمَى: الْمَتَدَاخِلُ، وَالْمَدْمَجُ، قَالَ فِي "مَجْدَدِ الْعَوَافِي":

مَا جَمَعَتْ كَلِمَةً شَطْرِيهِ جَاءَ مُتَدَاخِلًا وَجَاءَ مُدْمَجًا

وَحَوَافِرُهُ: تُقْرَأُ بِاخْتِلَاسِ حَرَكَةِ الْهَاءِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [المؤمنون: ٨٨]، عَلَى قِرَاءَةِ رُوَيْسٍ عَنْ يَعْقُوبَ بِاخْتِلَاسِ كَسْرَةِ هَاءِ (بِيَدِهِ)، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وَهَاءُ الْكِنَايَةِ لِلْعَرَبِ فِيهَا ثَلَاثُ لُغَاتٍ: الصَّلَةُ وَالِاخْتِلَاسُ وَالسَّكُونُ، وَقَدْ قُرِئَ بِالثَّلَاثَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقِنْطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

وَمِنْ الْاخْتِلَاسِ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

عَسَى ذَاتَ يَوْمٍ أَنْ يَعُودَ بِهَا النَّوَى عَلَى ذِي هَوَى حَيْرَانَ قَلْبُهُ طَائِرٌ

وَمِنْهُ قَوْلُ الْآخَرِ:

إِنَّهُ لَا يُبْرِئُ دَاءَ الْهُدْبِ مِثْلُ الْقَلَايَا مِنْ سَنَامٍ وَكَبْدٍ

وَمِنْ التَّسْكِينِ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَأَشْرَبُ الْمَاءِ مَا بِي نَحْوُهُ ظَمًا إِلَّا لِأَنَّ عُيُونَهُ سَائِلٌ وَادِيهَا

وَهَذَا جَائِزٌ فِي سَعَةِ الْكَلَامِ، لَيْسَ خَاصًّا بِالشَّعْرِ.

(عِنْدَ خَبَبٍ) الْخَبَبُ: ضَرْبٌ مِنَ الْعَدُوِّ فِيهِ إِسْرَاعٌ، وَهُوَ أَنْ يَرَاوِحَ الْفَرَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ

ورجليه.

(وَطَلَّقَ) الطَّلَقُ: جَرِيُّ الفرس لا يحتبس إلى غاية.

كَالرَّيْحِ فِي هُبُوبِهِ وَالسَّمْعِ فِي ٧٣ وَثُوبِهِ وَكَالْمَهَا فِي فَشَقِ

(كَالرَّيْحِ فِي هُبُوبِهِ) يقول: إن فرسه الذي شبهه بلاحق وداحس في هبوبه كالريح.

(وَالسَّمْعِ فِي وَثُوبِهِ) السَّمْعُ: وَلَدُ الذَّنْبِ مِنَ الضَّبْعِ، وليس في الحيوان شيء عَدُوهُ كَعَدُوِّ

السَّمْعِ، فهو أسرع من الطير، قالوا: إن وثبته تزيد على ثلاثين ذراعاً.

(وَكَالْمَهَا فِي فَشَقِ) الْمَهَا: اسمُ جنسٍ جمعي، واحده: مهاة وهي البقرة الوحشية.

(فِي فَشَقِ) الْفَشَقُ: الْعَدُوُّ وَالنَّشَاطُ.

بِهِ أَجْوَسُ فِي خِلَالِ دُورِهَا ٧٤ وَأَنْثَنِي كَالْبَارِقِ الْمُؤْتَلِقِ

(بِهِ أَجْوَسُ فِي خِلَالِ دُورِهَا) أي به أتردد خلال الدور، والاجتياز: طلب الشيء

باستقصاء.

(وَأَنْثَنِي) أَرَجَعَ وَأَنْعَظَ.

(كَالْبَارِقِ الْمُؤْتَلِقِ) كالبرق اللامع في السرعة.

فَإِنْ تَكُ الزَّبَاءُ دَخَلْتُ قَصْرَهَا ٧٥ وَكَقَصِيرٍ سُقَّتْهَا لِلنَّفَقِ

(فَإِنْ تَكُ) تَكُ: أَصْلُهَا: تَكُنْ، حُذِفَتِ النون تخفيفاً.

(الزَّبَاءُ) الزَّبَاءُ عَلَمٌ عَلَى امْرَأَةٍ، وهو ممدود قصره للضرورة.

(لِلنَّفَقِ) النَّفَقُ: سَرَبٌ فِي الْأَرْضِ لَهُ مَخْلَصٌ مِنْ مَكَانٍ آخَرَ.

يقول: إذا كانت لبنى التي يذكرها في شعره الزَّبَاءُ لدخل قصرها ولساقها إلى النفق كما

فعل قصير.

وَالزَّبَاءُ هِيَ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ الظَّرْبِ مِنَ الْمُلُوكِ، وَكَانَ جَذِيمَةُ الْأَبْرَشُ صَاحِبُ الْحِيرَةِ قَتَلَ

أباها، فملكته الزَّبَاءُ الأمر بعد أبيها، فلما استحکم مُلكها أجمعت على غزو جذيمة، فأشارت عليها أختها بعدم غزوه وإعمال الحيلة، فَرُبَّ حيلة أنفع من قبيلة.

فكتبت الزباء إلى جذيمة تدعوه إلى نفسها ليتزوجها، ليضم ملكها إلى ملكه، وتقول: إنها لم تجد لنفسها ولا لملكها كُفْؤًا غيرَه، فلما وصله كتابها طَمَعَ فيما دعتَه إليه، فجمع أهل مشورته، فعَرَضَ عليهم ذلك، فأجمع أمرهم على أن يَسِيرَ إليها ويستولي على مُلكها، وكان فيهم رجل يقال له: قَصِيرٌ، وكان رجلًا أريًا حازمًا أثيرًا عند جذيمة ناصحًا له، فخالَفَهُم فيما أشاروا به عليه وقال: رَأْيِي فَاتِرٌ وَغَدْرٌ حَاضِرٌ. فذهبت مَثَلًا. وقال لجذيمة: الرَّأْيُ أن ترسل إليها إن كانت صادقة أن تُقْبَلَ إليك، ولا تُمَكِّنْهَا مِنْ نَفْسِكَ وقد وَتَرَتْهَا وقاتلت أباها، فلم يأخذ جَذِيمَةُ برأيه، ثم دعا ابنَ أختِهِ عمرو بنَ عديٍّ اللَّحْمِيَّ فاستشاره، فشجعه عمرو، فاستخلف جَذِيمَةُ عمرو بنَ عديٍّ على ملكه، وسار في وجوه أصحابه، واستقبلته رسل الزباء بالهدايا، فقال: ما ترى يا قصير؟ فقال قصير: ستأتيك الخيل، فإن سارت أمامك فالمرأة صادقة، وإن أحاطت بك من خلفك، فالقوم غادرون بك، فاركب العصا -وهي فَرَسٌ لجذيمة- وانجُ بنفسك، فإنها لا يُشَقُّ غبارها، فإني راكبها ومسايرك عليها.

فلما لَقِيَتْهُمُ الكتائب والخيول أحاطت به، فعرض قصير على جذيمة أن يركب العصا وينجو، فَأَنفَ جَذِيمَةُ من ذلك، فركبها قصير ونجا بنفسه، ودخل جذيمة على الزباء فقتلته شر قتلة.

ثم إن قصيرًا قال لعمرو بن عدي: اجْدَعْ أنفي، واضْرِبْ ظهري، ودعني وإياها، ففعل، وخرج قَصِيرٌ كأنه هاربٌ إلى الزباء، فقالت العرب: لأمرٍ ما جدع قصير أنفه، أي لأمرٍ عظيم جدع أنفه.

فسار قصير حتى قدم على الزباء، فقيل لها: إن قصيرًا بالباب، فَأَمَرَتْ به فأدخل عليها،

فإذا هو مجدوع الأنف مضروب الظهر، فقالت: ما الذي أرى بك؟ فقال: زعم عمرو أني غَرَزْتُ خالَه وَزَيَّنْتُ له المَسِيرَ إِلَيْكَ وما لَأْتُكَ عليه، ففعل بي ما ترين، فأقبلتُ إِلَيْكَ وعلمتُ أني لن أكون مع أحدٍ أثقلَ عليه منك، فأكْرَمْتُهُ، وأصابَتْ عنده بعض ما أرادت من الحزم والرأي والتجربة، فلما اطمأنت إليه ووَثِقَتْ به ائتمنته على تجارتها، فكان إذا أرسلته في تجارة يذهب إلى عمرو بن عدي ويأخذ منه الأموال الكثيرة ويعُدُّها من ربحه في أموالها، فزادت ثقتها به واطمئنأناها إليه، ثم إنها بعثته مرةً فحمل على كل بعيرٍ رجلين في غرارتين، وأقبل بالرجال إليها، وكان قد وُشي به إليها، فخرجت، فلما أبصرت الإبل تكاد قوائمها تسوخ في الأرض من ثقل أحمالها قالت:

مَا لِلْحِمَالِ مَشْيُهَا وَئِيدًا
أَجْنَدًا يَحْمِلْنَ أُمَّ حَدِيدًا
أُمَّ صَرَفَانًا بَارِدًا شَدِيدًا
أُمَّ الرَّجَالِ جُثْمًا قُودًا

الوئيدُ: الثقيل، والصَّرَفَانُ: ضربٌ من التمر.

فدخل الرجال ووضعوا السلاح في أهل المدينة وأحاطوا بها، فهربت إلى نَفَقٍ كانت اتخذته في قصرها، فاقترحه عليها عمرو بن عدي لمعرفته بالنَّفَقِ من وَصْفِ قصيرٍ له، فَمَصَّتْ خاتماً مسموماً كان في يدها، وقالت: "بِيَدِي لَا بِيَدِ عَمْرٍو"، فأرسلتها مثلاً وماتت بالسم، وللقصة روايات كثيرة.

وَمَنْ حَمَاهَا كَكَلَيْبٍ فَلَهُ ٧٦ جَسَّاسُ رُمَحٍ رَاصِدٍ بِالطُّرُقِ

(وَمَنْ حَمَاهَا) أي مَنْعَ لُبْنَى.

(كَكَلَيْبٍ) هو كَلَيْبُ بْنُ رَبِيعَةَ التَّغْلِبِيِّ.

(فَلَهُ جَسَّاسٌ رُمَحٌ) أي له رُمَحٌ جَسَّاسٌ يبحثُ عن المُقاتِلِ وَيَتَّبِعُهُ حتى يصل إليه، وهذا

تلمييحٌ إلى خبر جساس بن مرة مع كليب.

(رَاصِدٌ بِالطَّرْقِ) الرَّصْدُ: التَّرَقُّبُ والانتظار، ومنه في القرآن: ﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾

[التوبة: ٥]، ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ [الجن: ٩]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

وكان من خبر كليبٍ وجَسَّاسٍ أَنَّ كُليبًا كان قد عز وساد في ربيعة، وهو الذي قاد مَعَدًّا كلَّها يوم خزازی وفَضَّ جُموعَ اليمن، فاجتمعت إليه مَعَدُّ وتَوَجَّهَتْ وأطاعته، فداخله عُجبٌ كبير فبغى على قومه، وكان مِنْ أمره أنه حمى أرضًا لا ترعى فيها إلا إبله وإبل جساسٍ للمُصَاهرة التي بينهما؛ لأنه كانت تحته أختُ جَسَّاسٍ.

ثم إن خالة جساس واسمها البسوس كان لجارٍ لها ناقةٌ يُقال لها: سَراب، وَرَدَتْ حِمَى كُليب، فرآها كُليبٌ في نوقه، فغَضِبَ ورمأها بسهمٍ أَنْفَذَ ضَرْعَهَا، فرجعت الناقة وضَرْعُهَا يَشْخُبُ دَمًا ولَبَنًا حتى بركت بفناء صاحبها، فصاح: "واذْلَاه!"، فلما سمعته البسوس - وكانت قد أجارته - نادت هي الأخرى: "واذْلَاه!"، فغَضِبَ جساس وقال: "والله لَيُقْتَلَنَّ غَدًا جملٌ عظيمٌ أعظمُ عقرًا من ناقة جارك" يُريد بذلك كُليبًا، فبلغ كلامه كُليبًا؛ فظن أنه يُريد قتل عُلَيَّان وهو فحلٌ كريمٌ له، فقال: "هيهات دون عُلَيَّان خَرُطُ الْقِتَاد" ثم إِنَّ كُليبًا مَرَّ بقومه بني بَكْرِ على ماءٍ يُقال له: شُبَيْث، فمنعهم منه وهم عطاش، ثم مَرُّوا على ماءٍ آخر يُقال له: الْأَحْص، فمنعهم منه، ثم مَرُّوا على ماءٍ ثالثٍ يُقال له: الذَّنَاب فمنعهم منه، فتبعه جساس وقال له: "طردت أهلنا عن المياه حتى كِدْتَ تقتلهم عطشًا"، قال: "ما منعناهم من ماءٍ إلا ونحن له شاغلون" قال: "فما حملك على ما فعلت بالناقة؟" فطعنه بالرُّمَح، فلما وجد كُليبٌ طعم الموت قال: "يا جساس اسقني ماءً"، قال: "هيهات تجاوزت شُبَيْثًا والأَحْصَ ولم تشرب ومنعتنا منه!" وكان مع جساس رجلٌ من عشيرته يُقال له: عمرو بن الحارث، فقال

كُليب: يا عمرو أَغْنِي بِشَرِبَةِ مَاءٍ، فَنَزَلَ عَمْرٌ عَنْ فَرَسِهِ وَاحْتَزَّ رَأْسَهُ، فَقِيلَ:

المُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ

ثم إن قومَ كُليبٍ اجتمعوا وانطلق رهطٌ من أشرافهم إلى مُرَّةَ بنِ ذُهَلٍ والدِ جَسَّاسٍ، فقالوا: "إنكم قد أتيتم أمراً عظيماً بقتلكم كُليباً بناقة، وقطعتم رحمكم، وإنا نعرض عليكم خلالاً أربعاً لكم فيها مخرج ولنا فيها مقنع: إما أن تُخَيُّوا كُليباً، وإما أن تدفعوا إلينا جَسَّاساً فنقتله به، وإما أن تدفعوا إلينا هَمَّاماً فنقتله به فإنه كُفُوٌّ له - وهمام هو أخو جَسَّاس وهو من أشرافهم -، وإما أن تُقَيِّدَنَا مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ فِيكَ وَفَاءً لِدَمِهِ".

فقال لهم مُرَّةٌ: "أما إحياءُ كُليبٍ فلا قدرةَ لأحدٍ به، وأما جَسَّاسٌ فغلامٌ غِرٌّ طَعَنَ طَعْنَةً انخلع لها قلبه، فلا أدري أين ذهب، وأما هَمَّامٌ فأبو العشرة، وأخو العشرة، وعم العشرة؛ ويوشكُ إن دفعته إليكم أن تصيح بنوه في وجهي فتقول: دفعت أبانا للقتل بِجَرِيرَةٍ غيره، وأما أنا فما هو إلا أن تجول الخيل جولة فأكون أول قتيل، فما أتعجل الموت، ولكن لكم عندي خصلتان: أما إحداهما: فهؤلاء أبنائي فخذوا أيّاً منهم بنسعةٍ في رقبتِه واقتلوه بكُليب، وأما الأخرى: فإني أدفع إليكم ألفَ ناقةٍ سَوْدَ الحَدَقِ حُمَرَ الوَبَرِ" فغضبوا وقالوا: "إنَّا لم نأتك لِتُرْذِلَ لَنَا بَنِيكَ - أَيِ لِنُعْطِيَنَا رُذَالَ بَنِيكَ، وَرُذَالُ كُلِّ شَيْءٍ رَدِيئُهُ - وَلَا لِنَسُومَنَا اللَّبَنَ" فتفرقوا وثارَت الحرب التي دامت أربعين سنةً وقتلَ منهم مُهلَهْلُ أخو كُليبٍ جَمًّا غفيرًا.

وكان الحارث بنُ عُبَادٍ - وهو سَيِّدُ بَكْرِ وفارسُها - قد اعتزل الحرب، وقال: "لا ناقةَ لي بها ولا جملٍ" فأرسلها مثلاً، فقيل له: إن مُهلَهلاً قد كاد يُفني قومَكَ؛ فأرسلَ إلى مُهلَهْلٍ ابناً له يُقال له: بُجَيْرٌ، وقال له: قل لِمُهْلَهْلٍ: أَبِي يُقَرِّئُكَ السَّلامَ، ويقول لك: قد علمتُ أَنِّي اعتزلت الحرب، وخليتك مع قومي تفعل بهم ما تشاء، وقد أدركتَ وَتَرَكْتَ وَقَتْلْتَ قومَكَ، أَنَشُدُكَ البَقِيَّةَ فِيهِمْ، فَاتَى بُجَيْرٌ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُهلَهْلٍ وهو في نادي قومِه، فبلَّغَه الرسالة،

فَصَمَدَ إِلَيْهِ مُهْلَهْلٌ بِالرُّمَحِ فَرَمَاهُ بِهِ، وَقَالَ: "بُوْ بِشْسَعِ نَعْلِ كُليب" فقال الغلام: "إِنْ رَضِيتَ بِذَلِكَ بَنُو بَكْرٍ رَضِيتُ" فلما بلغ الحارثُ بْنُ عُبَادٍ مَقْتُلَ ابْنِهِ بُجَيْرٍ قَالَ: "نِعَمَ الْقَتِيلُ قَتِيلًا أَصْلَحَ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ بَكْرٍ وَتَغْلِبَ وَبَاءَ بَدَمِ كُليب" فقالوا: إِنْ مُهْلَهْلًا قَالَ: "بُوْ بِشْسَعِ نَعْلِ كُليب" -وَشِسْعُ النَعْلِ: سَيْرُهُ- فَلَمْ يُصَدِّقْ، وَأَرْسَلَ إِلَى مُهْلَهْلٍ يَقُولُ: "إِنْ كُنْتَ قَتَلْتَ ابْنِي بِكُليبٍ فَقَدْ رَضِيتُ" فقال مُهْلَهْلٌ: "إِنَّمَا قَتَلْتَهُ بِشْسَعِ نَعْلِ كُليب" فغَضِبَ الحارثُ عِنْدَ ذَلِكَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

قَرَّبَا مَرْبُطَ النَّعَامَةِ مِنِّي	لَقَحَتْ حَرْبٌ وَائِلٍ عَنِ حِيَالِ
قَرَّبَا مَرْبُطَ النَّعَامَةِ مِنِّي	إِنَّ يَبْعَ الْكِرَامِ بِالشَّسْعِ غَالِ
قَرَّبَا مَرْبُطَ النَّعَامَةِ مِنِّي	لِبُكَاءِ الشُّيُوخِ وَالْأَطْفَالِ
قَرَّبَا مَرْبُطَ النَّعَامَةِ مِنِّي	لِحَنَنِ النِّسَاءِ وَالْإِغْوَالِ
قَرَّبَا مَرْبُطَ النَّعَامَةِ مِنِّي	شَابَ رَأْسِي وَأَنْكَرْتَنِي رِجَالِي
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللَّهُ	هُوَ وَإِنِّي بِحَرْهَا الْيَوْمَ صَالِ
لَا بُجَيْرٌ أَغْنَى قَتِيلًا وَلَا رَهْـ	طُ كُليبٍ تَزَاجَرُوا عَنْ ضَلَالِ

وهذه الأبيات من قصيدة طويلة تبلغ أبياتها نحو المئة، كرّر: (قَرَّبَا مَرْبُطَ النَّعَامَةِ مِنِّي) في نحو خمسين بيتاً كما في نهاية الأرب في فنون الأدب، والذي في الأصمعيات من هذه القصيدة ثلاثة أبيات، البيت الأول والبيتان الأخيران. والنَّعَامَةُ اسم فرسه. ثم شَمَّرَ لحرب تغلب حتى كاد يُبيدهم، ولم تقم بعده لتغلب راية، وقد أشار إلى هذا في عمود النسب بقوله:

وَابْنَاهُ تَغْلِبٌ وَبَكْرٌ قَامَا	عَلَى الشَّقَاقِ أَرْبَعِينَ عَامَا
أَنْ غَالَ جَسَّاسُ كُليبِ التَّغْلِبِي	لِقَتْلِهِ نَاقَةَ خَالَةِ الْأَبِي
وَوَضَحَ يَسْـُـرَتُهُ بِرُكْبَتِهِ	أَبْرَزَهُ نَجَاءَهُ مِنْ فَتْكَتِهِ

وَعُغِبَتْ تَغْلِبُ حَتَّى كَلَّمُوا فِي الْأَرْضِ حَارِثًا عَسَاهُ يَرْحَمُ

يُشير إلى أن الحارث بن عباد حلف ألا يترك قتالهم حتى يكلموه من تحت الأرض، فلما كثرت وقائعه في تغلب ورأت تغلب أنها لا تقوم له حفروا سرباً تحت الأرض، وأدخلوا فيه رجلاً وقالوا: إذا مر بك الحارث فأنشده هذا البيت:

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقِ بَعْضَنَا حَنَائِكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

فلما مر الحارث اندفع الرجل وأنشد هذا البيت، فقبل للحارث: قد برّ بقسمك فأبق بقية قومك؛ فأمسك واصطلحت بكر وتغلب.

ثم قال ابن النون - رحمه الله -:

لَا بُدَّ لِي مِنْهَا وَلَوْ تَحَصَّنْتُ ٧٧ بِالْأَبْلَقِ الْفَرْدِ وَبِالْخَوَزَنْقِ

(لَا بُدَّ لِي) البُدُّ: العوض، وقولهم: لا بد معناه: لا محالة.

(مِنْهَا) الضمير يعود على لُبْنَى.

(وَلَوْ تَحَصَّنْتُ) أي تَمَنَّعَتْ وَتَحَرَّزَتْ.

(بِالْأَبْلَقِ الْفَرْدِ) هو حصنُ السموأل ابن عادياء، يُضْرَبُ به المثلُ في العِزَّة، يُقال: أعزُّ من

الأبلق الفرد، وفيه يقول السموأل:

لَنَا جَبَلٌ يَخْتَلُهُ مَنْ نُجِيرُهُ مَنِعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَلِيلُ
رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى وَسَمًا بِهِ إِلَى النَّجْمِ فَرْعٌ لَا يُنَالُ طَوِيلُ
هُوَ الْأَبْلَقُ الْفَرْدُ الَّذِي شَاعَ ذِكْرُهُ يَعِزُّ عَلَى مَنْ رَامَهُ وَيَطُولُ

وقد بناه له جده عادياء كما قال السموأل:

بَنَى لِي عَادِيَا حِصْنًا حَصِينًا وَمَاءً كَلَّمَا شِئْتُ اسْتَقَيْتُ

(وَبِالْخَوَزَنْقِ) الخَوَزَنْقُ: قصرُ النُّعْمَانِ الْأَكْبَرِ مَلِكِ الْحِيرَةِ، وَكَانَ مِنْ فَخَامَةِ الْبُنْيَانِ

وحُسن الإتيان على جانبٍ عظيم، وكان الذي بناه له رجلٌ يُقال له: سِنِمَّار، يُقال: إنه مَكَثَ في بنائه عشرين سنة، فلما أتمَّ بناءه رمى به النُّعمانُ من فوق القصر، فضربت العرب به المَثَلُ في مُجازاة السوء على الإحسان، فقالوا: "جزاء سِنِمَّار" ومنه قول الشاعر:

جَزَى بَنُوهُ أَبَا الْغَيْلَانِ عَنْ كِبَرٍ وَحُسْنِ فِعْلٍ كَمَا يُجْزَى سِنِمَّارُ

وهذا البيت من شواهد النحاة على عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبةً فإنَّ الهاء في (بنوه) تعودُ على المفعول به (أبا) وهو متأخر، قال ابن مالك:

وَشَاعَ نَحْوُ خَافَ رَبَّهُ عُمَرُ وَشَدَّ نَحْوُ زَانَ نَوْرُهُ الشَّجَرُ

لَا بُدَّ لِي مِنْهَا وَإِنْ عَثَرْتُ فِي ٧٨ ذَيْلِ الْحُسَامِ وَالسَّانِ الْأَزْرَقِ
(وَإِنْ عَثَرْتُ) يُقال: عَثَرَ إِذَا زَلَّ.

(فِي ذَيْلِ الْحُسَامِ) الحُسَامُ: هو السَّيْفُ القاطع، وقد قيلَ في قوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٧]، قيل: هو من الحَسَمِ بمعنى القطع أي قَطَعَتْهُمْ بالإهلاك.

(وَالسَّانِ الْأَزْرَقِ) السَّانُ: حديدةُ الرُّمَحِ التي تُرَكَّبُ في رأسه، ووَصَفَهُ بالأزرق لشدة صفائه، وترَقَّرِقَ مائه، لذلك يُقال للماء الصافي: أزرق.

يُشير ابن الونان بهذا البيت إلى كثرة الشُّجعان من قومها الذين يمنعونها بأسلحتهم.

فَإِنْ ظَفَرْتُ بِالْمُنَى مِنْ قُرْبِهَا ٧٩ بِالْغَتِّ فِي صَيَانَةِ الْعَرَضِ النَّقِيِّ
(فَإِنْ ظَفَرْتُ) الظَّفَرُ: الفوزُ بالمطلوب.

(بِالْمُنَى) المُنَى واحدتها: مُنْيَةٌ، وهي اسمٌ لما يتمناه الإنسان.

(بِالْغَتِّ) بذلتُ جُهدي.

(فِي صَيَانَةٍ) في حفظ.

(العَرَضُ النَّقِيُّ) العَرَضُ: موضع المدح والذم.

يقول: إذا ظَفَرَ بوصلها الذي يتمناه فسيكون عفيفاً وسيبقى عَرَضُهُ نَقِيًّا.

وَإِنْ بَقِيَتْ مِثْلَ مَا كُنْتُ فَلَا ٨٠ زَلْتُ بَغِيضَ مَضْجَعِي وَنُمْرُقِي

(وَإِنْ بَقِيَتْ مِثْلَ مَا كُنْتُ) أي إن لم أصل إليها ولم أظفر بها.

(فَلَا زَلْتُ بَغِيضَ مَضْجَعِي وَنُمْرُقِي) المَضْجَعُ: مكان الضجوع، يُقال: ضَجَعَ إذا وضع

جنبه بالأرض، والنُمْرُقُ: وسادٌ صغير. يدعو على نفسه بهجران النوم إذا لم يصل إليها.

أَشْنُ كُلِّ غَارَةٍ شَعَوْا عَلَى ٨١ مَن يَحْمِيهَا فِي مِقْنَبٍ وَفَيْلَقٍ

(أَشْنُ) تقول: سَنَنْتُ الماءَ إذا أرسلته إرسالاً من غير تفريق، فإذا صببته مُفَرَّقًا قلت:

سَنَنْتُهُ، فمعنى "شَنَّ الغارة عليهم": فَرَّقَهَا عليهم من كل وجه.

حرف الشين فيه صفة التفشي، لذا يُناسبه معنى التفريق، وهذا من المُناسبة بين اللفظ

والمعنى، وقد تكلم عنه ابن جني في الخصائص، وعقد له باباً سماه: إِمساس الألفاظ أشباه

المعاني، وأبدى إعجابه به ابن القيم -رحمه الله- في "جلاء الأفهام"، وذكر أنه حكى لشيخ

الإسلام ابن تيمية هذا عن ابن جني، وذكر ما أفاده به شيخ الإسلام في هذا، ثم قال ابن القيم

-رحمه الله-: "وإن مَدَّ الله في العُمُر وضعتُ فيه كتاباً مُستقلاً إن شاء الله" لكن ما وصلنا له

كتابٌ في هذا.

وفي "جلاء الأفهام" تطبيقاتٌ حسنة تُنبِّهك على ما وراءها، وتُطْلِعُكَ على هذا الباب

الذي يستدعي لطافةً ذهنٍ وِرْقَةً طبع، ولا يتأتَّى لمن رضي لنفسه بأوائل مسائل النحو

والصرف دون تدبُّرها والغوصِ في أسرار هذه اللغة الباهرة.

(أَشْنُ كُلِّ غَارَةٍ) الغارةُ: الخيلُ المُغيرة، وبه سُمِّي، ومنه: المُغيرةُ بنُ شعبة رضي الله

عنه، يُقال: أغار على العدو؛ إذا هَجَمَ عليهم ديارهم وأوقعَ بهم.

(شَعْوَا) أصله: شعواء، قَصَرَهُ للضرورة، وقَصُرَ الممدود للضرورة جائز بالإجماع، قال

ابن مالك:

وَقَصُرُ ذِي الْمَدِّ اضْطِرَارًا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ وَالْعَكْسُ بِخُلْفٍ يَقَعُ

والشعواء: هي الفاشية المتفرقة التي تأتي من كل جانب وكل ناحية.

(عَلَى مَنْ يَحْمِيهَا) الأصل أن يقول: على من يحميها؛ لأن (مَنْ) موصولة ليست شرطية،

ولكنه استغنى هنا بالكسرة عن الياء أي حُذِفَت الياء تخفيفاً وبقيت الكسرة دليلاً عليها.

(فِي مِقْنَبٍ) المِقْنَبُ: الجماعة من الخيل تجتمع للغارة.

(وَفَيْلَقٍ) والفَيْلَقُ: الجيش العظيم.

يقول: مَنْ حمى لُبْنَى فسيشُنُّ عليه غارةً شعواء في خيلٍ وجيشٍ عظيم.

وَفِي خَمِيسٍ مِنْ خِيَارٍ يَعْزُبُ ٨٢ ذَوِي رِمَاحٍ وَخِيُولٍ سُبُقٍ

(وَفِي خَمِيسٍ) الخَمِيسُ: الجيش، سمي بذلك لاشتماله على خمس فرق: المقدمة،

والقلب، والميمنة، والميسرة، والساقة.

(مِنْ خِيَارٍ يَعْزُبُ) يَعْزُبُ: هو يعرب بن قحطان، وقحطان: أبو العرب اليمانية.

(ذَوِي رِمَاحٍ) أي أصحاب رماح.

(وَخِيُولٍ سُبُقٍ) السُّبُقُ: جمع سَبُوق، والسَّبُوق: السابق من الخيل، قال الفرزدق:

مِنْ الْمُحْرَزِينَ الْمَجْدَ يَوْمَ رَهَانِهِ سَبُوقٌ إِلَى الْغَايَاتِ غَيْرُ مُسَبَّقٍ

يقول: أَشْنُ عَلَى مَنْ يَحْمِي لُبْنَى غارةً شعواء في مِقْنَبٍ وَفَيْلَقٍ وفي خميسٍ أي جيشٍ من

خيارٍ رجالٍ يَعْزُبُ بن قحطان، وهم أصحاب رماح وخيول سابقة.

مِنْ أُسْرَتِي بَنِي مُلُوكٍ فَهُمْ ٨٣ أَطْوَعُ لِي مِنْ سَاعِدِي وَمَرْفَقِي

(مِنْ أُسْرَتِي) أسرة الرجل: رَهْطُهُ، يقول: هؤلاء الرجال الذين هم من خيار يعرب هم من

أسرتي بني ملوك، هذا لقب أسرته، وهم أطوع له أي أكثر طواعيةً من ساعده ومرفقه والمرفق: موصِل الذراعِ مِنَ العَضْد، يُقال فيه: مَرَفَق، ومَرَفَق.

وَمَرَفَقٌ كَمَجْلِسٍ وَمَنْبَرٍ وَضَبْتُ ذَا مِنْ نَصِّ قَامُوسٍ دُرِي

من هذا الموضع انتقل ابن الونان من الحماسة إلى الفخر.

سَلِ ابْنَ خَلْدُونَ عَلَيْنَا فَلَنَا ٨٤ بِيَمَنِ مَآثِرٌ لَمْ تُمَحَقِ

(سَلِ ابْنَ خَلْدُونَ) هو أبو زيد عبدالرحمن بن خلدون -بفتح الخاء- الحضرمي المؤرخ، له التاريخ المشهور الذي ارتبط ذكره به، وهو تاريخ برع في مقدمته في تحليل المجتمع.

(سَلِ ابْنَ خَلْدُونَ عَلَيْنَا) أي سلّه عنا.

(فَلَنَا بِيَمَنِ مَآثِرٌ) المآثر: جمعُ مَآثِرَةٍ، والمآثرَةُ كالمَكْرُمَةِ وزناً ومعنى، سُميت بذلك لأنها تُؤثر أي تُنقل ويُتحدث بها.

(لَمْ تُمَحَقِ) أي لم تُبطل، يُقال: مَحَقَهُ إذا أبطله ومحاه، ومنه في القرآن: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرُّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٦] أي يُبطله ويُهْلِكُه حِسًّا بَتَلَفِهِ أو معنىً بذهاب بركته.

والناظم نسبُه في حمير ملوك اليمن؛ لذا أحال على ابن خلدون لمعرفة مآثر أسلافه، ومفاخر جدوده.

وَسَلِ سُلَيْمَانَ الْكَلَاعِي كَمْ لَنَا ٨٥ مِنْ خَيْرٍ بِخَيْرٍ وَالْخَنْدَقِ

وَيَوْمَ بَدْرٍ وَخُنَيْنٍ وَتَبُو ٨٦ لَكَ وَالسَّوِيْقِ وَبَنِي الْمُصْطَلِقِ

(وَسَلِ سُلَيْمَانَ الْكَلَاعِي) وهو سليمان بن موسى الكلاعي الحميري الحافظ محدث الأندلس وبليغها، له كتاب الاكتفا بما تضمنه من مغازي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والثلاثة خلفا وهو مطبوع، وإنما ذكره الناظم لتضمنه الكلام عن الغزوات التي ذكرها في

هذين البيتين.

ومقصود الناظم الافتخارُ بما كان للأنصارِ - رضي الله عنهم - من المشاهد العديدة والمقامات الحميدة مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في مغازيه وفتوحه؛ لأن أصل نسب الأنصار في عرب اليمن فهو منهم.

(مِنْ خَيْرٍ بِخَيْرٍ) بين (خَيْرٍ) و(خَيْرٍ) جناس غير تام وهو من المحسنات اللفظية.

كان فتح خيبر في السنة السابعة، وكانت مجمعاً لبقايا من أَجْلِي من المدينة من اليهود، وكان فيها كُبراء بني النضير، وفي سورة الأحزاب بُشِّرَ بفتح خيبر في قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا﴾ [الأحزاب: ٢٧] يعني أرض خيبر.

وفي سورة الفتح أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ [الفتح: ١٩] هي مغنم

خيبر.

(وَالْخَنْدِقُ) كانت غزوة الخندق في السنة الخامسة على ما صححه ابن القيم وابن كثير.

سُمِّيَتْ غزوة الخندق؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - أَمَرَ بحفرِ خندقٍ حول المدينة بإشارة سلمان الفارسي حين قال: "كنا إذا خِفْنَا خَنْدَقْنَا" حتى إن قُرَيْشًا لما جاءت قالت: "هذه مكيدة ما عرفتها العرب" وتسمى الأحزاب؛ لاجتماعِ أحزابٍ متفرقة على حرب المسلمين وهم: قُرَيْش، وغطفان، واليهود، وقد هزم الله الأحزاب وحده قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩].

(وَيَوْمَ بَدْرٍ) هي غزوة بدر الكبرى، كانت في السنة الثانية، وهي يومُ الفرقان، يومَ التقى

الجمعان، وخلاصة ما حصل فيها: ما قاله أبو سُفيان بن الحارث لِعَمِّه أبي لهب حين سأله "فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، أَخْبِرْنِي كَيْفَ كَانَ أَمْرُ النَّاسِ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ: وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا

أَنْ لَقِينَا الْقَوْمَ فَمَنْحَنَاهُمْ أَكْتَفْنَا يَقُودُونَنَا كَيْفَ شَاءُوا، وَيَأْسِرُونَنَا كَيْفَ شَاءُوا، وَإِئِمُّ اللَّهُ مَعَ ذَلِكَ مَا لُمْتُ النَّاسَ، لَقِينَا رِجَالًا بِيضًا، عَلَى خَيْلٍ بُلُقٍ، بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَاللَّهُ مَا تُلِيقُ شَيْئًا وَلَا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ " وهو يومُ البَطْشَةِ الْكُبْرَى ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾

[الدخان: ١٦].

(وَحْنَيْنٍ) هي غزوة حُنين، وكانت هوازن قد اجتمعت لقتال النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر الله لنا خبرها في سورة التوبة في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٥ - ٢٧].

(وَتَبُوكَ) هي غزوة تبوك، وتسمى غزوة العُسرة؛ لِمَا نال النَّاسَ فيها مِنْ عُسْرٍ وَشِدَّةٍ ومشقة، وقد سار النبي -صلى الله عليه وسلم- بأصحابه حتى بلغ تبوك يُخَوِّفُ الرُّومَ، ثم رجع ولم يلق كيِّدًا.

(وَالسَّوِيقِ) غزوة السويق كانت بعد بدر، وقد كان أبو سُفْيَانٍ نَذَرَ ألا يغسل رأسه بماءٍ حتى ينتقمَ لقتلاه؛ فتجهزَ في مِئَةِ فَارِسٍ وجاءوا المدينة، وحرَّقَ في أَصْوَارٍ مِنْ نَخْلِ المدينة -الأصوار جمعُ صَوْرٍ وهو جماعةُ النخل- وقطعها إفسادًا وتخريبًا، وقتل رجلين رجلًا من الأنصار، وحليفًا له، ثم فرَّ هاربًا كأنه رأى أنه قد وفى بنذره، فنذر بهم الناس -أي علموا بهم- فخرج النبي -صلى الله عليه وسلم- في جماعةٍ من أصحابه في طلبه، وكان أبو سُفْيَانٍ ومن معه وهم في الطريق فَارِّينَ يُلْقُونَ أَجْرِبَةَ السَّوِيقِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَخَفُوا ويتمكنوا من الفرار؛ لهذا سُميت غزوة السويق، والسويق: هو دقيقُ القمحِ المَقْلُوءُ، والأكثرُ أن يكون من الشعير،

ولم يُدركهم النبي صلى الله عليه وسلم.

(وَبَنِي الْمُصْطَلِقِ) بنو الْمُصْطَلِقِ: حَيٌّ مِنْ خُرَاعَةَ، وهذه الغزوة تسمى غزوة بني المصطلق نسبةً إليهم، وتُسمى غزوة المُرَيْسِعِ نسبةً إلى ماء لهم هناك يُقال له: المُرَيْسِعِ، وقد لقيهم النبي - صلى الله عليه وسلم - على هذا الماء، فقتل مُقاتلتهم، وسبى ذراريهم. والناظم هنا يفتخرُ بالبلاء الحسن الذي أبلاه الأنصار في هذه الغزوات، وفضل الأنصار لا يفي به حصر، يكفي في مدحهم قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٧٤].

قال حسان بن ثابتٍ - رضي الله عنه - بعد حُنين:

سَمَّاهُمْ اللَّهُ أَنْصَارًا بِنَصْرِهِمْ دِينَ الْهُدَى وَعَوَانَ الْحَرْبِ تَسْتَعِرُّ

إلى أن قال:

فَمَا وَنِينَا وَمَا خِمْنَا وَمَا خَبَرُوا مِنَّا عِثَارًا وَكُلُّ النَّاسِ قَدْ عَثَرُوا

وقال لسان الدين ابن الخطيب:

أَبْنِي الْأَنْصَارِ لَكُمْ شَرَفٌ أَوْوَا نَصَرُوا أَوْذُوا صَبَرُوا حَفِظُوهُ بِبَذْلِ النَّفْسِ كَمَا حُكْمُ الْقُرْآنِ بِهِ نَطَقَا كَانُوا لِرَسُولِ اللَّهِ وَقَا حَفِظُوا بِجُفُونِهِمُ الْحَدَقَا

بِهِمْ فَخَرْتُ ثُمَّ زِدْتُ مَفْخَرًا ٨٧ بِأَدَبِي الْغَضُّ وَحُسْنِ مَنْطِقِي

(بِهِمْ فَخَرْتُ) تقديمُ المعمولِ يُفيدُ الحصر، أي بهم لا بسواهم فخرت، والفخرُ: هو التَّمَدُّحُ بالخصال.

(ثُمَّ زِدْتُ مَفْخَرًا) المَفْخَرُ: مصدرٌ ميميٌّ بمعنى الفخر.

(بِأَدَبِي) أي بعلمي بلسان العرب وأيامها.

(الغَضُّ) الغَضُّ: الطري.

(وَحُسْنِ مَنْطِقِي) المَنْطِقُ: مصدرٌ ميميٌّ بمعنى النُّطق.

وَزَانَ عِلْمِي أَدَبِي فَلَنْ تَرَى ٨٨ مَنْ شَعْرُهُ كَشَعْرِي الْمُنَمَّقِ

(وَزَانَ عِلْمِي أَدَبِي) أَي حَسَنَ عِلْمِي أَدَبِي.

(الْمُنَمَّقُ) الْمُنَمَّقُ: الْمُحَسَّنُ الْمُزَيَّن.

فَإِنْ مَدَحْتُ فَمَدِيحِي يُشْتَفَى ٨٩ بِهِ كَمَثَلِ الْعَسَلِ الْمُرَوَّقِ

(فَإِنْ مَدَحْتُ) الْمَدْحُ: الثَّناء عَلَى الشَّيْءِ بِمَا فِيهِ مِنَ الصِّفَاتِ الْجَمِيلَةِ.

(الْعَسَلِ الْمُرَوَّقِ) الْمُرَوَّقُ: الْمُصَفَّى، مِنْ رَاقَ الْمَاءُ يَرُوقُ إِذَا صَفَا.

وَإِنْ هَجَوْتُ فَهَجَائِي كَالشَّجَا ٩٠ يَقِفُ فِي الْحَلْقِ وَمِثْلُ الشَّرْقِ

(وَإِنْ هَجَوْتُ) الْهَجَاءُ: ثَلْبُ الْأَعْرَاضِ وَذِكْرُ مَعَايِبِ النَّاسِ بِالشَّعْرِ.

(فَهَجَائِي كَالشَّجَا) الشَّجَا: مَا يَنْشَبُ فِي الْحَلْقِ مِنْ عَظْمٍ وَغَيْرِهِ، لَذَا قَالَ: (كَالشَّجَا يَقِفُ

فِي الْحَلْقِ).

(وَمِثْلُ الشَّرْقِ) الشَّرْقُ: الْغُصَّةُ فِي الْحَلْقِ.

فَإِنْ يَكُ الشَّعْرُ عَصَا غَيْرِي فَقَدْ ٩١ أَطَاعَنِي فِي عَيْهَقٍ وَحَنْقٍ

(فَإِنْ يَكُ الشَّعْرُ) يَكُ أَصْلُهَا: يَكُنْ، حُذِفَتْ مِنْهَا النُّونُ، وَهُوَ حَذَفُ جَائِزٍ، قَالَ ابْنُ مَالِكٍ:

وَمِنْ مُضَارِعٍ لَكَانَ مُنَجَزِمٌ تُحَذَفُ نُونٌ وَهُوَ حَذَفُ مَا التَّرِمُ

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]، ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠].

(فِي عَيْهَقٍ) الْعَيْهَقُ: النَّشَاطُ.

(وَحَنْقٍ) الْحَنْقُ: الْغَيْظُ أَوْ شِدَّتُهُ.

وَإِنْ يَكُنْ سَيْفًا مُحَلَّى فَلَقَدْ ٩٢ أَبْلَى نَجَادَهُ عَنَاقُ عُنْقِي

(وَأِنْ يَكُنْ سَيْفًا مُحَلًّى) أي مُزَيَّنًا.

(أَبْلَى) أي أَخْلَقَ.

(نَجَادُهُ) نَجَادُ السَّيْفِ: حمائله.

(عِنَاقٌ عُنُقِي) العِنَاقُ: الضم والالتزام، وهذه كناية عن الملازمة وطول الصحبة، يريد أنه

قديم العهد بالشعر مداوم عليه.

وَأِنْ يَكُنْ بُرْدًا فَقَدْ صِرْتُ بِهِ ٩٣ مُعْتَجِرًا دُونَ جَمِيعِ السُّوَقِ

(وَأِنْ يَكُنْ) أي الشعر.

(بُرْدًا) البُرْدُ: الكساء.

(مُعْتَجِرًا) الاعتِجَارُ: لَفُّ العمامة على الرأس.

(السُّوقُ) السُّوقُ: جمع سُوقَةٍ، والسُّوقَةُ خلاف المَلِكِ مِنَ الناسِ، قال زهير بن أبي

سُلَمَى:

يَا حَارِ لَا أُرْمِينِ مِنْكُمْ بِدَاهِيَةٍ لَمْ يَلْقَهَا سُوقَةٌ قَبْلِي وَلَا مَلِكٌ

فقابل بين المَلِكِ والسُّوقَةِ، وَمِنَ الْجَمْعِ قولُ زُهَيْرٍ أيضًا يمدح هَرَمَ بْنَ سِنَانٍ:

يَطْلُبُ شَأْوَ امْرَأَتَيْنِ قَدَّمَا حَسَنًا نَالَا الْمُلُوكَ وَبَدَا هَذِهِ السُّوَقَا

وابن الونان بهذا يُعَرِّضُ بغيره من الشعراء، يقول: إنه وحده المُعْتَجِرُ بِبُرْدِ الشعر دون

غيره.

وَأِنْ يَكُنْ تَاجًا فَقَدْ زَادَ سَنَا ٩٤ جَوْهَرُهُ مُذْ حَلَّ فَوْقَ مَفْرِقِي

(وَأِنْ يَكُنْ تَاجًا) التَّاجُ للعجم كالعمامة للعرب، قال الزهري: "العمائم تيجان العرب".

(فَقَدْ زَادَ سَنَا) السَّنَا بالقصر: الضَّوء، ومنه في القرآن: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ﴾ [النور: ٤٣]، والسناء

بالمَدِّ: الرَّفْعَةُ.

(جَوْهَرُهُ) الجَوْهَرُ في الأصل: كُلُّ حَجَرٍ يُسْتَخْرَجُ مِنْهُ شَيْءٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، ثم غلب استعماله فيما يُسْتَخْرَجُ مِنَ الْبَحْرِ مِنَ اللَّالِئِ وَالْدَّرِّ، فَمَا كَانَ صَغِيرًا فَهُوَ اللَّوْلُؤُ، وَمَا كَانَ كَبِيرًا فَهُوَ الدُّرُّ.

(مُذْ حَلَّ) أي نزل.

(فَوْقَ مَفْرَقِي) الْمَفْرَقُ وَالْمَفْرَقُ بِكَسْرِ الرَّاءِ وَفَتْحِهَا: وَسْطُ الرَّأْسِ حَيْثُ يُفْرَقُ الشَّعْرُ، قَالَتْ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- كَمَا فِي الصَّحِيحِينَ: «كَنتُ أَنْظُرُ إِلَى وَبِصِ الطَّيْبِ فِي مَفْرَقِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ مُحْرَمٌ».

وَإِنْ يَكُنْ حَدِيقَةً فَطَالَمَا ٩٥ نَزَّهْتُ فِيهَا خَاطِرِي وَحَدَقِي

(وَإِنْ يَكُنْ حَدِيقَةً) الْحَدِيقَةُ: الْبَسْتَانُ، سُمِّيَ الْبَسْتَانُ حَدِيقَةً؛ لِأَنَّ الْحَائِطَ مُحْدِقٌ بِهِ، ثُمَّ تَوَسَّعَ فِيهِ، فَاسْتَعْمَلَ لِلرَّوْضَةِ ذَاتِ أَشْجَارٍ، وَلَوْ لَمْ تَكُنْ مُحَاطَةً بِحَائِطٍ.

(نَزَّهْتُ) أَصْلُ التَّنْزُّهِ: التَّبَاعُدُ عَنِ الْمِيَاهِ وَالْأَرْيَافِ، لَذَا يُقَالُ: فَلَانِ يَتَنَزَّهُ عَنِ الْأَقْدَارِ، وَيُنْزَهُ نَفْسَهُ عَنْهَا أَيْ يَبَاعِدُ نَفْسَهُ عَنْهَا.

لَذَا ذَكَرَ الْفَيْرُوزْأَبَادِي فِي الْقَامُوسِ أَنَّ اسْتِعْمَالَ التَّنْزُّهِ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْخُضْرِ وَالْبَسَاتِينِ وَالرِّيَاضِ غَلْطٌ قَبِيحٌ، لَكِنْ لَمْ يُوَافَقْ عَلَى ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَخْفَى أَنَّ الْعَادَةَ كَوْنُ الْبَسَاتِينِ خَارِجَ الْقَرْيِ غَالِبًا، فَإِذَا أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَهَا فَقَدْ تَبَاعَدَ عَنِ الْمَنَازِلِ وَالْبُيُوتِ.

وَاسْتِعْمَالَ النَّازِمِ التَّنْزُّهُ فِي الْحَدِيقَةِ يُعْتَدَرُ لَهُ بِهَذَا.

(خَاطِرِي) أَرَادَ بِهِ الْفِكْرَ وَالْبَالِ.

(وَحَدَقِي) وَاحِدَةُ الْحَدَقِ: حَدَقَةٌ وَهِيَ سَوَادُ الْعَيْنِ.

وَإِنْ يَكُنْ بَحْرًا فَقَدْ غُصَّتْ عَلَى ٩٦ جَوْهَرِهِ وَكُنْتُ نَعَمَ الْمُتَّقِي

(الْمُتَّقِي) أَيْ الْمَخْتَارَ، وَالِانْتِقَاءَ: الْاِخْتِيَارَ.

وَهَلْ أَنَا إِلَّا ابْنُ وَنَّانَ الَّذِي ٩٧ قَرَّبَهُ كَمِ مِنْ أَمِيرٍ مُرْتَقٍ

(هل) هنا للنفي بمعنى: (ما)، لذا أبطلها بـ(إلا)، فقال: (وَهَلْ أَنَا إِلَّا ابْنُ وَنَّانَ) أي ما أنا إلا ابن ونان، كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠] أي ما جزاء الإحسان إلا الإحسان.

يشير في البيت إلى ما كان من تقريب السلطان لوالده، وقد سبق خبر ذلك في أول مُدارسة القصيدة.

أَحَقُّ مَنْ حُلِّيَ بِالْأُسْتَاذِ وَالشَّيْخِ ٩٨ شَيْخِ الْفَقِيهِ الْعَالِمِ الْمُحَقِّقِ

وَبِالْمُحَدِّثِ الشَّهِيرِ وَالْأَدِيبِ ٩٩ سَبِّ وَالْمُجِيدِ وَالبَلِيغِ الْمُفْلِقِ

وَأَعْلَمِ النَّاسِ بِدُونِ مَرْيَةِ ١٠٠ سَيَّانِ مَنْ بِمَغْرِبٍ وَمَشْرِقِ

بِالشَّعْرِ وَالتَّارِيخِ وَالْأَمْثَالِ وَالْأَنْسَابِ ١٠١ وَالْآثَارِ سَلَّ تُصَدِّقِ

(أَحَقُّ) أولى وأجدر.

(مَنْ حُلِّيَ) أي وُصِفَ.

(بِالْأُسْتَاذِ) الأستاذ هو الماهر بالشيء، وهي كلمة أعجمية، والسين والذال لا تجتمعان

في كلمة عربية.

(وَالشَّيْخِ) الشَّيْخُ في اللغة: المُسِنُّ الذي جاوز مرحلة الكهولة، قال الشاعر:

زَعَمْتَنِي شَيْخًا وَلَسْتُ بِشَيْخٍ ١٠٢ إِنَّمَا الشَّيْخُ مَنْ يَدُبُّ دَبِيًّا

ومراده: العالمُ المقتدى به المأخوذُ عنه.

(الفَقِيهِ) الفقيه: صاحب الفقه، وهو العِلْمُ بالأحكام الشرعية العملية.

(العَالِمِ الْمُحَقِّقِ) أي المبالغ في تعرُّفِ حقائق المسائل.

(وَبِالْمُحَدِّثِ الشَّهِيرِ) صاحب الحديث، وهو علم السنة النبوية.

(وَالْأَدِيبُ) أي العارِفِ بفنونِ الأدبِ، والأدبُ: هو الكلامُ البليغُ من الشعرِ والنثرِ، وعرفه ابن خلدون بأنه حفظُ أشعارِ العربِ وأخبارِها، والأخذُ من كل علمٍ بطرف.

(وَالْمُحِيدُ) أي المُتَقِنُ.

(وَالْبَلِيعُ) أي المتصف بالبلاغة وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته.

والبليغ: هو من له ملكة يقتدر بها على تأليف الكلام البليغ.

(الْمُفْلِقُ) المُفْلِقُ: اسم فاعل من أفلق: إذا أتى بالفلق وهو الأمر العجيب.

(وَأَعْلَمَ النَّاسِ بِدُونِ مَرِيَّةٍ) بدون شك.

(سَيَّانٍ مَنْ بِمَغْرِبٍ وَمَشْرِقٍ)، سَيَّانٍ: تشية سَيٍّ، ومعنى: سَيَّانٍ: مثلاًن.

(بِالشُّعْرِ) الشعر: الكلام العربي الموزون المُقَفَّى قصداً، قال في مُجَدِّدِ العَوَافِي:

الشُّعْرُ مَوْزُونُ الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ مَعَ قَصْدٍ وَزْنِهِ بِوَزْنِ الْعَرَبِ

هذا على عدم التفريق بين الشعر والنظم، وأما على التفريق بينهما فيُزاد في الشعر أنه لا بُدَّ أن يكون كلاماً بليغاً مبنياً على الاستعارة والوصف، وهذا القيد في تعريف الشعر ذكره ابن خلدون وهو مخرجٌ للنظم، فالشعر يشارك النظم في أنه كلام موزون مقفى قصداً لكنه يزيد عليه أنه كلام بليغ فيه استعارة ووصف، قال الشاعر:

إِذَا الشُّعْرُ لَمْ يَهْزُزْكَ عِنْدَ سَمَاعِهِ فَلَيْسَ خَلِيقًا أَنْ يُقَالَ لَهُ شِعْرٌ

(وَالتَّارِيخُ) أي علم التاريخ.

(وَالْأَمْثَالُ) الأمثال: جمع مَثَلٍ، والمَثَلُ: هو القول السائر المُشَبَّهُ مَضْرِبُهُ بِمَوْرِدِهِ.

(وَالْأَنْسَابُ) أي علم أنساب العرب.

(وَالْآثَارُ) الآثار: جمع أثرٍ وهو ما يُنْقَلُ من أقوال مَنْ دون النبي -صلى الله عليه وسلم-

من الصحابة والتابعين، وربما أُطلق على المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

(سَلْ تُصَدِّقْ) يقول: إذا كنت في شكٍّ فاسأل، فإن سألت فستُصَدِّقُ ما قلتُ لك.

وقد مدح الناظم - رحمه الله - نفسه هنا بما لا مزيد عليه، والشعراء يغتفرون في الشعر ما لا يغتفرونه في النثر، وإن كان مدحُ الإنسانِ نفسه من المستهجن، وقد سئل حكيمٌ: ما الذي لا يحسن وإن كان حقاً؟ فقال: مدحُ الإنسانِ نفسه.

وسأل معاوية - رضي الله عنه - رجلاً: مَنْ سيّد قومك؟ فقال: أنا سيدهم، فقال معاوية: لو كنت كذلك لم تقلها.

وقال بعضهم: أصبحتُ واللهِ أظرفَ الناس، وأشعرَ الناس، وأكثرَ الناسِ أدباً، فقال له أحدهم: اسكت حتى يقولها غيرك، فقال: أنا منذ ثلاثين عاماً أنتظر الناس أن يقولوا فلم يفعلوا!

ومدح أعرابي نفسه فعوتب، فقال: أَأَكِلُهُ إِيكُمْ؟ إذا لا تقولوه أبداً!

فَبَشِّرَنَّ ذَاكَ الْحَسُودَ أَنَّهُ ١٠٢ يَظْفَرُ فِي بَحْرِ الْهَجَا بِالْغَرَقِ

(فَبَشِّرَنَّ ذَاكَ الْحَسُودَ) الذي يكره نعمة الله على عبده.

(يَظْفَرُ) أي يفوز.

(فِي بَحْرِ الْهَجَا بِالْغَرَقِ) الغرقُ في بحر الهجاء ليس مما يُشَرُّ به، وهذا الاستعمال في

الضد يسمى عند علماء البيان بالتهكُّم، ومنه قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾

[الدخان: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الجاثية: ٨]، وقوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ

لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٣٨]، وسبق الكلام عن التهكُّم وذكر شيء من شواهدة عند قول ابن

الونان:

وَكُنْتَ قَدْ عَوَّضْتَ عَنْ أَخْفَافِهَا ٢٨ خُفِّي حُنَيْنٍ ظَافِرًا بِالْأَنْقِ

ثم قال:

وَقُلْ لَهُ إِذَا اشْتَكَى مِنْ دَنْسٍ ١٠٣ أَنْتَ الَّذِي سَلَكَتَ نَهْجَ الزَّلَقِ
(مِنْ دَنْسٍ) الدَّنَسُ: الوَسَخُ.

(سَلَكَتَ نَهْجَ الزَّلَقِ) النَّهْجُ: الطريق، وَنَهْجُ الزَّلَقِ: الطريق الذي لا تثبت عليه قدم، ومنه قوله تعالى: ﴿فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ [الكهف: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾.

وَفُقَّتْ فِي الْجُرْأَةِ خَاصِي أَسَدٍ ١٠٤ فَمُتْ بِغَيْظِكَ وَبِالرَّيْقِ اشْرِقْ
(وَفُقَّتْ فِي الْجُرْأَةِ خَاصِي أَسَدٍ) أي تجاوزت في الجرأة جرأة مَنْ يحاول خضاء الأسد.
(فَمُتْ بِغَيْظِكَ) الغَيْظُ: غَضَبٌ كامنٌ للعاجز، قال تعالى: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٩].

يقول له في هذه الأبيات الثلاثة: سأهجوكم هجاءً تَغْرَقُ في بحره، ولا تَشْتَكِ منه؛ لأنك أنت الذي عَرَّضْتَ نَفْسَكَ له، وسَلَكَتَ طريقه بمجاوزة حدِّك، ومَسَاجِلَةٍ مَنْ لا طاقة لك به. وهو يشير بقوله: (وَفُقَّتْ فِي الْجُرْأَةِ خَاصِي أَسَدٍ) إلى مَثَلٍ من أمثال العرب، وهو قولهم: "أَجْرًا مِنْ خَاصِي الْأَسَدِ" يُضْرَبُ مَثَلًا لِمَنْ يُقَدِّمُ عَلَى الْأَمْرِ الْعَظِيمِ، وَيَمُدُّ يَدَهُ إِلَى الرَّجُلِ الْكَبِيرِ.

قيل: إن أصله أن حَرَّاثًا كان يَحْرُثُ، فَأَتَاهُ أَسَدٌ وَقَالَ لَهُ: مَا الَّذِي ذَلَّلَ لَكَ هَذَا الثَّوْرَ حَتَّى يَطِيعَكَ؟ قَالَ: خَصِيَّتُهُ، قَالَ الْأَسَدُ: وَمَا الْخِصَاءُ؟ قَالَ: ادْنُ مِنِّي أُرْكَهْ، فَدَنَا الْأَسَدُ مِنْهُ مِنْقَادًا لِيَعْلَمَ ذَلِكَ، فَشَدَّهُ وَثَاقًا وَخِصَاءَهُ، فَقِيلَ: أَجْرًا مِنْ خَاصِي الْأَسَدِ.

وَمَا الَّذِي دَعَاكَ يَا حَبُّ إِلَى ١٠٥ ذَا الْأَفْعَوَانِ ذِي اللِّسَانِ الْفَرَقِ
(يَا حَبُّ) الْحَبُّ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ: الرَّجُلُ الْخَدَّاعُ.
(الْأَفْعَوَانِ) الْأَفْعَوَانُ: ذَكَرُ الْأَفَاعِي، أَرَادَ ابْنُ الْوَنَانِ بِهِ نَفْسَهُ.

(ذِي اللِّسَانِ الْفَرَقِ) أي صاحبِ اللسانِ المفروق، وهذا ترشيحٌ للاستعارة في قوله: (الأفعوان).

نَطَقْتَ بِالزُّورِ أَمَا كُنْتَ تَعِي ١٠٦ أَنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ
(نَطَقْتَ بِالزُّورِ) أي بالكذب.

(أَمَا كُنْتَ تَعِي) تعي: تحفظ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢].

(أَنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ) هذه الكلمة صحّت عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أنه قال: "البلاء موكل بالمنطق"، وتروى مرفوعة إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولم تصح عنه، لكن شواهدا كثيرة، من ذلك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كما في البخاري دخل على أعرابي يعود، فقال: «لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» فقال الأعرابي: "طهور!، بل حمى تفور، على شيخ كبير، تزيه القبور"، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «فَنَعَمْ، إِذَا».

ومن شواهد ذلك من الشعر قول قيسٍ مجنونٍ ليلى:

فَلَوْ كُنْتُ أَعْمَى أَخْبِطُ الْأَرْضَ بِالْعَصَا أَصَمٌّ فَادْتَنِي أَجَبْتُ الْمُنَادِيَا

فَعَمِي وَصَمَّ، نسأل الله العافية، وقال أيضاً:

قَضَاهَا لِغَيْرِي وَإِتْلَانِي بِحُبِّهَا فَهَلَا بِشَيْءٍ غَيْرِ لَيْلَى إِبْتِلَانِيَا

فما مات حتى برّص، ورأى في منامه قائلاً يقول له: "هذا ما تمنيت".

ومن ذلك أيضاً قول المؤمِّل الشاعر:

شَفَّ الْمُؤَمِّلُ يَوْمَ الْحِيرَةِ النَّظْرُ لَيْتَ الْمُؤَمِّلَ لَمْ يُخْلَقْ لَهُ بَصَرُ

فلم يلبث أن عمي، ورأى في منامه من يقول له: "هذا ما تمنيت في شعرك" نسأل الله

العافية.

وقد أشار ابن القيم -رحمه الله- في تحفة المودود إلى شيء من هذا وقال:

"وقد رأينا من هذا عِبْرًا فينا وفي غيرنا، والذي رأيناه كقطرة في بحر"، ثم أورد بيت المؤمِّل هذا.

ومن شواهد: أَنَّ مَلِكَ الْعَرَبِ الْمُنْذَرَ بْنَ الْمُنْذَرِ نَزَلَ فِي كَتِيبَةٍ مُوَضَّعًا، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَيْبَتَ اللَّعْنِ، إِنْ ذُبِحَ رَجُلٌ هَاهُنَا إِلَى أَيِّ مَوْضِعٍ يَبْلُغُ دَمُهُ مِنْ هَذِهِ الرَّابِيَةِ؟ فَقَالَ الْمُنْذَرُ: الْمَذْبُوحُ وَاللَّهِ أَنْتَ، وَلَأَنْظُرَنَّ إِلَى أَيْنَ يَبْلُغُ دَمُكَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِمَّنْ حَضَرَ: "رُبَّ كَلِمَةٍ تَقُولُ لَصَاحِبِهَا دَعْنِي".

وقال أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي: "مَقْتُلُ الرَّجُلِ بَيْنَ فَكَّيْهِ"، وَقَالَ الْأَحْنَفُ: "حَتَفُ الرَّجُلِ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ".

لَا تَمْزَحَنَّ بِمَا كَرِهْتَ فَرُبَّمَا ضَرَبَ الْمِزَاحُ عَلَيْكَ بِالتَّحْقِيقِ

وقد قال معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه- لِعُبَيْدِ الْجُرْهُمِيِّ: أَخْبِرْنِي بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ: إِنِّي نَزَلْتُ بِحَيٍّ مِنْ قِضَاعَةَ، فَخَرَجُوا بِجِنَازَةِ رَجُلٍ مِنْ عُدْرَةٍ، وَخَرَجْتُ مَعَهُمْ، حَتَّى إِذَا وَارَوْهُ انْتَبَذْتُ جَانِبًا عَنْ الْقَوْمِ وَعَيْنَايَ تَذْرِفَانِ، ثُمَّ تَمَثَّلْتُ بِأَبْيَاتٍ شَعِرْتُ أَرْوِيهَا قَبْلَ ذَلِكَ بِزَمَانٍ طَوِيلٍ، وَذَكَرْتُ الْأَبْيَاتَ فِي آخِرِهَا:

يَبْكِي الْغَرِيبُ عَلَيْهِ لَيْسَ يَعْرِفُهُ وَذُو قَرَابَتِهِ فِي الْحَيِّ مَسْرُورٌ

قال: وَإِلَى جَانِبِي رَجُلٌ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ، فَقَالَ لِي: يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَلْ لَكَ عِلْمٌ بِقَائِلِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ؟ قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ، إِلَّا أَنِّي أَرْوِيهَا مِنْذُ زَمَانٍ، فَقَالَ: وَالَّذِي تَحْلِفُ بِهِ، إِنْ قَائِلُهَا لَصَاحِبُنَا الَّذِي دَفَنَاهُ الْآنَ، وَهَذَا الَّذِي تَرَى ذُو قَرَابَتِهِ أَسْرُ النَّاسِ بِمَوْتِهِ، وَإِنَّكَ لَغَرِيبٌ وَتَبْكِي عَلَيْهِ كَمَا وَصَفْتَ!

قال الشاعر:

لَا تَنْطِقَنَّ بِمَقَالَةٍ فِي مَجْلِسٍ تَخْشَى عَوَاقِبَهَا وَكُنْ ذَا مَصْدَقٍ

وَاحْفَظْ لِسَانَكَ أَنْ تَقُولَ فُتُبَّتْكَى إِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ

ومما يُستطرف ويُستطرف قولُ بعضهم وقد نقل المنطق في قولهم: "البلاء موكل بالمنطق" من معنى القول إلى علم المنطق اليوناني:

نَفَذَ الْقَضَاءُ بِأَخْذِ كُلِّ مُرْهَقٍ مُتَقَلِّسٍ فِي دِينِهِ مُتَزَنِّدٍ
بِالْمَنْطِقِ اشْتَغَلُوا فَقِيلَ حَقِيقَةُ إِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ

وَلَمْ تَخَفْ مِنْ شَاعِرٍ مَهْمَا انْتَضَى ١٠٧ سَيْفَ الْهَجَا فَرَى جَبَالَ الْعُنُقِ
(مَهْمَا انْتَضَى) يقال: انتضى السيف من غمده إذا سلَّه منه.
(فَرَى) أي قَطَعَ.

فَلْتَقِ نَفْسَكَ بِكَفْيِكَ وَلَا ١٠٨ تَسْمُ فَصِيحَ النُّطْقِ بِالتَّشْدُقِ
(فَلْتَقِ نَفْسَكَ بِكَفْيِكَ) أي لِتَحْفَظْ نَفْسَكَ وَلْتَدْفَعْ عَنْهَا.

(وَلَا تَسْمُ فَصِيحَ النُّطْقِ) أي لَا تَتَعَرَّضْ لَفَصِيحِ النُّطْقِ، وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي لَا تَسْمُ النُّطْقَ الْفَصِيحَ.

(بِالتَّشْدُقِ) التَّشْدُقُ: تَكَلُّفُ الْفَصَاحَةِ، وَفِي بَعْضِ نُسَخِ الْقَصِيدَةِ: (بِالتَّمَشْدُقِ)، وَهِيَ كَلِمَةٌ مَوْلَدَةٌ، وَالصَّوَابُ: (بِالتَّشْدُقِ) بِلَا مِيمٍ.

يقول: أَبْقِ عَلَى نَفْسِكَ، وَلَا تَفْضَحْهَا بِمُطَاوَلَةٍ مَنْ لَا تَسْتَطِيعُ لَهُ مُطَاوَلَةً.

فَإِذَاكَ خَيْرٌ لَكَ وَاسْتَمِعْ إِلَى ١٠٩ نُصْحِ الْحَكِيمِ الْمَاهِرِ الْمُحَقِّقِ

(فَإِذَاكَ) أي الَّذِي ذَكَرْتَهُ لَكَ (خَيْرٌ لَكَ وَاسْتَمِعْ إِلَى نُصْحِ الْحَكِيمِ الْمَاهِرِ الْمُحَقِّقِ) ثُمَّ

شَرَعَ يَذْكُرُ شَيْئًا مِنَ الْوَصَايَا وَالْحُكْمِ النَّافِعَةِ فَقَالَ:

فَكُنْ مَهْدَبَ الطَّبَّاعِ حَافِظًا ١١٠ لِجَكِّمٍ وَأَدَبٍ مُفْتَرِقِ

(فَكُنْ مُهَذَّبَ الطَّبَاعِ) التهذيب: التنقية والإصلاح، قال النابغة الذبياني:

وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ أَخَا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثِ أَيِّ الرَّجَالِ الْمُهَذَّبِ

والطَّبَاعُ: السَّجَايا والأخلاق.

ثم بعد أن أوصى بتهذيب الطباع، أوصى بحفظ الحِكم والآداب المتفرقة فقال (حَافِظًا لِحِكْمٍ وَأَدَبٍ مُفْتَرِقٍ) حتى تحملك على الاتصاف بالكمالات، وتكون رياضة لنفسك على الخلال الكريمة والأخلاق العالية.

ثم أوصى بمعاشرة الناس ومخالطتهم بالخلق الحسن فقال:

وَعَاشِرِ النَّاسِ بِحُسْنِ خُلُقٍ ١١١ تُحْمَدُ عَلَيْهِ زَمَنَ التَّفَرُّقِ

يعني أن من أثر ذلك أن يحمذك الناس على خُلُقِكَ الْحَسَنِ بعد تفرقهم عنك، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ».

وَلَا تُصَاحِبْ مَنْ يَرَى لِنَفْسِهِ ١١٢ فَضْلًا بِلا فَضْلٍ وَغَيْرَ الْمُتَّقِي

(وَلَا تُصَاحِبْ مَنْ يَرَى لِنَفْسِهِ فَضْلًا بِلا فَضْلٍ) يقول: لا تصاحب مَنْ لا فضل له، وهو مع ذلك يرى الفضل له على غيره.

وَجَانِبِ صَدَاقَةٍ مَنْ لَا يَزَالُ عَلَى الْأَصْدِقَاءِ يَرَى الْفَضْلَ لَهُ

(وَعَيْرَ الْمُتَّقِي) لمضرة صحبة هذين الصنفين، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لَا تُصَاحِبِ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ».

وَكُلُّ مَنْ لَيْسَ لَهُ عَلَيْكَ مِنْ ١١٣ فَضْلٍ فَلَا تُطْمِعْهُ بِالتَّمَلُّقِ

التَّمَلُّقُ: التَّوَدُّدُ والتَّلَطُّفُ، يقول: لا تتملق لمن لا يستحق ذلك، فَتُطْمِعُهُ في ازدرائك، بل أعط كل ذي حق حقه، وعامل كلًّا بما يليق به.

وَفَوْقَ سَهْمِ النُّمَيْرِيِّ لِمَنْ ١١٤ لَطُرُقِ الْعَلِيَاءِ لَمْ يُوفَّقِ

(وَفَوْقَنَ) فَوْقَ السَّهْمِ: المَحْزُ الذي يُجَعَلُ فِيهِ الوَتْرُ.

(لِطُرُقِ الْعَلَيَاءِ) المقصود: ما يورث الإنسان المجد والرفعة.

وأما النُّمَيْرِيُّ الذي ذكره، فهو أبو حَيَّةَ الهَيْثَمُ بْنُ الرَّبِيعِ النُّمَيْرِيُّ الشاعر، وسهمه مَضْرِبٌ مَثَلٌ فِي الإِصَابَةِ وعدم الخطأ، وقد كان النُّمَيْرِيُّ مشهورًا بالكَذِبِ والجُبْنِ، وله نوادر كثيرة مسطورة في الأغاني.

قال يومًا: "عَنَّ لِي طَبِيٌّ فرميته، فراغ عن سهمي فعارضه والله السهم -يعني تبعه-، ثم راغ فعارضه السهم -يعني أن الطبي أخذ ذات اليمين فتبعه السهم، ثم أخذ الطبي ذات الشمال فتبعه السهم-، قال: فلم يزل يَرُوغُ ويعارضه السهم حتى صَرَعه! فصار النُمَيْرِيُّ مَضْرِبٌ مَثَلٌ فِي الكَذِبِ، وصار سهمه مضرب مثل في الإِصَابَةِ وعدم الخطأ.

ومن كذباته أنه قال: رَمَيْتُ ظَبِيَّةً فلما نَفَذَ السَّهْمُ مِنَ القَوْسِ ذكرتُ بالظبية مَنْ أَحَب، فَشَدَدْتُ وراءَ السهم حتى قبضت على قُدْذِهِ -أي على ريش السهم- قبل أن يدرك الظبية!

وَأَفْعَلُ بِمَنْ تَرْتَابُ مِنْهُ مِثْلُ فِعْ ١١٥ لِ الْمُتَلَمَّسِ اللَّيْبِ الْحَذِقِ

أَلْقَى الصَّحِيفَةَ بِنَهْرٍ حَيْرَةٍ ١١٦ وَقَالَ يَا ابْنَ هِنْدٍ ارْعُدْ وَابْرِقْ

(وَأَفْعَلُ بِمَنْ تَرْتَابُ مِنْهُ) أي تتهمه وتتخوف منه (مِثْلُ فِعْلِ الْمُتَلَمَّسِ اللَّيْبِ) أي العاقل (الْحَذِقِ) أي الماهر.

(أَلْقَى الصَّحِيفَةَ) أي الكتاب (بِنَهْرٍ حَيْرَةٍ) بلدٌ معروف، وقد أسقط الناظم (أل).

(وَقَالَ يَا ابْنَ هِنْدٍ ارْعُدْ وَابْرِقْ) من الثلاثي رَعَدَ وَبَرَقَ يقال: رَعَدَتِ السَّمَاءُ وَبَرَقَتْ،

وكلاهما من باب نَصَرَ، أي يقال: رَعَدَتْ تَرْعُدُ وَبَرَقَتْ تَبْرُقُ بضم عين الفعل في المضارع،

ومنه قول الْمُتَلَمَّسِ:

فَإِذَا حَلَلْتُ وَدُونَ بَيْتِي غَاوَةٌ فَابْرِقْ بِأَرْضِكَ مَا بَدَا لَكَ وَارْعُدْ

ويقال: أَرَعَدْتَ وَأَبْرَقْتَ، وأنكر الأصمعي الرباعي فيهما.

ومن أجازته اِخْتَجَّ بِقَوْلِ الْكُمَيْتِ:

أَرْعُدْ وَأَبْرِقْ يَا يَزِيدُ دُفَمَا وَعِيدُكَ لِي بِضَائِرْ

وعلى جعل الكلمتين في بيت الشَّمَقْمَقِيَّةِ من الرباعي يقال: (وَقَالَ يَا ابْنَ هِنْدٍ أَرْعُدْ

وَأَبْرِقْ)، وإذا صرفت هند تقول: (يَا ابْنَ هِنْدٍ أَرْعُدْ وَأَبْرِقْ).

والمعنى: تَهَدَّدْ وَأَوْعِدْ مَا شِئْتَ.

الْمُتَلَمِّسُ هو جرير بن عبدالمسيح، وهو خالُ طَرْفَةَ، وكان طرفة هجا الملك عمرو بن

هند بأبيات يقول فيها:

فَلَيْتَ لَنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمْرٍو رَغُوْنَا حَوْلَ قُبَّتِنَا تَخُورُ

مِنَ الزَّمَرَاتِ أَسْبَلَ قَادِمَاهَا وَضَرَّتْهَا مَرَكَنَةٌ دُرُورُ

يُشَارِكُنَا لَنَا رَخْلَانِ فِيهَا وَتَعْلُوَهَا الْكِبَاشُ فَمَا تَنُورُ

يقول: إنه يتمنى لو كان لهم مكان الملك عمرو بن هند نعمةً مَرَضَعُ تصيح بجوار قُبَّتِهِمْ،

وتُدِرُّ عليهم اللبن، ثم تخلص إلى هجاء قابوس بن هند وهو أخو الملك، وكان الملك

يرشحه ليكون له الأمر بعده، فقال:

لَعَمْرُكَ إِنَّ قَابُوسَ بْنَ هِنْدٍ لَيَخْلِطُ مُلْكُهُ نَوُكَ كَثِيرُ

فبلغت هذه الأبيات عمرو بن هند، فدعاه ودعا خاله المتلمس، لأنه خاف إن مكر بطرفة

وحده أن يهجوهُ المتلمس، فدعاهما معاً، وأظهر لهما أنه يريد إكرامهما، وأعطاهما شيئاً من

الهدايا والجوائز، وكتب لكل واحدٍ منهما كتاباً إلى عامله بالبحرين يأمره بقتلهما إذا وصلا

إليه، وأوهمهما أنه كَتَبَ لهما بِصِلَةً، فلما وصلا إلى الحيرة قال المتلمس لابن أخته طرفة:

كلانا قد هجا الملك، ولو أراد أن يعطينا لأعطانا ولم يكتب لنا، فهلّم ندفع كتبنا إلى من يقرؤها، فإن كان فيها خيرٌ مضينا له، وإن كان فيها شرٌّ اتقيناه، وكانت العرب إذ ذاك أُمَّةً أُمِّيَّةً، فقال طرفة: ما كنتُ لأفتح كتاب الملك، فقال المتلمس: والله لأفتحن كتابي، ولأعلمن ما فيه، ولا أكون كمن يحمل حتفه بيده.

فنظر المتلمس، فإذا غلامٌ قد خرج من الحيرة، فقال له: أتقرأ يا غلام؟ قال: نعم، فقال: هلّم فاقراء هذا الكتاب، فإذا فيه: "أما بعد: فإذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيًّا" وقيل: إن الغلام لما نظر في الكتاب قال: ثكلت المتلمس أُمّه، فاكتفى المتلمس منه بذلك، وقال لطفة: تعلّم والله إن الذي في كتابك مثل الذي في كتابي. فقال طرفة: إن كان اجترأ عليك فلم يكن ليجترئ عليّ ويوغر صدور قومي بقتلي. وكان طرفة شابًا طائشًا حتى إنه قُتل وهو ابنُ ستٍّ وعشرين سنة، كما قالت أخته لِأُمّه خَرْنِقُ في رثائه:

عَدَدْنَا لَهُ سِتًّا وَعِشْرِينَ حِجَّةً فَلَمَّا تَوَفَّاهَا اسْتَوَى سَيِّدًا ضَخْمًا
فَجَعَلْنَا بِهِ لَمًّا رَجُونًا إِيَابَهُ عَلَى خَيْرِ حَالٍ لَا وَلِيدًا وَلَا قَحْمًا

أما المتلمس فألقى صحيفته في نار الحيرة، وأخذ نحو الشام ونجا، كما قال ابن الونان:
وَأَفْعَلَ بِمَنْ تَرْتَابُ مِنْهُ مِثْلَ فَعْدٍ ١١٥ لِ الْمُتَلَمَّسِ اللَّيِّبِ الْحَذِقِ
أَلْقَى الصَّحِيفَةَ بِنَهْرٍ حَيْرَةٍ ١١٦ وَقَالَ يَا ابْنَ هِنْدٍ ارْعُدْ وَابْرُقْ

وأما طرفة فقد نصح له المتلمس لكنه لم يقبل نصيحته، وفي هذا يقول المتلمس:

وَلَقَدْ نَصَحْتُ لَهُ فَرَدَّ نَصِيحَتِي وَجَرَتْ لَهُ بَعْدَ السَّعَادَةِ أَنْحُسُ

سار طرفة إلى البحرين، حتى إذا بلغها أخبره صاحب البحرين بمضمون الكتاب، وقال له: إنك في حسْبٍ كريم، وبينني وأهلك إخاءٌ قديم، وقد أُمِرْتُ بقتلك فاهرب، فإن كتابك إن قرئَ لم أجذبُداً من أن أقتلك، فأبى طرفة، وظن أنه لا يجترئ على قتله، فحبسه ثم قتله.

وَلَا تَعِدْ بِوَعْدِ عُرْقُوبٍ أَخَا ١١٧ وَفِيهِ وَفَاسَ مَوَالٍ بِالْأَبْلَقِ

شَحَّ بِأَذْرَعِ امْرِئِ الْقَيْسِ وَقَدْ ١١٨ تَرَكَ نَجْلَهُ غَسِيلَ الْعَلَقِ

(وَلَا تَعِدْ بِوَعْدِ عُرْقُوبٍ أَخَا) أوعد الرباعي يستعمل في الشر، ومنه قوله كعب بن زهير -

رضي الله عنه -:

أَنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفُوُّ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ

ووعد عند الإطلاق تُستعمل في الخير، وعند التقييد تستعمل بحسب ما قُيِّدَتْ به، مثال

تقييدها بالخير: ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ [الفتح: ٢٠]، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ

وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ [التوبة: ٧٢].

ومثال تقييدها بالشر: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٦٨]،

﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحج: ٧٢].

وهذا من التناسب في اللغة، فالأخف وهو الثلاثي استُعمل في الخير، والأثقل استُعمل في

الشر.

ومثله: كسب، واكتسب، كسب في الخير، واكتسب في الشر، قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ

وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]

قال في موطأة الفصيح:

وَقَدْ وَعَدْتُ الْقَوْمَ فِيمَا فَعَلُوا خَيْرًا وَشَرًّا وَلِكُلِّ عَمَلٍ

فَإِنْ نَوَيْتَ الْخَيْرَ قُلْ وَعَدْتُ وَإِنْ نَوَيْتَ الشَّرَّ قُلْ أَوْعَدْتُ

وَإِنْ جَلَبْتَ الْهَاءَ فِي أَوْعَدْتُهُ بِالسَّجْنِ وَالْأَذْهِمِ أَيْ هَدَدْتُهُ

(وَلَا تَعِدْ بِوَعْدِ عُرْقُوبٍ أَخَا) عُرْقُوب: رجل من العماليق كان أكذب أهل زمانه ضربت

به العرب المثل في إخلاف الوعد فقالوا: مواعيد عرقوب.

يقال: إنه أتاه أخٌ له يسأله تمرًا، فوعده ثمر نخلة، وقال له: إذا أطلع نخلي فأتني، فلما أطلع قال: إذا أبلح فأتني، فلما أبلح، قال: إذا أزهى فأتني، فلما أزهى قال: إذا أرطب فأتني، فلما أرطب، قال: إذا أتمر فأتني، أي إذا صار تمرًا، فلما صار تمرًا جدّه ليلاً ولم يُعطه شيئاً، فَضَرَبَتِ الْعَرَبُ الْمَثَلَ بِهِ فِي إِخْلَافِ الْوَعْدِ وَالْكَذْبِ، قَالُوا: أَخْلَفُ مِنْ عُرْقُوبٍ، وَأَكْذَبُ مِنْ عُرْقُوبٍ.

قال كعب بن زهير - رضي الله عنه -:

كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلًا وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْبَاطِلُ

وقال آخر:

وَعَدْتَ وَكَانَ الْخُلْفُ مِنْكَ سَجِيَّةً مَوَاعِيدَ عُرْقُوبٍ أَخَاهُ يَثْرِبُ

يثرب: المدينة، وقال بعضهم: إن البيت مُصَحَّفٌ، وإن صوابه: (يَثْرِبُ) بالتاء، وهي بلدة قُرْبَ الْيَمَامَةِ؛ لأنها موضع العماليق.

وَقَدْ وَعَدْتِكَ مَوْعِدًا لَوْ وَفَّتْ بِهِ مَوَاعِيدَ عُرْقُوبٍ أَخَاهُ يَثْرِبُ

وهذا البيت من شواهد النحاة على إعمال المصدر المجموع؛ لأن (أخاه) مفعولٌ به لـ(مواعيد) وهو مصدر مجموع.

(وَفِيهِ وَفَا سَمَوَالٍ بِالْأَبْلَقِ) الْوَفَاءُ: ضد الغدر، يقال: وفى بعهد، وأوفى به، ووفى به.

أما الفعل الماضي (أوفى) فهو كثير في القرآن، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠].

وأما (وَفَى) بالتشديد فمنه قوله تعالى: ﴿وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: ٣٧].

وأما (وَفَى) الثلاثي، فمنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١]، وذلك أن

(أوفى) هنا أفعل تفضيل، وأفعل التفضيل لا يصاغ على المشهور عند النحاة إلا من الثلاثي

كالتعجب، فتكون (أوفى) أفعل تفضيل من (وفى) الثلاثي، قال ابن مالك في التعجب:

وَصُغُهُمَا مِنْ ذِي ثَلَاثٍ صُرْفًا قَابِلِ فَضْلٍ تَمَّ غَيْرِ ذِي انْتِفَا

(وَصُغُهُمَا) أي صيغتي التعجب: (مَا أَفْعَلُهُ) و(أَفْعِلْ بِهِ) (مِنْ ذِي ثَلَاثٍ) أي من فعلٍ

ثلاثي فلا يبينان مما زاد على ثلاثة أحرف على المشهور. ثم قال في أفعل التفضيل:

صُغٍ مِنْ مَصْوَغٍ مِنْهُ لِلتَّعَجُّبِ أَفْعَلٍ لِلتَّفْضِيلِ وَأَبَ اللَّذْ أُلِي

(وَفِيهِ) أمرٌ من (وَفَى) ألحق الناظم به هاء السكت.

(وَفَا سَمَوَالٍ بِالْأَبْلَقِ) الأَبْلَقُ: هو الأبلق الفرد الذي تقدم ذكره في قوله:

لَا بُدَّ لِي مِنْهَا وَإِنْ تَحَصَّنْتَ ٧٧ بِالْأَبْلَقِ الْفَرْدِ وَبِالْخَوَرَنَقِ

(شَحَّ بِأَذْرُعٍ) الأَذْرُعُ: جمع دِرْع.

(تَرَكَ نَجْلَهُ) أي وَلَدَهُ.

(غَسِيلَ الْعَلَقِ) العَلَقُ: الدم، قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢] أي من قطعة

دم.

السموأل ابن عاديء سبق ذكره عند ذكر الأبلق الفرد، وهو مَضْرِبٌ مَثَلٌ في الوفاء، كان

امرؤ القيس بن حُجْرٍ الشاعر المعروف، لما أراد الخروج إلى الروم، استودع عند سموأل

مالاً له ودروعاً جيدة، وكان المنذر بن ماء السماء المَلِكُ وَجَّهَ الحارث بن ظالم الذي سبق

ذكره في قوله:

لَأَنْتَ أَظْلَمُ مِنْ ابْنِ ظَالِمٍ ٢٩ إِنْ كُنْتَ مِنْ بَعْدِ بَهَا لَمْ تَرْفُقِ

كان وجهه إلى سموأل ليأتيه بمال امرئ القيس وأدراعه، وقيل: إن الذي طالب بأدراع

امرئ القيس هو الحارث بن أبي شَمِرٍ الغَسَّاني، وجاء بنفسه إلى سموأل، فامتنع سموأل

من إعطاء الأدراع والمال، وتحصَّن بحصونه، وكان له ابنٌ خرج للصيد، فلما رجع أخذه

الحارث وقال للسموأل: أتعرف هذا؟ قال: نعم، هو ابني. قال: إمّا أن تُسَلِّمَ أذراع امرئ القيس، وإمّا أن أقتله. فقال سموأل: شأنك به، إني لا أخفر ذمتي، ولا أُسَلِّمُ مَالَ جاري، فقتل الحارثُ الولدَ على عين سموأل وهو ينظر إليه، ثم إن سموأل وافى الموسم بما كان من الدروع والمال، فأسلمه إلى ورثة امرئ القيس بعد موته، وقال في ذلك:

وَفَيْتُ بِأَذْرُعِ الْكِنْدِيِّ إِنِّي * إِذَا مَا خَانَ أَقْوَامٌ وَفَيْتُ
وَأَوْصَى عَادِيًا يَوْمًا بِالْأَلَا * تُهَدِّمُ يَا سَمَوَّالُ مَا بَنَيْتُ
وَقَالُوا إِنَّهُ كَنْزٌ عَظِيمٌ * وَلَا وَاللَّهِ أَغْدِرُ مَا حَيْثُ
بَنَى لِي عَادِيًا حِصْنًا حَصِينًا * وَمَاءَ كُلِّ مَا شِئْتُ اسْتَقَيْتُ
فَضَرَبَتِ الْعَرَبُ الْمَثَلَ فِي الْوَفَاءِ بِالسَّمَوَّالِ.

وَمِثْلُ جَارٍ لِأَبِي دُوَادَ لَا ١١٩ تَطْمَعُ بِهِ إِنْ لَمْ تَكُنْ بِالْأَحْمَقِ

(لِأَبِي دُوَادَ) هو أبو دُوَادَ الإياديُّ الشاعر، وجاره هو كعبُ بنُ مَامةَ الجَوَادُ المشهورُ الذي

ذكره جرير في قوله لعمر بن عبد العزيز:

فَمَا كَعْبُ بْنُ مَامَةَ وَابْنُ سَعْدَى * بِأَجُودَ مِنْكَ يَا عُمَرُ الْجَوَادَا

(إِنْ لَمْ تَكُنْ بِالْأَحْمَقِ) الْحُمُقُ: فسادُ العقل.

كان من خبر كعب بن مامة أنه إذا جاوره رجل قام كعبٌ بكل ما يصلحه وأهله وحماه

ممن يريد به سوء، وإن هلك له بغير أو شاة أو عبدٌ أخلفه عليه، وإن مات دفع ديتَه.

فجاءه أبو دُوَادَ الإياديُّ الشاعر مجاورًا له، فكان كعبٌ يفعل به ذلك، ثم اقتدى أبو دُوَادَ

بكعب، وصار يفعل بمن جاوره ذلك كما كان كعبٌ يفعل به، فَضَرَبَتِ الْعَرَبُ بِهِ الْمَثَلَ فِي

حسن الجوار، قال قيس بن زهير:

أَطَوَّفُ مَا أَطَوَّفُ ثُمَّ آوِي * إِلَى جَارٍ كَجَارِ أَبِي دُوَادَ

ومن شواهد كرم كعب بن مامة أنه خرج مرةً في قافلةٍ، ومعهم رجلٌ من بني النمرِ بن قاسط، وكان ذلك في حر الصيف، فضلُّوا وشحَّ مأوئهم، فصاروا يتقاسمون الماء ويوزعونه على حصص، وذلك بأن يرمي الساقى في القَدَح حصاةً ثم يصب فيه الماء بقدر ما يَغْمُرُ تلك الحصاة، فيشرب كل واحدٍ منهم بقدر ما يشرب الآخر.

ولما نزلوا للشرب، وأدار الساقى القَدَحَ بينهم حتى انتهى إلى كعب، رأى كعبُ الرجل النَّمْرِيَّ يُحِدُّ النظرَ إليه، فأثره بمائه على نفسه، وقال للساقى: اسقِ أخاك النمرى، فشرب النمرى نصيب كعب في ذلك اليوم.

ثم نزلوا من الغد منزلهم الآخر، فتصافنوا بقية مائهم، - والتصافن هو تقاسمُ الماء على الصفة السابقة بأن يُطرح في الإناء حجر ثم يُصَبُّ فيه الماء بقدر ما يَغْمُرُ الحجر حتى لا يتغابنوا، فيشرب كل واحدٍ منهم بقدر ما يشرب الآخر - فنظر النَّمْرِيُّ إلى كعبٍ كنظره أمس، وقال كعبٌ كقوله أمس، وارتحل القوم، وقالوا: يا كعب ارتحل، فلم يكن له قوة في النهوض، وكانوا قد قربوا من الماء، فقالوا له: ردِّ يا كعبُ إنك وارد، فعجز عن الجواب.

ولما يئسوا منه وضعوا عليه ثوبًا يمنع السَّبْعَ من أن يأكله، وتركوه مكانه، فمات ونجا صاحبه النمرى. فكانت العرب تضرب المَثَلَ بكعبٍ في الكرم، وفي ذلك يقول أبو كعبٍ مامةً يبيكه:

خَمْرًا بِمَاءٍ إِذَا نَاجُودُهَا بَرَدًا

مَا كَانَ مِنْ سُوقَةٍ أَسْقَى عَلَى ظَمًا

زَوْ الْمَنِيَّةِ إِلَّا حَرَّةً وَقَدَا

مِنْ ابْنِ مَامَةَ كَعْبٍ حِينَ عَيَّ بِهِ

زَوْ الْمَنِيَّةِ: قَدَرُهَا.

رَدَّ كَعْبُ إِنْكَ وَرَادٌ فَمَا وَرَدَا

أَوْفَى عَلَى الْمَاءِ كَعْبٌ ثُمَّ قِيلَ لَهُ

وَاحْمَدُ جَلِيسًا لَا تَخَافُ شَرَّهُ ١٢٠ وَكَابُنِ شَوْرٍ لَنْ تَرَى مِنْ مُطْرِقٍ

(مُطْرِقٍ) يقال: أطرق الرجل إذا سكت فلم يتكلم، وأطرق: أرخى عينيه ينظر إلى الأرض.

والقعقاعُ بن شَوْرٍ من التابعين، كان يُضْرَبُ به المَثَلُ في حُسن العشرة وكرم المجالسة، كان إذا جالسه أحد فعرفه بالقصد إليه جعل له نصيبًا من ماله، وأعانه على عدوه، وشفع له في حاجته، وغدا إليه بعد المجالسة شاكرًا.

يُحْكِي أنه دخل مرةً على معاوية -رضي الله عنه-، ومجلسه غاصُّ بأهله، فلم يجد موضعًا، فأوسع له بعض جلسائه حتى جلس بجنبه، ثم أمر معاوية للقعقاع بمئة ألف درهم، فقال القعقاع لجليسه: اقْبُضْهَا، فلما قام القعقاع ليذهب، قال له الرجل: خذ مالك، فقال القعقاع: ما دفعته إليك وأنا أريد أن أسترجه، فقال الرجل:

وَكَُنْتُ جَلِيسَ قَعْقَاعِ بْنِ شَوْرٍ وَلَا يَشْقَى بِقَعْقَاعٍ جَلِيسٌ
ضُحُوكُ السَّنِّ إِنْ نَطَقُوا بِخَيْرٍ وَعِنْدَ الشَّرِّ مِطْرَاقٌ عُبُوسٌ

يقول في هذين البيتين: إذا ظَفَرْتَ بجليسٍ يكف عنك الأذى، فاحمده واشدد يدك عليه، أمّا أن تطمع في أن تجد جارًا مثل جار أبي دؤاد، أو أن تجد جليسًا مثل ابن شور فهذا من المحال، فإذا ظفرت بجارٍ أو جليسٍ تأمن شره، فذلك خيرٌ كثير، ولا تشتطَّ في طلب الكمال.

وَنَمْ كَنُومِ الْفَهْدِ أَوْ عَبُودَ عَنْ ١٢١ عَيْبِ الْوَرَى وَالظَّنَّ لَا تُحَقِّقِ

مقصوده بقوله: (نَمْ) الأمرُ بالتغافل، والفهد نوع من أنواع السباع، يُضْرَبُ به المثل في كثرة النوم، يقال: "أَنُومُ مِنْ فَهْدٍ"، قال ابن الرومي:

وَأَمَّا نَوْمُكُمْ عَنْ كُلِّ خَيْرٍ كَنُومِ الْفَهْدِ لَا يَخْشَى دِفَاعًا

وقال آخر يمدح رجلاً:

لَيْسَ بِنَوَامٍ كَنُومِ الْفَهْدِ وَلَا بِأَكْغَالٍ كَأَكْغَالِ الْعَبْدِ

وفي حديث أم زرع في الصحيحين: "قالت الخامسة: زوجي إن دخل فهد، وإن خرج أسد، ولا يسأل عما عهد" تمدح زوجها بأنه إذا دخل بيتها؛ تغافل عما ذهب من متاعها وما بقي، وهو معنى قولها: "ولا يسأل عما عهد" أي لا يسأل عما كان عهده في بيته من المال والمتاع، هذا المشهور في تفسير قولها: "إذا دخل فهد"، وقيل: إنه يبادر إلى ضربها، فيكون ذمًا له، لكن المشهور الأول، وهو الذي يدل عليه السياق؛ لأنها قالت: "وإذا خرج أسد" أي كان كالأسد، وهو وصفٌ بالشجاعة إذا خالط الناس أو كان في حرب.

أما عبود فقيل: إنه كان حطّابًا فبقي في مُحْتَطَبِهِ أسبوعًا لَمْ يَنْمَ، ثم انصرف إلى بيته فنام سبعة أيام متوالية، فَضْرِبَ به المثل لِمَنْ ثَقُلَ نومه، يقولون فيه: نَامَ نَوْمَةَ عَبُودٍ. وقيل في خبره: إنه تَمَاوَتَ على أهله، وقال: اندُبوني لأعلم كيف تندبونني إذا مِتُّ، فَسَجَّيْنَهُ وَنَدَبْنَهُ، فإذا به قد مات.

(وَالظَّنَّ لَا تُحَقِّقْ) يقول: إذا ظننت بأحدٍ سوءًا فلا تحقق الظن أي لا تجزم بهذا الظن السيء ولا تعقد قلبك عليه، قال في مطهرة القلوب:

وَالظَّنُّ بَعْضٌ مِنْهُ لَا يُبَاحُ كَالسُّوْبِ مَنْ ظَاهِرُهُ الصَّالِحُ
أَيُّ عَقْدُ قَلْبِكَ وَحُكْمُهُ عَلَيْهِ بِذَاكَ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ يَقْتَضِيهِ

يقول ابن الونان في هذا البيت: تغافل عن عيوب الناس ونم عنها كنوم الفهد، أو كنوم عبود، وإذا ظننت بأحدٍ سوءًا فلا تُحقق ظنك، فإن الظن أكذب الحديث، ثم حث على اشتغال الإنسان بعيوب نفسه، فعيبُ الإنسان مُحَقَّقٌ، وعيبُ غيره مَظْنُونٌ.

وَلَتَكُ أَبْصَرَمِنْ الْهُدْهُدِ وَالزُّ ١٢٢ زَرْقَابِ عَيْبِ نَفْسِكَ الْمُحَقَّقِ

(الهُدْهُدُ) الهُدْهُدُ طائر معروف يُضْرَبُ به المثل في قوة البصر ونفاذه، يُذَكَّرُ عنه أنه يرى

الماء في بطن الأرض كما يراه الإنسان ما في باطن الزجاجة، وذكروا أن هدهد سليمان -عليه السلام- كان يَدُلُّه على مواضع المياه في باطن الأرض إذا أراد استنباط شيء منها، لذلك يُضْرَبُ به المثل في شدة الإبصار، فيقال: "أَبْصَرُ مِنْ هُدُودٍ".

ويُذَكَّرُ في كتب الأدب أن سليمان -عليه السلام- لما تفقد الهدد وحلفَ لِيُعَذِّبَنَّهُ، أن سبب ذلك أنه نزل على غير ماء، وقد حضرت الصلاة، فسأل عن الهدد فلم يجده، فغضب عليه وحلف ليعذبته عذاباً شديداً أو ليزبحنه أو ليأتينه بسلطان مبین.

وروى البيهقي في "شعب الإيمان"، والمُبرِّد في "الكامل" وغيرهما أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس -رضي الله عنهما- فقال: يا ابن عباس، سليمان -عليه السلام- مع ما خوّله الله من الملك، كيف عُنِيَ بالهدد مع صغره؟ فقال له ابن عباس -رضي الله عنهما-: إنه احتاج إلى الماء، والهدد كانت له الأرض كالزجاج، فقال ابن الأزرق: يا وقّاف، كيف يبصر الماء من تحت الأرض، ولا يرى الفخّ إذا غُطِّيَ له بقدر إصبعٍ من تراب؟ فقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: ويحك يا ابن الأزرق، أما علمت أنه إذا جاء القدر عمي البصر. وفي رواية: إذا جاء الحين غطّي العين.

وقيل: إن إبصار باطن الأرض خاصٌّ بهدهد سليمان دون بقية الهدهد.

يُذَكَّرُ هذا في كتب الأدب وبعض كتب التفسير، ولا يترتب عليه حكم.

(وَالزَّرْقَا) الزَّرْقَاءُ: هي زرقاء اليمامة، امرأة مشهورة بقوة البصر، يقال: إنها كانت تبصر

الراكب من مسيرة ثلاثة أيام.

مما يُؤَثَّرُ من خبر شدة إبصارها أنها كانت لها قِطَاةٌ فَمَرَّ بها سِرْبٌ قطّاطٍ بين جبلين،

فَعَدَّتْهُ لِحِدَّةٍ بصرها وذكائها فقالت:

إِلَى حَمَامَتِيْهِ

لَيْتَ الْحَمَامَ لِيْهِ

وَنَضُّهُ قَدَيْهِ — تَمَّ الْحَمَامُ مِيَهُ

هذا الحمام الذي رآته إذا أُضِيفَ إليه نصفه مع الحمامة التي عندها يكون العدد مئة، فما عدد الحمام الذي رآته؟ الجواب: ست وستون، فإذا أضفت إليه نصفه وهو ثلاث وثلاثون كان الناتج تسعاً وتسعين، وهو مع حمامتها: مئة.

فاتفق أن ذلك الحمام وقع برمته في شبكة صائد، وقيل: بل نزل على ماء، فعدَّوه فإذا هو ست وستون حمامة كما قالت.

وقد ذكر هذا النابغة الذبياني في معلقته، فقال يخاطب الملك النعمان:

وَاحْكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ الْحَيِّ إِذْ نَظَرْتُ إِلَى حَمَامٍ سِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ
قَالَتْ أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الْحَمَامَ لَنَا إِلَى حَمَامَتَيْنَا أَوْ نِصْفَهُ فَقَدْ
يَحْفُهُ جَانِبَانِيْقٍ وَتُسْبِعُهُ مِثْلَ الزُّجَاجَةِ لَمْ تُكْحَلْ مِنَ الرَّمَدِ

النِّيقُ: أعلى الجبل، يقول النابغة: إنها عدَّت الحمامَ في سرعة متناهية مع أنه يحيط به جانبا الجبل، فبعضه يطير فوق بعض، وليس هو في سماءٍ متسعة فيُتيح تفرُّقه أن تعدَّه، وإنما كان متراكباً بعضه فوق بعض.

فَحَسْبُوهُ فَالْفَوْهُ كَمَا زَعَمْتُ * تَسْعًا وَتَسْعِينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدْ

وفي رواية: (سِتًّا وَسِتِّينَ) ولا إشكال فهو تسع وتسعون مع نصفه، وهو ست وستون دون أن تعدَّ معه نصفه.

فَكَمَلْتُ مِئَةً فِيهَا حَمَامَتُهَا وَأَسْرَعْتُ حِسْبَةً فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ

وسياتي إن شاء الله قريباً شيء من خبر زرقاء اليمامة عند قوله:

وَحُذِّ بِشَارِكٍ وَكُنْ كَمَنْ أَتَى ١٢٩ بِالْجَيْشِ خَلْفَ شَجَرٍ ذِي وَرَقٍ

وَكُنْ كَمِثْلٍ وَاسِطِي غَفْلَةً ١٢٣ عَنْ شَتْمِ ضَارِعٍ وَعَتَبِ سُقُقٍ

(وَكُنْ كَمِثْلٍ وَاسِطِي) الوَاسِطِيُّ: نسبةٌ إلى واسط، وهو بلد بين البصرة والكوفة.

(عَنْ شَتْمِ ضَارِعٍ) الضَّارِعُ: الضعيف.

(وَعَتَبِ سُقُقٍ) والسُّقُقُ: المغتابون للناس كما في القاموس.

يشير ابن الونان إلى مَثَلٍ عند العرب هو قولهم: تَعَاْفَلْ كَأَنَّكَ وَاسِطِي، وأصله: أن الحجاج أراد أن يبني مدينةً بين البصرة والكوفة، وهي واسط، فسخر أهلها في البناء، فكانوا يهربون وينامون في المسجد بين الغرباء، فيجيء الشرطي فيقول: يا واسطي، فمن رفع رأسه أخذه وعاقبه، فلذلك كانوا يتغفلون، ف قيل: تَعَاْفَلْ كَأَنَّكَ وَاسِطِي.

يَحُثُّ الناظم -رحمه الله- على التغافل، وهو من أخلاق الكبار، وقد قال أبو تمام:

لَيْسَ الْغَيْيُّ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ الْمُتَغَابِي

وَاعْدُ عَلَى رِجْلِي سُلَيْكِ هَارِبًا ١٢٤ مِنْ قُرْبِ كُلِّ خُنْبِقٍ وَسَهْوَقٍ

(وَاعْدُ) من العَدُوِّ وهو الجري.

(عَلَى رِجْلِي سُلَيْكِ) أي على مثل رجلي سُلَيْكِ.

(هَارِبًا مِنْ قُرْبِ كُلِّ خُنْبِقٍ) الخُنْبِقُ: البخيل.

(وَسَهْوَقٍ) السَّهْوَقُ: الكذاب.

يقول: فَرَّ من البخيل والكذاب، ولا تخالطهما لئلا يُعْدياك.

والسُّلَيْكُ هو السُّلَيْكُ بْنُ السُّلَكَةِ، أحدُ صُعَالِيكِ الْعَرَبِ ولصوَصِهِمُ الْعَدَائِينَ الَّذِينَ كَانُوا

لَا يُلْحَقُونَ، وَلَا تَلْحَقْ بِهِمُ الْخِيلُ، يَقُولُونَ فِي السُّلَيْكِ وَالشَّنْفَرِيِّ: إِنَّمَا أَعْدَى مَنْ رَوَى.

وتحكى حكايات كثيرة عن سبقهما الأفراس، وعن صيدهما الظباء عَدُوًّا، يقال: إِنَّ

السُّلَيْكُ طَفَرَ طَفْرَةً أَيْ وَثَبَ وَثْبَةً فِي ارْتِفَاعٍ فَعُدَّ لَهُ فِيهَا أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ خُطْوَةً.
والحكايات عن السُّلَيْكِ كثيرة تشبه الأساطير.

وَكُنْ نَدِيمَ الْفَرْقَدَيْنِ تَنْجُ مِنْ ١٢٥ مُنْغَصٍ وَمِنْ طُرُو الرَّنَقِ

(وَكُنْ نَدِيمَ الْفَرْقَدَيْنِ) النَّدِيمُ: الْمُجَالِسُ عَلَى الشَّرَابِ، يُقَالُ فِيهِ: نَدِيمٌ وَنَدْمَانٌ، وَقِيلَ لَهُ ذَلِكَ؛ لِأَن مَعَاقِرَ الْخَمْرِ إِذَا سَكِرَ تَكَلَّمَ بِمَا يَنْدَمُ عَلَيْهِ. وَالْفَرْقَدَانِ: كَوَكَبَانِ يُضْرَبُ بِهِمَا الْمَثَلُ فِي طَوْلِ الصَّحْبَةِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرْقَدَانِ

وقد سبق ذكر نخلتين يُضْرَبُ بِهِمَا الْمَثَلُ أَيْضًا فِي طَوْلِ الصَّحْبَةِ هُمَا نَخْلَتَا حُلْوَانٍ، لَكِنْ صَحْبَةُ الْفَرْقَدَيْنِ أَطْوَلُ؛ لِأَن الْفَرْقَدَيْنِ لَا يَزَالَانِ مُصْطَحِبَيْنِ إِلَى الْآنِ.

(تَنْجُ مِنْ مُنْغَصٍ) الْمُنْغَصُ: الْمُكَدَّرُ، وَالتَّنْغِصُ: التَّكْدِيرُ.

(وَمِنْ طُرُو) أَيْ حَدُوثٍ وَمُفَاجَأَةٍ.

(الرَّنَقِ) أَيْ الْكَدَرِ.

يقول: كُنْ فِي اعْتِزَالِ النَّاسِ مِثْلَ نَدِيمِ الْفَرْقَدَيْنِ تَنْجُ مِنَ الْمُكَدَّرِ.

وَنَدِيمُ الْفَرْقَدَيْنِ هُوَ جَذِيمَةُ الْأَبْرَشِ الَّذِي قَتَلَتْهُ الزَّبَاءُ وَقَدْ مَرَّ خَبْرُهُ عِنْدَ قَوْلِ ابْنِ الْوَنَانِ:

فَإِنْ تَكُ الزَّبَاءُ دَخَلَتْ قَصْرَهَا ٧٥ وَكَقَصِيرٍ سُقْتُهَا لِلنَّفَقِ

وَكَانَ جَذِيمَةُ الْأَبْرَشِ قَدْ اتَّخَذَ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ: عَدِيُّ بْنُ نَصْرِ اللَّخْمِيِّ نَدِيمًا، فَسَأَلَتْ أُخْتُ جَذِيمَةَ عَدِيًّا أَنْ يَخْطُبَهَا مِنْ جَذِيمَةٍ، فَقَالَ: لَا أَجْتَرِي عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَتْ لَهُ: إِذَا سَقَيْتَ الْقَوْمَ فَاْمَزْجْ لَهُمْ وَاسْقِهِ الْخَمْرَ صِرْفًا، فَإِذَا أَخَذْتَ مِنْهُ الْخَمْرَ مَأْخُذَهَا فَاخْطُبْنِي إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ يَزُوجُكَ، وَأَشْهَدُ الْقَوْمَ عَلَى ذَلِكَ.

فَفَعَلَ عَدِيُّ بْنُ نَصْرٍ، وَمَزَجَ لِلْقَوْمِ، وَسَقَى الْمَلِكَ الْخَمْرَ صِرْفًا، فَلَمَّا أَخَذَتْ الْخَمْرَ

مأخذها منه خطبها، فزوجه جزيمة، وأشهد عديّ القوم على الزواج وانصرف إليها.

فلما أصبح غدا على جزيمة مُتَضَمِّخًا بِالْخُلُقِ، فقال: ما هذه الآثار يا عدي؟ فقال: آثار العرس، قال: وأيُّ عرس؟ قال: عرس رقاش فقد زوّجتها، فنَحَرَ وأَكَبَّ على الأرض مغشيًا عليه، وفرّ عديّ. فلما أفاق جزيمة طلب عديًّا فلم يجده، وأرسل إلى أخته يقول:

حَدِّثْنِي رَقَاشٍ لَا تَكْذِبْنِي أَبْحُرُّ زَنَيْتِ أُمِّ بَهَجِينَ
أُمِّ بَعْبِدٍ فَأَنْتِ أَهْلٌ لِعَبْدٍ أُمِّ بَدُونٍ فَأَنْتِ أَهْلٌ لِدُونٍ
فأجابته قائلة:

أَنْتِ زَوْجَتِي وَمَا كُنْتُ أَذْرِي وَأَتَانِي النَّسَاءُ لِلتَّزْيِينِ
ذَاكَ مِنْ شُرْبِكَ الْمُدَامَةِ صَرْفًا وَتَمَادِيكَ فِي الصَّبَا وَالْمُجُونِ

ثم نقلها جزيمة إلى قصره وحصنها وقد اشتملت على حمل، وأقسم جزيمة بعد هذه الواقعة ألا ينادم إلا الفرقدين، فكان يشرب كأسًا ويصب للفرقدين كأسين.

أما رقاش فقد ولدت ولدًا، فسماه جزيمة عَمْرًا وتبناه، وأحبه حبًّا شديدًا، وكان لا يولد له فيما قيل، ثم إنَّ عَمْرًا خرج يومًا فاستطير، يقال: إن الجن استطارته، فطلبه جزيمة في الآفاق فلم يجده، وأيس منه، إلى أن أقبل رجلان من قضاة أخوان، وهما مالك وعقيل ابنا فارح، وقد كانا متوجهين إلى جزيمة بهدايا، فلحقيا عَمْرًا في الطريق فعرفاه، وأصلحا من شأنه، وألبساه من طرائف ثيابهما، وقالوا: ما كنا لنهدي إلى الملك هدية هي أنفس عنده من ابن أخته، قد رده الله عليه. فخرجا به، حتى إذا وقفا بباب الملك بشراه به، فسُرَّ سرورًا عظيمًا، وبعث به إلى أمه، فأصلحت من شأنه، وألبسته طوقًا من ذهبٍ لنذرٍ كان عليها، ثم أمرته بزيارة خاله الملك، فلما رأى لحيته والطوق في عنقه، قال: "شَبَّ عَمْرُو عَنِ الطُّوقِ" فأرسلها مثلاً.

وأقام عمروٌ مع خاله، وتحَمَّلَ عنه عامة أمره حتى كان من أمره مع الزباء ما كان.
وأما مالك وعَقِيلُ فإنهما لما أتيا جذيمة بابن أخته، قال لهما: حُكْمَكُما، فقالا: حكمنا
منادمتُك ما بَقِيتَ وبَقِينا، فقال: لكما ذلك، فنادماه على ما قيل أربعين عامًا، فهما ندمانا
جذيمة اللذان يُضرب بهما المثل في طول الصحبة، قال متمم بن نويرة:

وَكُنَّا كَنَدَمَانِي جَذِيمَةَ حِقْبَةٍ مِنْ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَّصِدَا
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا

وهذان البيتان تمثلت بهما عائشة -رضي الله عنها- لما وقفت على قبر أخيها
عبدالرحمن بن أبي بكر فيما يُروى، ومُتَمِّمٌ صاحب البيتين سيأتي خبره إن شاء الله مع أخيه
مالك الذي رثاه بهذين البيتين.

وَكُنْ كَعَقْرَبٍ وَضَبٍّ مَعَ مَنْ ١٢٦ عَلَيْكَ قَلْبُهُ امْتَلَأَ بِالْحَنْقِ
(امْتَلَأَ) أصله: امتلأ، خفف الناظم الهمزة.

(بِالْحَنْقِ) الحَنْقُ: الغيظ.

وَالضَّبُّ وَالْعَقْرَبُ يُضْرَبُ بِهِمَا الْمَثَلُ فِي الْخِدَاعِ، يُقَالُ: أَخْدَعُ مَنْ ضَبَّ، وَيُقَالُ: سَرَتْ
عَقَارِبُ فُلَانٍ، إِذَا خَفِيَ مَكَانَ الشَّرِّ مِنْهُ.

وَالْمَعْنَى: كَذِ لِمَنْ امْتَلَأَ قَلْبُهُ عَلَيْكَ بِالْحَقْدِ، فَهُوَ حَثٌّ عَلَى الْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ، وَعَدَمُ
مَصَارَحَةِ الْعَدُوِّ بِالْعَدَاوَةِ، وَحَثٌّ عَلَى تَحْيِينِ الْفُرْصَةِ حَتَّى يَتِمَّكَنَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَدُوِّهِ وَيُظْفِرَ بِهِ.
وَيَحْتَمِلُ وَجْهًا آخَرَ وَهُوَ: أَنْ يَكُونَ دَعْوَةً لِلصُّلْحِ وَالتَّالَفِ مَعَ مَنْ امْتَلَأَ قَلْبُهُ عَلَيْكَ
بِالْحَنْقِ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ تَزْعُمُ أَنَّ بَيْنَ الْعَقْرَبِ وَالضَّبِّ أُلْفَةً، فَالضَّبُّ يُؤْوِيهَا إِلَى جُحْرِهِ، وَلَا يَأْكُلُ
وَلَدَهَا، وَالْعَقْرَبُ تَحْرُسُهُ وَتَلْسَعُ مَنْ يَقْتَحِمُ جُحْرَهُ، فَيَكُونُ حَثًّا عَلَى التَّالَفِ.

ثُمَّتَ لَا تَعْجَلْ وَكُنْ أَبْطَأَ مِنْ ١٢٧ غَرَابِ نُوحٍ أَوْ كَفْنِدِ الْمُوسِقِيِّ

مَضَى لِنَارِ طَالِبًا وَبَعْدَ عَا ١٢٨ مِ جَابِهَا يَسْبُ فَرَطَ الْقَلْقِ

حَثَّ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ عَلَى التَّأْنِي وَتَرَكَ الْعَجَلَةَ، وَقَالَ: (وَكُنْ أَبْطَأَ مِنْ غُرَابِ نُوحٍ) والعرب تضرب المَثَلَّ في البطء بغراب نوح عليه السلام.

يروى في كتب الأدب: أنه لما استقرت سفينة نوح -عليه السلام- على الجودي، بعث الغراب ليأتيه بخبر الأرض هل جفت أو لا، فوقع الغراب على جيفة فلم يرجع إلى نوح -عليه السلام-، فضرب المَثَلَّ ببطئه.

فبعث الحمامة، فجاءت بورق زيتون في منقارها، ولطخت رجليها بالطين، فعلم نوح -عليه السلام- أن الماء قد ذهب، ودعا على الغراب، فغلّت رجلاه وخاف من الناس، فلذلك لا يألف البيوت، وإذا وقع لا يلبث أن يطير، وطوّق الحمامة بالخضرة التي في عنقها، ودعا لها بالأمان، فمن ثم ألفت البيوت. هذا من الأساطير التي تُذكر.

لذلك يُضرب بالغراب المَثَلُّ في البطء، يقولون كما في مجمع الأمثال للميداني: أَبْطَأَ مِنْ

مهدي الشيعة، ومن غراب نوح عليه السلام!

وأما فَنَدُ الموسيقى -نسبة إلى الموسيقى؛ لأنه كان مُغَنِّيًا- فهو مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص، كانت عائشة أرسلته ليأتيها بنار، فخرج لذلك، فلقي عيرًا خارجة إلى مصر، فخرج معها، فلما كان بعد سنة رجع فأخذ نارًا فدخل على مولاته عائشة وهو يعدو فعثر -أي سقط على الأرض- وقد قُرب منها، وتبدّد الجمر، وقال: تَعَسَتِ الْعَجَلَةُ! فأرسلها مثلاً، وضربت العرب به المَثَلَّ في البطء، فقالوا: أَبْطَأُ مِنْ فَنَدٍ.

وَحُذِّ بِثَارِكٍ وَكُنْ كَمَنْ أَتَى ١٢٩ بِالجَيْشِ خَلْفَ شَجَرِ ذِي وَرَقٍ

(وَحُذِّ بِثَارِكٍ) الثَّأْرُ: الدم والمطالبة به، يقال: ثَارَتْ الْقَتِيلَ وَثَارَتْ بِهِ؛ أي قتلت قاتله.

(وَكُنْ كَمَنْ أَتَى بِالجَيْشِ خَلْفَ شَجَرِ ذِي وَرَقٍ) أشار بهذا إلى قصة طسم وجديس، وهما

من القبائل البائدة التي لم تبقَ منها باقية كعاد وثمرود، قال في عمود النسب:

العُربُ مِنْ أُنْبَاءِ سَامٍ جُرْهُمُ عَادٌ ثَمُودٌ وَوَبَارٍ مِنْهُمْ
كَذَا أُمَيْمٌ وَعَيْلٌ طَسْمُ جَدِيسٌ عَمْلِيقٌ بِهَا أُتُمُوا
فَهَؤُلَاءِ الْعُربُ بَارُوا وَالذَّبِيحُ مِنْهُمْ تَعَرَّبَ عَلَى الْقَوْلِ الصَّحِيحُ

(بَارُوا) أي بادوا وهلكوا، (وَالذَّبِيحُ) إسماعيل عليه السلام.

وكان على طَسْمٍ وَجَدِيسٍ مَلِكٌ مِنْ طَسْمٍ، ظلومٌ غاشمٌ، فسَامٌ جَدِيسٌ أنواعُ الخسفِ الكثير، حتى إنه أَمَرَ ألا تتزوج امرأةٌ من جدِيسٍ فَتُزَفَّ إلى زَوْجِهَا قَبْلَ أَنْ تُحْمَلَ إِلَيْهِ، فَلَقُوا من ذلك بلاءً وَذُلًّا كبيرًا، ولم يزالوا على تلك الحالِ من الهوان حتى تزوجت الشَّمُوسُ أختُ سيدِ جدِيسٍ، وقالت في ذلك:

لَا أَحَدٌ أَذَلُّ مِنْ جَدِيسٍ أَهَكَذَا يُفْعَلُ بِالْعُرُوسِ
يَرْضَى بِهِذَا يَالْقَوْمِ حُرٌّ أَهْدَى وَقَدْ أُعْطِيَ وَسِيقَ الْمَهْرُ
لَخَوْضِهِ بِحَرَ الرَّدَى بِنَفْسِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُفْعَلَ ذَا بَعْرِسِهِ

فاحتالت جدِيس في الثأر من قبيلة طسم، فصنعوا وليمةً ودعوا قبيلة طسم، فلما حضروا شَدُّوا عليهم بسيوفهم واستأصلوهم، فلم يُفَلِتْ منهم إِلَّا رَجُلٌ يقال له: رياحُ بنُ مَرَّةٍ، وهو أخو زرقاءِ اليمامة، التي سبقت في قوله:

وَلَتُكَ أَبْصَرَ مِنَ الْهُدْهِدِ وَالزُّ زَرْقَابَعِيْبٍ نَفْسِكَ الْمُحَقَّقِ ١٢٢

فقصدُ تَبَعَ الْيَمَنِ حَسَانَ بْنَ أَبِي كَرِبٍ، فاستغاث به، وكان قد عمَدَ إلى جريدة نخلٍ رطبة، فجعل عليها طينًا وحملها معه، واستصحب معه كلبه، فلَمَّا قَرَّبَ من صنعاء كَسَرَ يدَ الكلبة، ونزع الطين عن الجريدة، فخرجت خضراء، ودخل على حسان، فاستغاثه وأخبره بالذي صنعت جدِيس بقومه، فسأله المَلِكُ: من أين جئت؟ قال: جئت -أَبَيْتَ اللَّعْنَ- من أرضٍ

قَرِيبَةٍ مِنْ أَرْضِكَ، مِنْ عِنْدِ قَوْمٍ انْتَهَكَ مِنْهُمْ مَا لَمْ يُتَّهَكَّ مِنْ أَحَدٍ، وَقَصَّ عَلَيْهِ مَا حَلَّ بِهِمْ جَرَاءَ غَدْرِ جَدِيسٍ بِهِمْ، فَقَالَ: أَمِنْ بِلَدِكَ جِئْتَ بِهَذِهِ الْجَرِيدَةِ وَهَذِهِ الْكَلْبَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ حَسَانُ: إِنْ كُنْتَ صَدَقْتَنِي فَقَدْ جِئْتَ مِنْ قَرِيبٍ، وَوَعَدَهُ النُّصْرَ.

فَخَرَجُوا، فَلَمَّا كَانُوا مِنَ الْيَمَامَةِ عَلَى ثَلَاثٍ، قَالَ رِيَّاحٌ: أَبَيْتَ اللَّعْنَ، إِنْ لِي أَخْتًا مَتْرُوجَةً فِي الْقَوْمِ، تَرَى الرَّكَّابَ عَلَى مَسِيرَةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تُنْذِرَ الْقَوْمَ بِكَ، وَالرَّأْيُ أَنْ تَأْمُرَ كُلَّ رَجُلٍ أَنْ يَقْتُلَ شَجَرَةً فَيَجْعَلَهَا أَمَامَهُ، ثُمَّ يَسِيرُ، فَأَمْرُهُمْ حَسَانُ بِذَلِكَ ففَعَلُوا، وَكَانَتْ الزَّرَقَاءُ صَعِدَتْ عَلَى مَنَازِلِهَا، فَرَأَتْ الشَّجَرَ مُقْبِلًا، فَارْتَابَتْ، وَقَالَتْ: يَا جَدِيسُ، لَقَدْ سَارَتْ إِلَيْكُمْ الشَّجَرُ، أَوْ لَقَدْ غَزَتَكُمْ حَمِيرٌ، قَالُوا: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَتْ: أَرَى شَجَرًا مِنْ وَرَائِهَا بَشَرٌ، وَإِنِّي لَأَرَى رَجُلًا يَنْهَشُ كِتْفًا أَوْ يَخْصِفُ نَعْلًا، وَكَانَ كَذَلِكَ، فَكَذَّبُوهَا، فَقَالَتْ:

أُقْسِمُ بِاللَّهِ لَقَدْ دَبَّ الشَّجَرُ أَوْ حَمِيرٌ قَدْ أَخَذَتْ شَيْئًا يُجَرُّ

ثُمَّ إِنْ حَسَانُ صَبَّحَهُمْ فَأَفْنَاهُمْ.

وَأَنْتَهَزَ الْفُرْصَةَ مِثْلَ بَيْهَسٍ ١٣٠ وَبِالْمُدَى لَحْمَ الْعُدَاةِ شَرَّقٍ

الانتهاز: هو الانتهاض والمبادرة، يقال: انتهز الفرصة إذا شمَّر لها مبادراً.

والفرصة: أصلها النوبة، وهو اسمٌ مِنْ تَفَارَصِ الْقَوْمِ الْمَاءِ، إِذَا جَعَلُوا لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ نُوبَةً، فَيَقَالُ: يَا فُلَانُ، جَاءَتْ فُرْصَتُكَ، أَيْ جَاءَتْ نُوبَتُكَ الَّتِي تَسْقِي فِيهَا، ثُمَّ تُوسَّعُ فِيهَا، فَاسْتُعْمِلَ فِي كُلِّ مَا يُمْكِنُ وَيَتَأْتَى مِمَّا يُخَافُ فَوَاتِهِ فِي وَقْتٍ آخَرَ.

(الْمُدَى) جَمْعُ مُدْيَةٍ، وَهِيَ الشَّفْرَةُ.

(الْعُدَاةُ) جَمْعُ عَادٍ بِمَعْنَى الْعَدُوِّ، قَالَ فِي مَوَاطَاةِ الْفَصِيحِ:

وَالْقَوْمُ أَغْدَاءٌ وَإِنْ شِئْتَ عِدَا بِكَسْرِكَ الْعَيْنِ وَلَا تَقُلْ عُدَا

وَقُلْ عُدَاةٌ إِنْ جَلَبْتَ الْهَاءَ فَضَمَّ مِنْهَا عَيْنَهَا ابْتِدَاءً

(شَرِّق) أي قطع، ومنه سُميت أيام التشريق الثلاثة بعد يوم النحر بهذا الاسم؛ لأنها تُشَرَّق فيها لحوم الأضاحي.

يقول: إذا أمكنتك الفرصة من عدوك فانتهزها ولا تُضِعْها.

وأما بيهس: فرجلٌ كان سابعَ سبعةِ إخوة، فأغار عليهم ناسٌ من أشجع كانت بينهم وبينهم حرب، فقتلوهم إلا بيهساً، وكان أصغرهم، وكان يُحمَق، فأرادوا قتله، ثم قالوا: ما تريدون في قتل هذا؟ يُحَسِّب عليكم برجل ولا خير فيه، فتركوه.

فقال: دعوني أتوصل معكم إلى حيي، فإنكم إن تركتموني وحدي أكلتني السباع، وقتلني العطش، ففعلوا، فأقبل معهم، فلما نزلوا نحروا جزوراً في يومٍ شديد الحر، فقالوا: ظلُّوا لحمكم لا يصلَّ أي لا يُتَنَّن، فقال بيهس: لكن بالآثلاتِ لحمًا لم يُظَلَّل، يعني لحم إخوته، والآثلات بالتاء: هو الموضع الذي قُتل فيه إخوته، فأرسلها مثلاً، فقال أحدهم: إني لأسمع منه أمراً يمكن أن يكون من ورائه شرٌّ فاقتلوه، فقال زعيم القوم: أئِعدُّ علينا هذا بقتيل، فتركوه، ففارقهم، ثم إنه ذات يومٍ بينما هو يرعى غنماً له في أكمة، إذ ألجأه الحرُّ إلى غارٍ يستظل فيه، فرأى قتلة إخوته وهم عشرة قد عقلوا إبلهم على فم الغار، وناموا في الغار.

فترك غنمه وبادر نحو الحي فاستلأم، وأتى خالاً له يقال له: أبو حنش، فقال له - وكان خاله هذا شديداً قوياً لكنه جبانٌ ضعيف القلب - : هل لك في غارٍ فيه ظباء؟

ويروى أنه قال له: هل لك في غنيمَةٍ باردة؟ فأرسلها مثلاً، قال: نعم، قال: فتَنكَّب قوسك، وتَقَلَّد سيفك وحيَّ هلاً ورائي.

ثم جاء بيهس بأبي حنش حتى أقامه على فم الغار، ثم دفعه فإذا هو في وسط الغار، وقال: ضرباً أبا حنش، فلما علم أبو حنش أنه تورَّط وأنه لا ينجيه إلا الضرب أعمل سيفه فيهم، فقال بعضهم: إن أبا حنشٍ لبطل، فقال: "مُكرهٌ أخاك لا بطل"، فأرسلها مثلاً.

وضرب بيهس وخاله أبو حنش القوم فقتلهم، ورجعا بأسلابهم، فضربت العرب المثل بيهس في النجدة والصرامة.

وَكَا بَن قَيْسٍ بِهِمْ كُنْ مُوَلِّمًا ١٣١ وَلَيْمَةً شَهِيرَةً كَالْفَلَقِ
يَوْمَ مَلَائِكِهِ بِأُمِّ فَرْوَةَ ١٣٢ عَرَقَبَ كُلَّ ذَاتِ أَرْبَعٍ لَقِيَ

الْوَلِيمَةُ: طعام العرس، والفَلَقُ: الصبح، والمَلَاكُ: الزواج، وعَرَقَبَ الدَّابَّةَ: قَطَعَ عرقوبها. وابنُ قَيْسٍ: هو الأشعث بن قيس الكندي رضي الله عنه، سَيِّدُ كِنْدَةَ ورئيسها المطاعُ في الجاهلية والإسلام، وفَدَّ على النبي -صلى الله عليه وسلم- بقومه، ثم إنه ارتد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وأُتِيَ به إلى أبي بكرٍ أسيرًا، فقال له الأشعث: اسْتَبَقْنِي لحربك، وزوجني أختك أم فروة. قيل: إنه كان خطبها في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ففعل أبو بكر. ثم خرج الأشعث من عند أبي بكر، ودخل السوق، واختلط سيفه، ثم لم تلقه ذات أربعٍ إلا عرقبها، من بغيرٍ وبقرةٍ وشاة.

ففزعَ الناس إلى أبي بكر، فبعث إليه، فقال: مَنْ كَانَ لَهُ قِبَلِي حَقٌّ فَلْيَغْدُ عَلَيَّ، وإنا والله لو كنا ببلدنا لأوَلَمْنَا، فلم تَبَقْ دَارٌ من دور المدينة إلا دخلها من ذلك اللحم؛ وما رُئِيَ يومٌ أشبه بيوم الأضحى من يوم زواج الأشعث بن قيس بأم فروة، فضرب أهل المدينة به المثل فقالوا: "أَوَلَمْ مِّنَ الْأَشْعَثِ".

يقول: إذا أمكنتك الفرصة من أعدائك فلا تقصّر في التنكيل بهم والانتقام منهم، وأوَلِمَ على ذلك مثل وليمة الأشعث بن قيس رضي الله عنه.

والأشعث بن قيس -رضي الله عنه- يُذكر في مسألةٍ في مصطلح الحديث، وهي مسألة تعريف الصحابي، والصحابي: من لقي النبي -صلى الله عليه وسلم- مؤمنًا به ومات على ذلك، ولو تخللت ردةٌ في الأصح، يقولون: ومنهم: الأشعث بن قيس رضي الله عنه، فهو

صحابي، وقد تخللت إسلامه رِدَّةً، ولم يتخلف أحدٌ عن ذكر الأشعث بن قيس -رضي الله عنه- في الصحابة، ولا عن تخريج أحاديثه، وأحاديثه في الصحيحين.

وَلَا تَدْعُ وَإِنْ قَدَرْتَ حِيلَةً ١٣٣ فَهِيَ أَجَلٌ عَسْكَرٌ مُدْهِدٌ

الحيلة: قلب الفكر في العواقب حتى يُهتدى إلى المقصود، والمُدْهِدُ: اسم فاعلٍ من دَهَدَقْتُ الشيء أي كَسَرْتُهُ.

مقصوده: الحثُّ على استعمال الحيلة مع العدو، وإن كان قادراً على الانتصاف منه بقتالٍ ونحوه، ومن أمثال العرب: "رُبَّ حِيلَةٍ أَنْفَعُ مِنْ قَبِيلَةٍ" قال المتنبي:

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ وَهْيِ الْمَحَلِّ الثَّانِي
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ حُرَّةٍ بَلَغَتْ مِنَ الْعِلْيَاءِ كُلَّ مَكَانٍ
وَلَرَبَّمَا طَعَنَ الْفَتَى أَقْرَانَهُ بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الْأَقْرَانِ

إِنْ كَانَ فِي سَفْكِ دَمِ الْعِدَا الشِّفَا ١٣٤ سَفْكَ دَمِ الْبَرِيِّ غَيْرُ أَلْيَقٍ

سَفْكَ الدَّمِ: إسالته، والعدا والعداة والأعداء واحدٌ.

(سَفْكَ دَمِ الْبَرِيِّ غَيْرُ أَلْيَقٍ) أي غير لائق، وهذا البيت كالاستدراك على ما قبله، يقول: إذا ظفرت بأعدائك فلا تُجاوز المذنب إلى مَنْ لا ذنب له؛ فإن ذلك محظورٌ وغير لائق شرعاً وطبعاً، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤].

والشيء بالشيء يُذكر، من لطيف الأخبار في أخذ الإنسان بجريرة غيره: ما حكاه الجاحظ أن امرأة أتت معلماً بابنٍ لها، وكان المعلم طويل اللحية، فقالت: إن هذا الصبي عاقٌّ لا يطيع أمه، فأجبُّ أن تُفزعَه، فأخذ المعلمٌ لحيته والتقمها في فمه، وحرك رأسه، وصاح صيحةً هائلةً، ففزعت المرأة، وقالت: إنما قلت لك أفزع الصبي ليس إياي، فقال لها: "أما

علمت أن العذاب إذا نزل أهلك الصالح والطالح".

ويُحكى أيضًا: أن الحجاج بن يوسف فرَّ منه رجلٌ كان يطلبه، فقيل له: هذا خاله موجود، فاستدعاه وأراد النكاح به، فقال الرجل: علامَ تُنكِّلون بي؟ قال الحجاج: من أجل قريبك فلان.

قال الرجل: أولو جئتكم بشاهدين يشهدان على براءتي من ذلك؟

قال الحجاج: ومن يشهد لك؟

قال: موسى وإبراهيم عليهما السلام.

قال الحجاج: وكيف ذلك؟

فتلا الرجل قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى

(٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [النجم: ٣٦-٣٨]

فضحك الحجاج وقال: هذا قد ألهم حُجَّتَه فاتركوه.

وَلَا تُحَارِبْ سَاقِطَ الْقَدْرِ فَكَمْ ١٣٥ مِنْ شَهَةٍ قَدْ غَلَبَتْ بَيِّنَاتٍ

(شَهَةٍ) المراد بالشهة: الشاه، وهو عودٌ من أعواد الشَّطرنج - بكسر الشين - يُنزَلُ منزلة

الملك، والشاه: الملك، ومنه قول الفُرس: "شاهان شاه"، في الصحيح: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ

اللَّهِ رَجُلٌ تَسْمَى مَلِكَ الْأَمْلاَكِ، لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: "مثل: شاهان

شاه".

(بَيِّنَاتٍ) البَيِّنَاتُ بالذال وبالذال: آخرُ مرتبةٍ من مراتب أعواد الشطرنج، والمقصود به

الجُندي، وكلاهما فارسيٌّ مُعَرَّب.

ينهى الناظم - رحمه الله - عن مُحاربة الضعيف وساقط القدر؛ لأنك إذا غلبته فلا مزية في

أن تَغْلِبَ ضعيفًا، وإذا غلبك الضعيف كانت في ذلك المَعَرَّة، ولما أنشد أعشى مازنة النبي -

صلى الله عليه وسلم - الأبيات التي يشكو فيها زوجه يقول:

يَا سَيِّدَ النَّاسِ وَدَيَّانَ الْعَرَبِ
إِلَيْكَ أَشْكُو ذَرْبَةً مِنَ الذَّرْبِ
خَرَجْتُ أَبْغِيهَا الطَّعَامَ فِي رَجَبٍ
فَخَلَفْتَنِي بِنِزَاعٍ وَحَرْبٍ
أَخْلَفْتُ الْعَهْدَ وَلَطَّتْ بِالذَّنْبِ
وَهُنَّ شَرُّ غَالِبٍ لِمَنْ غَلَبَ

جَعَلَ النبي - صلى الله عليه وسلم - يُكرر هذا البيت: "وَهُنَّ شَرُّ غَالِبٍ لِمَنْ غَلَبَ"

فوقف مع البيت المُختار.

وبرهن ابنُ الوَثَّان - رحمه الله - على ذلك بأن أضعفَ قطعةً في الشطرنج وهو الجُنْدِي قد

يغلب الملك، ثم قال:

وَكَمْ حُبَارَى أَمَّهَا صَقْرٌ فَلَمْ يَظْفَرْ بِغَيْرِ حَتْفِهِ بِالذَّرْقِ ١٣٦

(وَكَمْ حُبَارَى) الحُبَارَى: طائرٌ معروف سريع الطيران (أَمَّهَا) قَصَدَهَا (صَقْرٌ) الصَّقْرُ:

طائرٌ معروف من الجوارح (فَلَمْ يَظْفَرْ بِغَيْرِ حَتْفِهِ) أي هلاكه (بِالذَّرْقِ) أي بخُرء الطائر.

هذا بُرْهَانٌ آخَرُ على أن الضعيف قد يَغْلِبُ القوي، فالصَّقْرُ وهو أَسَدُ الطيور قد يلقى

حَتْفَهُ بسبب ذَرَقِ الحُبَارَى؛ وذلك لأن الحُبَارَى سَلَحُهَا سِلَاحُهَا فمَتَى أَلَحَّ عليها الصَّقْرُ

سَلَحَتْ عليه فَيَتَتَفَرَّقُ ريشُهُ كُلُّهُ، وفي ذلك هلاكه.

وسلاحُ الحُبَارَى يُضْرَبُ مَثَلًا للضعيف يستعينُ بالآلة اللَّيِّمَةِ على مُقَارَعَةِ من هو أقوى

منه؛ فربَّما يغلبه بها.

ثم بَرَهَنَ بَرَهَانٍ ثَالِثٍ فَقَالَ:

وَكَمْ عِيُونٍ لِأَسْوَدٍ دَمِيَّتْ ١٣٧ بِالْعَضِّ مِنْ بَعُوضِهَا الْمُلتَصِقِ

وقد أخذه من قول المُتَنَبِّي:

لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرًا فِي مُخَاصَمَةٍ إِنَّ الْبَعُوضَةَ تُذِمِّي مُقْلَةَ الْأَسَدِ

ثم بَرَهَنَ بَرَهَانٍ رَابِعٍ فَقَالَ:

وَالْخُلْدُ قَدْ مَزَّقَ أَقْوَامَ سَبَا ١٣٨ وَهَدَّ سَدًّا مُحْكَمَ التَّائِقِ

(وَالْخُلْدُ) الْخُلْدُ: نَوْعٌ أَكْبَرُ مِنَ الْفَارِ.

(وَهَدَّ سَدًّا) هُوَ سَدٌّ مَأْرَبٍ.

الْبَرَهَانُ الرَّابِعُ: هُوَ الْخُلْدُ الَّذِي خَرَّبَ سَدَّ مَأْرَبٍ، ففَاضَ السَّيْلُ عَلَى بِلَادِ الْيَمَنِ فَأَهْلَكَهَا، وَهُوَ سَيْلُ الْعَرَمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ﴾ [سَبَأُ: ١٥] إِلَى أَنْ ذَكَرَ سَيْلَ الْعَرَمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرَمِ﴾ [سَبَأُ: ١٦] إِلَى أَنْ قَالَ تَعَالَى فِي آخِرِ خَبَرِهِمْ: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [سَبَأُ: ١٩]، وَذَلِكَ أَنََّّهُمْ لَمَّا أُنْذِرُوا بِسَيْلِ الْعَرَمِ خَرَجُوا مِنَ الْيَمَنِ مُتَفَرِّقِينَ فِي الْبِلَادِ، فَضَرَبَ بِهِمُ الْمَثْلُ وَقِيلَ لِكُلِّ جَمَاعَةٍ تَفَرَّقُوا: "ذَهَبُوا أَيِّدِي سَبَأَ أَوْ أَيَّادِي سَبَأَ" هَكَذَا بَتَسْكِينِ الْيَاءِ فِي الْمَثَلِ لِلتَّخْفِيفِ، وَكَانَ الْقِيَاسُ أَنْ يُقَالَ: أَيِّدِي أَوْ أَيَّادِي.

وَلَا تُنْقِضُ أَحَدًا فَكُنَّا ١٣٩ مِنْ رَجُلٍ وَأَصْلُنَا مِنْ عَلَقٍ

هَذَا مُفَرَّغٌ عَمَّا قَبْلَهُ، فَإِذَا كُنْتَ لَا تَأْمَنُ أَنْ يَغْلِبَكَ الضَّعِيفُ؛ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَحْتَقِرَ أَحَدًا، (فَكُنَّا مِنْ رَجُلٍ) وَاحِدٍ هُوَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (وَأَصْلُنَا مِنْ عَلَقٍ) كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [الْعَلَقُ: ٢]، وَالْعَلَقُ: الْقِطْعَةُ مِنَ الدَّمِ الْمُتَجَمِّدِ الْغَلِيزِ.

لَا تُلْزِمِ الْمَرْءَ عُيُوبَ أَصْلِهِ ١٤٠ فَالْمِسْكُ أَصْلُهُ دَمٌ فِي الْعُنُقِ

يقول: لا تنتقص أحداً بعيوب أصله التي لا يد له فيها، فإن الأصل قد يكون ناقصاً، والفرع كامل نفيس؛ كالمسك الذي يعده الناس من الطيب، بل هو كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لما ذكر المسك عنده: «هُوَ أَطْيَبُ الطَّيْبِ».

أصل المسك: دمٌ ينعقد في سرة غزال المسك، وقد ذكر الناظم أنه في عنق الغزال وإنما هو في السرة، فلو ألزماه نجاسة أصله لم نطيب به، قال المتنبي:

فَإِنْ تَفَقَّ الْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ

وقال ابن الرومي:

وَكَمْ أَبٍ قَدْ عَلَا بِابْنٍ ذُرّاً شَرَفٍ كَمَا عَلَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ عَدَنَانُ

وكذا الخمر النجسة تطهر فتصير خلاً حلاً كما قال الناظم:

وَالْخَمْرُ مَهْمَا طَهَّرَتْ فَبَيَّنَهَا ١٤١ وَبَيْنَ أَصْلِهَا بِحُكْمٍ فَرَّقَ

ولو ألزمت الخل التي كانت خمراً نجاسة أصلها لم نستعملها، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «نِعَمَ الْأَدَمُ الْخَلُّ، نِعَمَ الْأَدَمُ الْخَلُّ».

وَلَا تُؤَيِّسُ طَامِعًا فِي رُتْبَةٍ ١٤٢ لِنَيْلِهَا نَظِيرُهُ لَمْ يَرْتَقِ

(فِي رُتْبَةٍ) الرتبة: المنزلة والمكانة (لِنَيْلِهَا) أي للحصول عليها والظفر بها (نَظِيرُهُ) أي من

كان شبيهاً له في صفاته.

يقول: إذا رأيت من يطمح لأمر عظيم لا يرتقي مثله إليه، فلا تقنطه ولا تؤيسه فاعله يصل بهمة إليه، فالمراتب العالية ليست خاصة بالأكفء، بل قد يصل إليها من دونهم، ثم ذكر شاهداً على هذا فقال:

فَالزَّرْدُ يَوْمَ الْغَارِ لَمْ يَثْبُتْ لَهُ ١٤٣ فَضْلٌ وَكَانَ الْفَضْلُ لِلْخَدْرَنْقِ

(فَالزَّرْدُ) الزَّرْدُ بالتحريك وتسكينُ الرَّاءِ في النظم ضرورة: الدَّرْعُ المزرودة، أي التي تداخلت حلقها فهي مُحَكَّمَةُ النَّسْجِ، والزَّرْدُ كَالسَّرْدِ وزنًا ومعنى وهو تَدَاخُلُ حَلَقِ الدَّرْعِ بعضها في بعض، كما قال تعالى: ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرَ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ: ١١].

(يَوْمَ الْغَارِ) الْغَارُ: كَهْفٌ في أعلى جبل ثور، وأل في قوله: (الغار) للعهد الذهني، مثل قوله تعالى: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠].

(لِلْخَدْرَنْقِ) وَالْخَدْرَنْقُ: العنكبوت العظيمة.

يشير -رحمه الله- إلى ما شاع في السيرة من قصة النبي -صلى الله عليه وسلم- حين أوى إلى غارٍ في جبل ثور هو وأبو بكر الصديق -رضي الله عنه- في قصة الهجرة من مكة إلى المدينة، وخرج كفار مكة في طلبه حتى وصلوا إلى الجبل، ورأوا على باب الغار نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخل هاهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه. والقصة في مسند الإمام أحمد، وفيها ضعفٌ يسير، وقد حسنها الحافظ بن كثير في "السيرة"، والحافظ ابن حجر في "فتح الباري".

والمقصود: أن العنكبوت التي نَسَجَتْ على فم الغار -وأوهن البيوت بيت العنكبوت- هي التي ظَهَرَ فضلُها، ولم يكن الفضلُ للدروع كما قال بعضهم:

نَسْجٌ دَاوُدَ لَمْ يُفِدْ لَيْلَةَ الْغَا رٍ وَكَانَ الْفَخَّارُ لِلْعَنْكَبُوتِ

فبلغت العنكبوت بنسجها رتبةً لم تبلغها الدروع، وهذا شاهد على قوله:

وَلَا تُؤَيِّسُ طَامِعًا فِي رُتْبَةٍ ١٤٢ لِنَيْلِهَا نَظِيرُهُ لَمْ يَرْتَقِ

ثم ذكر شاهداً آخر، وهو قوس حاجب، وقد سبقت إشارة إلى قوس حاجب في قوله:

وَمُقَلَّةٌ تَرْمِي بِقَوْسٍ حَاجِبٍ ٥١ لَاحِظَهَا بَسْمُهَا الْمُفَوَّقِ

وسبق أنه سيأتي ذكرها، وهذا موضعه، قال:

وَقَوْسٌ حَاجِبٌ بِرَهْنِهَا لَدَى ١٤٤ كَسْرَى اطمأنَّ قَلْبُهُ بِمَا لَقِيَ

يشير إلى قصة وفود حاجب بن زُرارة التميمي على كسرى مُتَّجِعًا لقومه في أرض العراق من جَدَبِ أصاب مُضَرَ لدعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- عليهم حين قال: «اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسْنِي يُوسُفَ».

فلما استأذن حاجب بن زُرارة على كسرى، أرسل إليه كسرى: أَسَيِّدُ الْعَرَبِ أَنْتَ؟ قال: لا، قال: أَسَيِّدُ مُضَرَ؟ قال: لا، قال: أَسَيِّدُ بَنِي أَبِيكَ؟ قال: لا، فَأَذِنَ لَهُ. فلما دخل عليه قال: مَنْ أَنْتَ؟ قال: أنا سيد العرب. قال: أليس قد أُوْحِيْتُ إِلَيْكَ أَسَيِّدُ الْعَرَبِ أَنْتَ؟ فقلت: لا، حتى اقتصرتُ بِكَ عَلَى بَنِي أَبِيكَ فقلت: لا. فقال: أيها الملك، إني لم أكن كذلك حتى دخلت على الملك، فلما دخلتُ عليك صِرْتُ سَيِّدَ الْعَرَبِ، فقال كسرى: املؤوا فاه ذهبًا. ثم سأل حاجبُ بنُ زُرارة كسرى أن يأذن له ولقومه أن يَرْعَوْا سَوَامَهُمْ فِي أَرْضِ الْعِرَاقِ، فقال له كسرى: ومن يضمنُ لي أنهم لا يعيشون في أطراف بلدي؟ قال حاجبُ: أنا، قال: فمن لي بأن تفي؟ قال: أرهنك قوسي.

فلما جاء بقوسه ضحك القوم لَخِسَّتِهَا، وقالوا: أَلِهَذه العصا يفي! قال كسرى: خذوها، ما كان ليسلمها في شيءٍ أبدًا -يعني أن العربي لا يترك قوسه- فقبضها منه، وَأَذِنَ لَهُمْ، فدخلوا ريف العراق وَرَعَوْا سَوَامَهُمْ فِيهِ.

ولما ارتحلت تميمٌ -وقد هلك حاجبٌ- جاء وَلَدُهُ عَطَارِدُ -رضي الله عنه- إلى كسرى يريد القوس، قال: ما أَنْتَ بِالَّذِي رَهْنَهَا، قال: أَجَلُ أَيُّهَا الْمَلِكُ، قال: فما فعل رهنها؟ قال: هلك وهو أبي، وقد وَفَّى لَهُ قَوْمُهُ، وَوَفَّى هُوَ لِلْمَلِكِ، فَرَدَّهَا عَلَيْهِ وَكْسَاهُ حُلَّةً.

وعطارِدُ بن حاجب -رضي الله عنه- وَفَدَ عَلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- وَأَسْلَمَ هُوَ

وقومه، وفي هذا الوفد نزلت الآيات في صدر سورة الحجرات، والشاهد من هذه القصة على قوله:

وَلَا تُؤَيِّسْ طَامِعًا فِي رُتْبَةٍ ١٤٢ لِنَيْلِهَا نَظِيرُهُ لَمْ يَرْتَقِ
أن هذه القوس الزهيدة أَعْنَتْ غَنَاءً عَظِيمًا، فكانت سببًا في أن ترعى تميمٌ سوادَ العراق،
فَأَحْيَتْ أُمَّةً من الأمم، واشتهر ذكرها عند العرب والعجم، وصارت مفخرةً عظيمةً لبني
تميم، وبقيت عند بني عطار ديتوارثونها.

وقد ذكرها أبو تمام في قصيدته التي يمدح بها أبا دلف فقال:

إِذَا افْتَخَرْتُ يَوْمًا تَمِيمٌ بِقَوْسِهَا وَزَادَتْ عَلَى مَا وَطَّدَتْ مِنْ مَنَاقِبِ
فَأَنْتُمْ بِذِي قَارٍ أَمَأَلْتُمْ سُيُوفَكُمْ عُرُوشَ الَّذِينَ اسْتَرَهَنُوا قَوْسَ حَاجِبِ

وأبو دُلف العِجْلِيُّ من الأمراء الأجواد الشجعان في زمن المأمون والمعتصم، وكان أديبًا
شاعرًا، وفيه يقول الشاعر:

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُودُلفِ بَيْنَ مَغْزَاهُ وَمُخْتَضِرِهِ
فَإِذَا وَلَّى أَبُودُلفِ وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ

وقد أنشد بعض المالكية هذين البيتين في إمام من الأئمة المالكية هو ابن رشد الجد، كما
في "شرح الزرقاني على خليل" يقولون له: أبو دُلف المذهب.

لَا تَغْشَ دَارَ الظُّلْمِ وَاعْلَمْ أَنَّهَا ١٤٥ أَخْرَبُ مِنْ جَوْفِ حِمَارٍ خَلَقَ
(لَا تَغْشَ دَارَ الظُّلْمِ) أي لا تأتها، والظُّلْمُ: وضع الشيء في غير موضعه (وَاعْلَمْ أَنَّهَا
أَخْرَبُ) أي أكثر خرابًا (مِنْ جَوْفِ) جوفُ الحيوان: بطنه، وجَوْفُ حِمَارٍ موضعُ بعينه،
(خَلَقَ) بالتحريك - ومعنى قولهم: بالتحريك أنه بفتحتين أي بفتح الأول والثاني فهو بفتح
الخاء واللام - والفعل منه: خَلَقَ يقال: خَلَقَ الثوبُ يَخْلُقُ فهو خَلْقٌ إذا بَلِيَ، وأَخْلَقَ الثوبُ

لغة فيه.

من أمثال العرب: "أَخْلَقُ مِنْ جَوْفِ حِمَارٍ"، و"أَخْلَى مِنْ جَوْفِ حِمَارٍ".

واختلَفَ في المراد بحمار فقيل: هو على بابه، فإن الحمار إذا صِيدَ لم يُتَنَفَّعَ بشيء مما في جوفه، بل يُرمى به، فهو خرابٌ بهذا المعنى.

وقيل: هو اسم رجل من قبيلة عاد، وجَوْفُهُ وادٍ كان يحُلُّهُ ذو ماء وشجر، لم يكن ببلاد العرب أَخَصَبُ منه، يقال له: جَوْفُ حِمَارٍ، فيه من كل الثمار، فخرج بنوه وهم عشرة يتصيّدون، فأصابتهم صاعقة، فماتوا كلهم، فكفَرَ كفراً عظيماً والعياذ بالله، ودعا قومه إلى الكفر، فمن عصاه قتله، فأهلكه الله وأخرب واديّه، فضربت العرب به المثل في الخراب والخلاء. وضربت به المثل أيضاً في الكفر، فقالوا: "أَكْفَرُ مِنْ حِمَارٍ".

وقد أكثر الشعراء من ذِكْرِهِ في أشعارهم، قال الشاعر:

وَبِشَوْمِ الْبَغْيِ وَالْغَشَمِ قَدِيمًا قَدْ خَلَا جَوْفٌ وَلَمْ يَبْقَ حِمَارٌ

وفي الأبيات الأربعة التي رواها بعضهم في معلقة امرئ القيس:

وَقَرَبَةَ أَقْوَامٍ جَعَلْتُ عَصَامَهَا عَلَى كَاهِلٍ مِنِّي ذُلُولٍ مُرَحِّلٍ
وَوَادٍ كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَفَرٍ قَطَعْتُهُ بِهِ الذُّبُّ يَعْوِي كَالْخَلِيعِ الْمُعِيلِ

والبيتان بعده، وقوله: (وَوَادٍ كَجَوْفِ الْعَيْرِ) أي كجوف حمار.

وجمهور الأئمة لم يذكروا هذه الأبيات لامرئ القيس، وقد رواها الأصمعي وغيره

لِتَأْبَطَ شَرًّا، وهي أشبه بشعر اللص والصعلوك، لا بكلام الملوكة.

وَلَا تَبِعْ عِرْضَكَ بَيْعَةَ أَبِي ١٤٦ غَبْشَانَ بَيْعَ الْغَيْنِ وَالتَّبْلُصُقِ

بَاعَ السَّدَانَةَ قُصَايَا أَخْذَا ١٤٧ عَوْضَهَا نَحْيَا مِنْ أُمَّ زَنْبَقِ

العِرْضُ: موضع المدح والذم، وأَبُو غَبْشَانَ بفتح الغين وضمها: رجل من خزاعة.

والغَبْنُ: الخسارة، وهو بالسكون في البيع، وبالتحريك -أي بفتح الأول والثاني- في الرأي، والتَّبْلُصُقُ: طلب الشيء في خفاء ومكر، والسَّدَانَةُ: خدمة الكعبة.

وقُصَيٌّ: هو قُصَيُّ بْنُ كِلَابٍ بْنِ مُرَّةَ أَحَدِ أَجْدَادِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-، واسمه زيد، سُمِّيَ قُصَيًّا لِتَقْصِيهِ عَنْ بِلَادِ قَوْمِهِ مَعَ أُمِّهِ وَهُوَ فَطِيمٌ، وَكَانَ يُدْعَى مُجَمَّعًا لِجَمْعِهِ أَحْيَاءَ قَرِيشَ وَإِنْزَالَهُمْ بِمَكَّةَ، وَلِذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

أَبُوكُمْ قُصَيٌّ كَانَ يُدْعَى مُجَمَّعًا بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْقَبَائِلَ مِنْ فَهْرٍ

وَالنَّحْيُ: الزُّقُّ، وَأُمُّ زُنْبُقٍ: مَنْ كُنِيَ الْخَمْرُ، يُقْرَأُ: (مِنْ أُمِّ زُنْبُقٍ) بِالنَّقْلِ.

وَكَانَ مِنْ خَبَرِ أَبِي غَبْشَانَ أَنَّ قَبِيلَةَ خَزَاعَةَ كَانُوا سَدَنَةَ الْكَعْبَةِ، وَكَانَ أَبُو غَبْشَانَ يَلِي مِنْ بَيْنِ خَزَاعَةَ أَمْرَ الْكَعْبَةِ، وَبِيَدِهِ مِفَاتِيحُهَا، فَاتَّفَقَ أَنَّهُ اجْتَمَعَ مَعَ قُصَيٍّ فِي شَرْبٍ -وَالشَّرْبُ: جَمَاعَةُ الشَّارِبِينَ- بِالطَّائِفِ، فَأَسْكِرَهُ قُصَيٌّ ثُمَّ اشْتَرَى مِنْهُ مِفَاتِيحَ الْكَعْبَةِ بِزُقٍّ خَمْرٍ، وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ، وَدَفَعَ الْمِفَاتِيحَ إِلَى ابْنِهِ عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ، وَسَرَّحَهُ إِلَى مَكَّةَ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَبْدُ الدَّارِ عَلَى دُورِ مَكَّةَ، رَفَعَ عَقِيرَتَهُ وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قَرِيشَ، هَذِهِ مِفَاتِيحُ بَيْتِ أَبِيكُمْ إِسْمَاعِيلَ قَدْ رَدَّهَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ. وَأَفَاقَ أَبُو غَبْشَانَ مِنْ سَكْرِهِ نَادِمًا خَاسِرًا، فَقَالَ النَّاسُ: "أَحْمَقُ مِنْ أَبِي غَبْشَانَ"، وَقَالُوا: "أَنْدَمُ مِنْ أَبِي غَبْشَانَ"، وَقَالُوا: "أَخْسَرُ صَفْقَةً مِنْ أَبِي غَبْشَانَ"، فَذَهَبَتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الثَّلَاثُ أَمْثَالًا، وَأَكْثَرَتِ الشُّعْرَاءُ الْقَوْلَ فِيهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ:

بَاعَتْ خُزَاعَةُ بَيْتَ اللَّهِ إِذْ سَكِرَتْ بِزُقٍّ خَمْرٍ فَبُسْتُ صَفْقَةَ الْبَادِي

بَاعَتْ سِدَانَتَهَا بِالنَّزْرِ وَأَنْصَرَفَتْ عَنِ الْمَقَامِ وَظِلِّ الْبَيْتِ وَالنَّادِي

ثُمَّ إِنْ خَزَاعَةُ حَارَبَتْ قُصَيًّا فَنَصَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَتَمَّ أَمْرُهُ، وَجَمَعَ إِلَيْهِ قَرِيشًا، فَسُمِّيَ مُجَمَّعًا لِذَلِكَ. يَقُولُ النَّازِمُ فِي هَذَا الْبَيْتِ: لَا تُعَرِّضْ نَفْسَكَ لِلذَّمِّ بِصَفْقَةٍ خَاسِرَةٍ كَصَفْقَةِ أَبِي غَبْشَانَ.

وَلَا تَكُنْ كَأَشْعَبِ فَرْبَمَا ١٤٨ تَلَحَّقَ يَوْمًا وَافِدَ الْمُحَرِّقِ

(كَأَشْعَبُ) كَانَ مَوْلَى لَّالِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تَحَدَّثَ عَنْ نَفْسِهِ قَالَ:
"نَشَأْتُ أَنَا وَأَبُو الزِّنَادِ فِي حَجَرٍ عَائِشَةُ بِنْتُ عُثْمَانَ؛ فَلَمْ يَزَلْ يَعْلُو وَأَسْفُلُ حَتَّى بَلَغَ كُلُّ مَنَا
الْمَنْزِلَةَ الَّتِي تَرُونَ".

وَكَانَ صَاحِبَ سِنْدٍ يَرْوِي حَدِيثَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ
كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ» وَهُوَ مَضْرِبٌ مَثَلٍ فِي الطَّمَعِ.
لَمَّا قَدِمَ بَغْدَادَ فِي أَيَّامِ الْمَهْدِيِّ تَلَقَّاهُ النَّاسُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ ذَا إِسْنَادٍ، قَالُوا: حَدِّثْنَا، قَالَ: حَدَّثَنِي
سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَكَانَ يُبَغِضُنِي فِي اللَّهِ، قَالَ: «خَصَلْتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ مُؤْمِنٍ»
وَسَكَتَ، قَالُوا: مَا هُمَا؟ قَالَ: نَسِي سَالِمٌ إِحْدَاهُمَا وَنَسِيتُ أَنَا الْآخَرَى.
وَمَرَّ أَشْعَبُ مَرَّةً فِي طَرِيقٍ فَعَبَثَ بِهِ الصَّبِيَّانِ، فَقَالَ: وَيَحْكُمُ، سَالِمٌ يَقْسِمُ تَمْرًا فَمَرُّوا
يَعْدُونَ، فَعَدَا أَشْعَبُ مَعَهُمْ، وَقَالَ: "وَمَا يُدْرِينِي لَعَلَّهُ حَقٌّ".

وَقِيلَ لِأَشْعَبَ: "مَا بَلَغَ مِنْ طَمَعِكَ؟" قَالَ: "مَا رَأَيْتُ اثْنَيْنِ يَتَسَارَّانِ إِلَّا ظَنَنْتَهُمَا يَأْمُرَانِ لِي
بَشْيءٍ".

وَقَدْ وَقَفَ مَرَّةً عَلَى امْرَأَةٍ تَصْنَعُ طَوَقًا مِنْ خُوصٍ، فَقَالَ: زَيْدِيهِ طَوَقًا أَوْ طَوْقِينَ، فَقَالَتْ:
أَتُرِيدُ أَنْ تَشْتَرِيهِ؟ قَالَ: "لَا، وَلَكِنْ عَسَى أَنْ يَشْتَرِيَهُ إِنْسَانٌ فَيُهْدِي إِلَيَّ فِيهِ شَيْئًا، فَيَكُونُ كَبِيرًا
خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ صَغِيرًا".

وَقَالَ رَجُلٌ يَوْمًا لِأَشْعَبَ: "إِنْ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَدْ مَضَى إِلَى بُسْتَانَ كَذَا، وَمَعَهُ
طَعَامٌ كَثِيرٌ فَبَادَرَ حَتَّى لَحِقَهُ، فَأَغْلَقَ سَالِمُ الْبَابَ فِي وَجْهِهِ، فَتَسَوَّرَ عَلَيْهِ، فَقَالَ سَالِمٌ: "وَيَحْكُ
بَنَاتِي"، فَنَادَاهُ أَشْعَبُ: (لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ) فَأَمَرَ سَالِمٌ لَهُ
بِالطَّعَامِ.

وَذَكَرَ عَنْهُ أَنَّهُ تَوَضَّأَ مَرَّةً فَتَرَكَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى وَغَسَلَ الْيُسْرَى فَقِيلَ لَهُ: "لِمَ تَرَكْتَ غَسْلَ

اليمنى؟ قال: لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إِنَّ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ» وأنا أحب أن أكون أَغَرَّ مُحَجَّلًا ثَلَاثًا مُطْلَقَ الْيَمْنَى. وهو وصفٌ محمودٌ في الخيل.

فَالطَّمَعُ يُهْلِكُ صَاحِبَهُ، وَيَذْهَبُ بِمَاءِ وَجْهِهِ.

وَكَمْ مِنْ حَرِيصٍ أَهْلَكَتْهُ مَطَامِعُهُ

وقد روي عن عُمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال: "ما الحَمَرُ صِرْفًا بأذهبَ لعقول الرجال من الطمع".

ومن اللطيف: ما يُحكى أن رجلاً من معدٍّ رأى صخرةً عظيمةً ببلاد اليمن مكتوباً عليها: "اقلِّبْنِي أَنْفَعُكَ" فاحتال في قلبها ولقي من ذلك الأمرين فإذا في الجانب الآخر: "رُبَّ طَمَعٍ هَدَى إِلَى طَبَعٍ".

وَالطَّبَعُ: تَدَنُّسُ الْعَرَضِ وَتَلَطُّخُهُ.

قال لبيدٌ - رضي الله عنه - في مُعَلَّقَتِهِ:

لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يُبُورُ فَعَالُهُمْ إِذْ لَا تَمِيلُ مَعَ الْهَوَى أَخْلَامُهَا

فما زال الرجل يضربُ الصخرة برأسه تَلَهُّفًا حتى انتثر دماغه فمات؛ فصار يُضْرَبُ به المَثَلُ في الطمع فيقال: "أَطْمَعُ مِنْ قَالِبِ الصَّخْرَةِ". قال:

وَلَا تَكُنْ كَأَشْعَبٍ فَرَبَّمَا ١٤٨ تَلَحَّقَ يَوْمًا وَافِدَ الْمُحَرَّقِ

يقول: إذا طَمِعْتَ فَقَدْ تَلَحَّقَ وَافِدَ الْمُحَرَّقِ، وَالْمُحَرَّقُ: يَقْصِدُ بِهِ عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ، وَأَمَّا وَافِدَ الْمُحَرَّقِ: فَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يُقَالُ لَهُ: عِمَارُ بْنُ صَخْرِ التَّمِيمِيِّ ثُمَّ الْبُرْجُمِيِّ.

وكان عمرو بن هند غَضِبَ عَلَى بَنِي دَارِمٍ، فَحَلَفَ لِيُحْرِقَنَّ مِئَةً مِنْهُمْ، وَأَمَرَ بِأَخْذِهِ

فَحُدَّتْ وَأَوْقَدَتْ فِيهَا النَّارَ، فَلَمَّا تَلَطَّتْ قَذَفَ بِهِمْ فِيهَا فَاحْتَرَقُوا، وَمَرَّ رَجُلٌ هُوَ عِمَارُ بْنُ صَخْرِ الْمَذْكُورِ فَاشْتَمَّ رَائِحَةَ الْقُتَارِ - وَالْقُتَارُ: الدُّخَانُ مِنَ اللَّحْمِ الْمَشْوِيِّ أَوْ الْمُحْرَقِ - فَظَنَّهَا مَأْدُبَةً، وَكَانَ سَاعِغًا، فَجَاءَ يُوضِعُ بِهِ بَعِيرَهُ حَتَّى أَنَاخَ أَمَامَ قُبَّةِ الْمَلِكِ، فَقَالَ الْمَلِكُ: مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: الطَّعَامُ، فَلَمْ أَذُقْ طَعَامًا مُنْذُ ثَلَاثِ أَيَّامٍ، قَالَ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ قَالَ: مِنَ الْبَرَاكِمِ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ: "إِنَّ الشَّقِيَّ وَافِدُ الْبَرَاكِمِ" فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا، وَأَمَرَ بِهِ فَقَذَفَ فِي النَّارِ، وَسُمِّيَ ابْنُ هِنْدٍ مُحَرَّقًا بِفَعْلِهِ هَذَا.

وَلَا تَكُنْ كَوَاوِ عَمْرُو زَائِدًا ١٤٩ فِي الْقَوْمِ أَوْ كَمَثَلِ نُونٍ مُلْحَقٍ

يقول: اربأ بنفسك أن تكون زائدًا في القوم كزيادة الواو في عمرو؛ للفرق بينه وبين عمرو على المشهور، وكزيادة النون في ضيفن.

وهذا نهى عن التطفُّل، وهو مأخوذٌ من طفيلٍ، وهو رجلٌ من أهل الكوفة كان يأتي الولايم من غير أن يدعى إليها، فكان يُقال له: "طفيلُ الأعراس"، ف قيل لكل من يتعاطى حِرْفَتَهُ: طفيلي.

وكان من وصايا طفيلٍ هذا لأصحابه قوله: "إذا دخلتم عرسًا فلا تلتفتوا إلى الملاهي، وتخيروا المجالس، وإن كان العرسُ كثيرَ الزحام فليمضِ أحدكم ولا ينظر في عيون الناس؛ ليظنَّ أهلُ الرجل أنه من أهلِ المرأة، ويظنَّ أهلُ المرأة أنه من أهلِ الرجل، وإذا كان البوابُ فظًا وقحًا فليبدأ به فليأمره ولينهه من غير عنف، ولكن بين النصيحة والإدلال (الإدلال بالادل).

وقد ضربَ النّاظمُ المَثَلُ بزيادة واو عمرو، وبنون ضيفن، وإشارته بواو عمرو تصدق على من يأتي الولايم من غير دعوة أحد، وأشار بقوله: (نُونٍ مُلْحَقٍ) إلى من يأتي الولايم تبعًا لمدعو، وهو الذي يُقال له: ضيفن، فالضيفن: ضيفُ الضيف.

قال الشاعر:

إِذَا جَاءَ ضَيْفٌ جَاءَ لِلضَّيْفِ ضَيْفٌ فَأَوْدَى بِمَا تُقْرِى الضُّيُوفُ الضَّيَافِ

وهذا الاسم هو الذي ألغز فيه الحرير في المقامة القطيعية بقوله: وما وصف إذا أُرْدِفَ بالنون، نَقَصَ صاحبه في العيون، وقُومَ بالدُّون، وخرج من الزُّبون، وتعرَّضَ للهُون؟ قال الحريري في تفسيره المقامة: هو الذي يتبع الضيف، ويُنزَلُ في النِّقْدِ منزلةَ الزَّيْفِ. وما أصدق ما قاله قَطْرِيُّ بنُ الفُجاءة الخارجي في قصيدته التي مطلعها:

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَعَاعًا مِنْ الْأَبْطَالِ وَيَحَكُّ لَنْ تَرَاعِي

قال:

وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ إِذَا مَا عُدَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ

وَاعْضُلْ كَهَمَّامٍ بَنَاتٍ فِكْرَةَ ١٥٠ ضِنًّا بِهَا عَنْ غَيْرِ فَحْلِ مُعْرِقٍ

كَيْ لَا تَقُولَ بِلِسَانٍ حَالَهَا ١٥١ مَقَالَ هِنْدَ أَلْقَى مَنْ لَمْ يَلِقِ

العَضْلُ: المنع والتضييق، ويُستعمل كثيراً في منع الأيِّم من التزويج، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُمْ أَنْ يَنْكَحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، واستعاره هنا لمنع بنات الفكرة من غير الكُفء، يقول: لا تمدح من لا يستحق المدح، قال الشاعر:

فَلَا عَضْلَنَ قَصَائِدِي مِنْ بَعْدِهِ حَتَّى أَزَوَّجَهَا مِنَ الْأَكْفَاءِ

وقد قال الحريري في المقامة الشعرية: "واستِراقُ الشُّعْرِ عند الشُّعْرَاءِ، أَفْطَعُ مِنْ سَرِقَةِ البِيضَاءِ والصُّفْرَاءِ، وَغَيْرُهُمْ عَلَى بَنَاتِ الْأَفْكَارِ، كَغَيْرَتِهِمْ عَلَى الْبَنَاتِ الْأَبْكَارِ".

(ضِنًّا بِهَا) أي: بُخْلًا بها، يُقال: ضَنَّ بالشَّيءِ يَضُنُّ ضِنًّا، من باب (تَعَبَ)، ويأتي في اللغة من باب ضَرَبَ، فيُقال: ضَنَّ يَضُنُّ ضِنًّا.

والفحل: الذَّكَر من كل حيوان، والمُعَرِّق: يُريد به هنا الذي له أصلٌ عريقٌ في الكرم، وقوله: (أَلْقِ مَنْ لَمْ يَلِقِ) أي ارم من لا يصلح.

وهَمَّام هو هَمَّامُ بْنُ مُرَّةَ أَخُو جَسَّاسٍ قَاتِلِ كَلْبٍ، وكان لَهُمَّامٌ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، فَأَبَى أَنْ يُزَوِّجَهُنَّ وَعَضَلَهُنَّ حَتَّى عَسَنَ، فسمعهن مرةً يَتَمَنَّيْنِ؛ فما عدا تَمَنِّيَهُنَّ الزَّوْجَ، فقال: "أَخْزَاهُنَّ اللَّهُ" وَزَوَّجَهُنَّ.

أما هند التي ذكرها فهي هِنْدُ بِنْتُ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النُّعْمَانُ وَعَنْ أَبِيهِ- وَأَرَادَ بِمَقَالِهَا مَا قَالَتْهُ فِي زَوْجِهَا رَوْحِ بْنِ زِنْبَاعِ الْجُدَامِيِّ وَقِيلَ: قَالَتْهُ فِي الْحَجَّاجِ بْنِ يُوْسُفَ الثَّقَفِيِّ:

وَهَلْ هِنْدُ إِلَّا مُهْرَةٌ عَرِيَّةٌ سَلِيلَةُ أَفْرَاسٍ تَجَلَّلَهَا بَغْلٌ
فَإِنْ نُبِجَتْ مُهْرًا كَرِيمًا فَبِالْحَرَى وَإِنْ يَكُ إِفْرَافٌ فَمَا أَنْجَبَ الْفَحْلُ
وَسَلْ مُهُورَ كِنْدَةٍ إِنْ تُهْدِهَا لِذِي نَدَى كَالْبَحْرِ فِي تَدْفُقِ

المُهِورُ: جَمْعُ مَهْرٍ وهو صَدَاقُ الْمَرْأَةِ. وَالنَّدَى: الْكَرْمُ. وَكِندَةُ قَبِيلَةٌ مِنَ الْيَمَنِ مَعْرُوفَةٌ كَانَتْ لَا تُزَوِّجُ بَنَاتِهَا بِأَقْلٍ مِنْ مِئَةٍ مِنَ الْإِبِلِ، وَرُبَّمَا أُمِّهَرَتْ الْوَاحِدَةُ مِنْهُنَّ أَلْفًا مِنَ الْإِبِلِ، فَصَارَتْ مُهُورُ كِنْدَةٍ مَضْرِبَ مَثَلٍ فِي الْغَلَاءِ.

لَا تَنْسَ مِنْ دُنْيَاكَ حَظًّا وَإِلَى كَالطَّالِقَانِي وَالْخَصِيبِ انْطَلِقِ

(لَا تَنْسَ مِنْ دُنْيَاكَ حَظًّا) يُشِيرُ إِلَى قَوْلِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧].

(وَإِلَى كَالطَّالِقَانِي وَالْخَصِيبِ انْطَلِقِ) الطَّالِقَانِي: هُوَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ الْأَدِيبُ الْكَاتِبُ،

وَلِيَّ الْوِزَارَةِ لِمُؤَيَّدِ الدَّوْلَةِ بُوَيْهٍ، وَاسْمُ الصَّاحِبِ إِسْمَاعِيلُ، صَحِبَ الْوَزِيرَ أَبَا الْفَضْلِ بْنِ الْعَمِيدِ، وَمِنْ ثَمَّ شَهِرَ بِالصَّاحِبِ.

وَمِنْ أَخْبَارِهِ فِي الْجُودِ وَالْكَرَمِ: أَنَّهُ أَنْشَدَهُ أَبُو الْقَاسِمِ الزَّعْفَرَانِيُّ يَوْمًا أَيْبَاتًا نُونِيَّةً مِنْ

جُمَلَتِهَا:

أَيَّامَنْ عَطَايَاهُ تُهْدِي الْغَنَى إِلَى رَاحَتِي مَنْ نَأَى أَوْ دَنَا
كَسَوْتَ الْمُقِيمِينَ وَالزَّائِرِينَ كَسَّالَمْ نَخْلُ مِثْلَهَا مُمَكِّنَا
وَحَاشِيَةُ الدَّارِ يَمْشُونَ فِي صُنُوفٍ مِنَ الْخَزْرِ إِلَّا أَنَا

فقال الصاحب: قرأتُ في أخبارِ معنِ بنِ زائدة الشيباني أنَّ رجلاً قال له: احملني أيها الأمير، فأمر له بناقةٌ وفرسٌ وبغلٌ وحمارٌ وجاريةٌ ثم قال: لو علمتُ أن الله تعالى خلق مركوباً غيرَ هذا لحملتُك عليه، وقد أَمَرْنَا لَكَ مِنَ الْخَزْرِ بُجْبَةً وقَمِيصٍ وعمامةٍ ودُرَّاعَةٍ وسراويلَ ومنديلٍ ومُطَرَفٍ -وهو ثوبٌ من خَزٍّ له أعلام- ورداءٍ وكساءٍ وجوربٍ وكيسٍ، ولو علمنا لباساً آخرَ يُتَّخَذُ مِنَ الْخَزْرِ لَأَعْطَيْنَاكَ.

لعله كان يرى جواز حمل المُشْتَرَكِ على معانيه!

وأما الْخَصِيبُ فهو الْخَصِيبُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ أَحَدُ عُمَالِ الرَّشِيدِ، وصاحبُ ديوانِ الْخَرَّاجِ بمصر، كان من الأجواد المقصودين، حتى إنَّ أقارب الخليفة كانوا يقصدونه من بغداد إلى مصر فيُحْسِنُ إِلَيْهِمْ، وَيُجْزِلُ عَطَاءَهُمْ، وهو الذي مدحه أبو نُؤَاسٍ بقصيدته الرَّائِيَّةِ السَّائِرَةِ التي مَطَّلَعُهَا:

أَجَارَةَ بَيْتَيْنَا أَبُوكَ غَيُورُ وَمَيْسُورُ مَا يُرْجَى لَدَيْكَ عَسِيرُ

وفيها يقول أبو نُؤَاسٍ مُخَاطَباً زوجته:

ذَرِينِي أَكْثَرَ حَاسِدِيكَ بِرَحْلَةٍ إِلَى بَلَدَةٍ فِيهَا الْخَصِيبُ أَمِيرُ
فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ
فَمَا جَاذَهُ جُودٌ وَلَا حَلَّ دُونَهُ وَلَكِنْ يَسِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَسِيرُ

لَا تَهْجُ مَنْ لَمْ يُعْطِ وَاهْجُ مَنْ أَتَى ١٥٤ إِلَى السَّرَابِ بِالْدَّلَاءِ يَسْتَقِي

الهَجَاءُ: الذَّمُّ فِي الشَّعْرِ.

وَالسَّرَابُ: مَا يَتَرَاءَى لِلْعَيْنِ كَأَنَّهُ مَاءٌ وَلَيْسَ بِمَاءٍ، كَنَى بِالسَّرَابِ عَنِ الرَّجُلِ الْبَخِيلِ.
يَقُولُ: إِذَا قَصَدْتَ بِنَاتِ فِكْرِكَ مَنْ لَيْسَ أَهْلًا، فَلَمْ يُعْطِكَ فَلَا تَهْجُهُ، بَلْ اهْجُ نَفْسَكَ،
فَاللَّوْمُ لَيْسَ عَلَى الْبَخِيلِ فِي مَنْعِهِ، بَلِ اللَّوْمُ عَلَى مَنْ يَطْمَعُ فِي نَوَالِ الْبَخِيلِ.
كَمَا قَالَ نُصَيْبُ الشَّاعِرِ لِمُسْلِمَةَ بِنِ عَبْدِ الْمَلِكِ حِينَ قَالَ لَهُ: فَلَانِ سَأَلْتَهُ فَلَمْ يُعْطِكَ فَلِمَ لَمْ
تَهْجُهُ؟ فَقَالَ نُصَيْبٌ: لَا وَاللَّهِ، مَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَهْجُوهُ، إِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ أَهْجُو نَفْسِي حَيْثُ مَدَحْتَهُ.
فَقَالَ مُسْلِمَةُ: هَذَا وَاللَّهِ أَشَدُّ الْهَجَاءِ!

وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ فِي هَذَا الْمَعْنَى:

أَبْعَيْنِ مُفْتَقِرٍ إِلَيْكَ نَظَرَتَنِي فَأَهْتَنِي وَقَذَفْتَنِي مِنْ خَالِقِ
لَسْتُ الْمَلُومَ أَنَا الْمَلُومَ لِأَنَّنِي أَنْزَلْتُ أَمَالِي بِغَيْرِ الْخَالِقِ

الْحَالِقُ: الْمَكَانُ الْمَرْتَفِعُ.

وَعُدْلِمَا عَوَّدَتْ مِنْ بَذْلِ اللَّهِهَا ١٥٥ فَالْعَوْدُ أَحْمَدُ لِكُلِّ مُمْلِقٍ

(وَعُدْ) أَرْجِعْ (لِمَا عَوَّدَتْ) أَيِ صَيَّرَ لَكَ عَادَةً (مِنْ بَذْلِ) الْبَذْلُ: الْإِعْطَاءُ (اللَّهُهِ) الْعَطَايَا،
يَقُولُونَ: اللَّهُهَا تَفْتَحُ اللَّهُهَا.

اللَّهُهَا: جَمْعُ لُهْوَةٍ، وَاللُّهُوَةُ الْعَطِيَّةُ.

وَاللَّهُهَا: وَاحِدُهَا لَهَاةٌ، وَاللَّهَاءُ: اللَّحْمَةُ الَّتِي فِي أَقْصَى سَقْفِ الْحَلْقِ، وَالْمَعْنَى: أَنْ
الْإِحْسَانَ يُطْلَقُ اللِّسَانُ كَمَا قَالَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِي:

أَحْسَنُ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدُ قُلُوبُهُمْ فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانُ إِحْسَانُ

(فَالْعَوْدُ أَحْمَدُ) أَيِ أَكْثَرُ حَمْدًا (لِكُلِّ مُمْلِقٍ) أَيِ لِكُلِّ فَقِيرٍ مُحْتَاجٍ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا

تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإِسْرَاءُ: ٣١].

وقيل: أول من قال: العَوْدُ أَحْمَدُ خِدَاشُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِي، وكان خَطَبَ فَنَاءً يُقال لها: رَبَاب، فَرَدَّهُ والداها، فَأَضْرَبَ عنها زمانًا، ثم أَقبل ذاتَ لَيْلَةٍ رَاكِبًا فَاَنْتَهَى إلى مَحَلَّتِهِمْ وهو يتغنّى ويقول:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي يَا رَبَّابُ مَتَى أَرَى
فَقَدْ طَالَ مَا عَنَيْتَنِي وَرَدَدْتَنِي
لَحَى اللَّهُ مَنْ تَسْمُو إِلَى الْمَالِ نَفْسُهُ
فِيُنْكِحُ ذَا مَالٍ دَمِيمًا مُلَوَّمًا
لَنَا مِنْكَ نُجْحًا أَوْ شِفَاءً فَأَشْتَفِي
وَأَنْتَ صَفِيِّي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَصْطَفِي
إِذَا كَانَ ذَا فَضْلٍ بِهِ لَيْسَ يَكْتَفِي
وَيَتْرُكُ حُرًّا مِثْلَهُ لَيْسَ يَصْطَفِي

فَعَرَفَتِ الرَّبَّابُ صَوْتَهُ، فَبَعَثَتْ إِلَيْهِ: قَدْ عَرَفْنَا حَاجَتَكَ فَاغْدُ إِلَى أَبِي خَاطِبًا، وَكَلَّمْتُ أُمَّهَا فِي ذَلِكَ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَا عَلَيْهِمْ خِدَاشُ فَسَلِمَ وَقَالَ: "العَوْدُ أَحْمَدُ، وَالْمَرْءُ يُرْشَدُ، وَالْوَرْدُ يُحْمَدُ" فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا. ذَكَرَهُ فِي مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ. ثُمَّ قَالَ: وَيُقَالُ: إِنْ أَوَّلَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ مَالِكُ بْنُ نُؤَيْرَةَ حِينَ قَالَ:

جَزَيْنَا بَنِي شَيْبَانَ أَمْسٍ بِقَرْضِهِمْ
وَعُدْنَا بِمِثْلِ الْبَدءِ وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ

فَقَالَ النَّاسُ: الْعَوْدُ أَحْمَدُ.

وَلَا تُعَدُّ لِحَرْبٍ مَنْ مَنْ وَلَوْ ١٥٦ مَنْ فَمَا غَلَّ يَدًا كَمُطْلِقٍ

(وَلَا تُعَدُّ لِحَرْبٍ مَنْ مَنْ) أَيِ أَنْعَمَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ١١] أَيِ يُنْعِمُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ.

(وَلَوْ مَنْ) أَيِ وَلَوْ عَدَدَ نِعْمَتِهِ عَلَيْكَ، وَهُوَ الْمَنْ الْمُحْبِطُ لِلْعَمَلِ، وَمِنْهُ فِي الْقُرْآنِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤].

(فَمَا غَلَّ يَدًا كَمُطْلِقٍ) غَلَّ: قَيَّدَ، يُشِيرُ إِلَى مِثْلِ عِنْدَ الْعَرَبِ هُوَ قَوْلُهُمْ: "غَلَّ يَدًا مُطْلَقُهَا"،

أَوَّلُ مَنْ قَالَهُ عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ الْخَارِجِيُّ الْمَشْهُورُ.

وعمران حَدَّثَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَكَانَ شَاعِرًا مُجِيدًا، قَالَ الْفَرَزْدَقُ: "عمران بن حِطَّانٍ مِنْ أَشْعَرِ النَّاسِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ مِثْلَنَا لَقَالَ، وَلَسْنَا نَقْدِرُ أَنْ نَقُولَ مِثْلَ قَوْلِهِ".
وَقَدْ تَعَلَّقَ قَلْبُ عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانٍ بِابْنَةِ عَمِّ لَهُ تُسَمَّى جَمْرَةَ، وَكَانَتْ خَارِجِيَّةً، وَقَالَ:
سَارَدُهَا إِلَى السُّنَّةِ، فَصَرَفَتْهُ إِلَى مَذْهَبِهَا، فَصَارَ مِنْ كِبَارِ الْخَوَارِجِ، نَسَأَلَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.
وَكَانَتْ ذَاتَ جَمَالٍ، وَكَانَ هُوَ قَبِيحًا دَمِيمًا، يَرَوِي أَنَّهَا قَالَتْ لَهُ يَوْمًا: أَنَا وَأَنْتَ فِي الْجَنَّةِ
قَالَ: وَمَنْ أَيْنَ عَلِمْتَ ذَلِكَ؟ قَالَتْ: لِأَنَّكَ أُعْطِيتَ مِثْلِي فَشَكَرْتَ، وَابْتُلِيتُ أَنَا بِمِثْلِكَ
فَصَبَرْتُ، وَالشَّاكِرُ وَالصَّابِرُ فِي الْجَنَّةِ.
وَهُوَ الْقَائِلُ يَمْدَحُ أَشْقَاهُمْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مُلْجَمٍ -بِفَتْحِ الْجِيمِ- قَاتِلَ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ- وَيَمْدَحُ الْخَوَارِجَ:

يَا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا
إِنِّي لَأَذْكُرُهُ حِينَئِذٍ فَأَحْسِبُهُ
أَكْرَمَ بِقَوْمٍ بَطُونُ الطَّيْرِ أَقْبَرُهُمْ
إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانَا
أَوْفَى الْبَرِّيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانَا
لَمْ يَخْلُطُوا دِينَهُمْ بَغِيًّا وَعُدْوَانَا

وهذه أبياتٌ لَا تُقَالُ إِلَّا بِخِذْلَانٍ مِنَ اللَّهِ!

وقد أجابه بَكْرُ بْنُ حَمَّادٍ التَّاهِرِيُّ بِأَبْيَاتٍ طَوِيلَةٍ ذَكَرَهَا ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي الْاِسْتِيعَابِ، مِنْهَا
قَوْلُهُ:

قُلْ لِابْنِ مُلْجَمٍ وَالْأَقْدَارُ غَالِبَةٌ
فَقُلْتُ أَفْضَلَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ
هَدَمْتَ وَيْلَكَ لِلْإِسْلَامِ أَرْكَانَا
وَأَوَّلِ النَّاسِ إِسْلَامًا وَإِيمَانَا

إِلَى أَنْ قَالَ:

بَلْ ضَرْبَةٌ مِنْ غَوِيٍّ أَوْرَدَتْهُ لَظْيَ
فَسَوْفَ يَلْقَى بِهَا الرَّحْمَنَ غَضَبَانَا

كَأَنَّهُ لَمْ يُرَدِّ قَضَا بَضْرِبَتِهِ إِلَّا لِيَصْلَى عَذَابَ الْخُلْدِ نِيرَانَا

وقد كان الحجاج حنقاً على عمران بن حطان، فطلبه حتى ظفر به في جماعة من أسرى الخوارج، فقال:

يا غلام اضرب عُنُقَهُ وَسَبِّ عِمْرَانَ سَبًّا قَبِيحًا، فقال عمران: بِسْ مَا أَدَبَكَ بِهِ مُؤَدِّبُكَ يَا حجاج، كيف أمنت أن أجيبك بمثل ما جبهتني به أو أفحش، أبعد الموت منزلة أصانعك عليها!

فأطرق الحجاج استحياءً مما فرط منه، وقال: خلّوا عنه، ثم قال: أفيك موضع للصنيعة؟ قال: أجل، فأمر له بفرسٍ وسرجٍ وسيفٍ وخلّى سبيله.

فلما عاد عمران إلى أصحابه من الخوارج، قالوا له: والله يا أبا سيماك ما أطلقك إلا الله، فعُدّ بنا لحرب الفاسق. فقال عمران: "هيهات غلّ يداً مُطْلَقُهَا واسترقّ رَقَبَةً مُعْتَقُهَا" فأرسلها مثلاً.

لما نهى الناظم عن العود إلى حربٍ من له يدٌ ذكر أن العود إلى المحاربة يحسن إذا كان المحارب كالمختار بن أبي عبيدٍ ومن سلك مسلكه فقال:

وَالْعَوْدُ يُخْتَارُ عَلَى مَنْ كَانَ كَالْمُخْتَارِ أَوْ مَنْ كَانَ ذَا تَزْنَدُقٍ

الزّنديق: الذي يُظْهِرُ الإسلام ويبطن الكفر، والمُخْتَارُ: هو المختار بن أبي عبيدٍ الثَّقَفِيُّ، أبوه أبو عبيدٍ الثَّقَفِيُّ -رضي الله عنه- من جَلَّةِ الصحابة، وكان قائداً لجيشٍ من جيوش عمر -رضي الله عنه- في فتح العراق، في الواقعة المشهورة في التاريخ التي تُسمى: جسر أبي عبيد.

أما ابنه المختار فكان يتظاهر بالفضل والصلاح، ويكتم الفسق، ويتظاهر بطلب دم الحسين، ويُسرُّ طلب الدنيا، وقد جاء ذكره في صحيح مسلم في خبر الحجاج لما قال لأسماء بنت أبي بكر الصديق -رضي الله عنهما- وقد قتل ولدها عبدالله بن الزبير -رضي الله

عنهما- قال: كيف رأيتني صنعتُ بعدو الله؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه، وأفسد عليك آخرتك، ثم قالت: أما إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حدثنا أن في ثقيف كذابًا ومُبيرًا، فأما الكذاب فرأيناه -تعني المختار بن أبي عبيد- وأما المُبيرُ فلا إخالكَ إلا إياه.

وقد ذكر النووي -رحمه الله- في شرح صحيح مسلم أن العلماء اتفقوا على أن المراد بالكذاب: المختار بن أبي عبيد، وأن المراد بالمُبير: الحجاج بن يوسف الثقفي.

والمختار كان يدَّعي أنه يوحى إليه، فذكر ذلك لابن عباس -رضي الله عنهما- فقال: صدق المختار، قال الله -عز وجل-: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾

[الأنعام: ١٢١].

وقد هجاه سُراقَةُ بن مُرداس فقال:

كَفَرْتُ بِوَحْيِكُمْ وَجَعَلْتُ نَذْرًا عَلَيَّ هَجَاءُكُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ
أَرِي عَيْنِي مَا لَمْ تَرَأْيَاهُ كِلَانَا عَالِمٌ بِالتَّرَهَاتِ

وكان من حيله العجيبة في قتاله مصعب بن الزبير: أنه أودع حمامًا بيضًا للناس، وقال لهم: إن رأيتم الدائرة علينا فأطلقوا هذا الحمام. ثم خطب الناس وقال: إن الله مُمدُّكم بملائكة غضاب، تأتي في صورة الحمام دوين السحاب. فلما كانت الدائرة عليهم أطلق أولئك الحمام، فتصايح الناس: الملائكة، الملائكة؛ فقويت عزائمهم، ووقع القتل بعد ذلك في عدوهم.

وحتى تعرف حقيقة المختار بن أبي عبيد: لما ضيقوا عليه الحصار قال لصاحبه: إنما أنا رجلٌ من العرب، رأيت ابن الزُّبير انتزى على الحجاز فأخذها، ورأيت نَجْدَةَ انتزى على اليمامة فأخذها، ورأيت مروان انتزى على الشام فأخذها، ولم أكن بدونهم، فأخذت هذه البلاد، فكنت كأحدهم، إلا أنني طلبت بثأر أهل البيت، فهذا الذي جمَعَ الناسَ عَلَيَّ، فقاتِلْ

على حسبك إن لم تكن لك نية.

يقول الناظم: إن العودَ إلى المحاربة يُختار إذا كان المُحَارِبُ مثل المختار بن أبي عبيد الثقفي.

وَالصَّمْتُ حِصْنٌ لِلْفَتَى مِنَ الرَّدَى ١٥٨ وَقَلٌّ مِّنْ شَرِّ لِسَانِهِ وَقِي

(وَالصَّمْتُ حِصْنٌ) الحِصْنُ: المكان المَحْمِيّ المَنِيع (لِلْفَتَى مِنَ الرَّدَى) الرَّدَى: الهلاك، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ [طه: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾ [فصلت: ٢٣].

(وَقَلٌّ مِّنْ شَرِّ لِسَانِهِ وَقِي) (شَرٌّ) مفعول ثانٍ لِـ (وَقِي).

يقول: قليل في الناس من وقِي شَرُّ لسانه، فجَلَّهْمُ قد عاد عليه لسانه بالوبال، فإن أردت حِصْنًا يقيك من الهلاك فعليك بالصمت وقلة الكلام.

الصَّمْتُ زَيْنٌ وَالسُّكُوتُ سَلَامَةٌ
فَإِذَا نَطَقْتَ فَلَا تَكُنْ مِهْذَارًا
مَا إِنْ نَدِمْتَ عَلَى سُكُوتِي مَرَّةً
وَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى الْكَلَامِ مَرَارًا

وَلَوْ يَكُونُ الْقَوْلُ عِنْدَ النَّاسِ
مِنْ فِضَّةٍ بَيْضَابِلَا التِّبَاسِ
إِذَا لَكَانَ الصَّمْتُ مِنْ عَيْنِ الذَّهَبِ
فَافْهَمْ هَذَاكَ اللَّهُ آدَابَ الطَّلَبِ

وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»، وقال -صلى الله عليه وسلم-: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ».

وَإِنْ وَجَدْتَ لِلْكَلامِ مَوْضِعًا ١٥٩ فَكُنْ عَرَارًا فِيهِ أَوْ كَالْأَشْدَقِ

إذا وجدت موضعًا صالحًا للكلام فكن مثل هذين عرارًا والأشدق.

أما عرارٌ -يروى بفتح العين وكسرهما كما في الاستيعاب لابن عبد البر فبالفتح منقول من

ضرب من الشجر، وبالكسر منقول من صياح الظِّلِم - فهو ابنُ عمرو بنِ شاسٍ، وعمرو بنُ شاسٍ صحابيٌّ جليل رضي الله عنه، وقد ماتت أمُّ عرارٍ وعَرَارٌ مُرْضِعٌ، فتزوج أبوه امرأةً كانت تُسَيِّئُ إلى عرارٍ هذا، فقال لها عمرو بنُ شاسٍ وكان يحب ابنه عرارًا حبًّا عظيمًا:

أَرَدْتُ عَرَارًا بِالْهَوَانِ وَمَنْ يُرِدْ
لَعَمْرِي عَرَارًا بِالْهَوَانِ فَقَدْ ظَلَمَ
وَإِنَّ عَرَارًا إِنْ يَكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ
فَإِنِّي أَحِبُّ الْجَوْنَ ذَا الْمَنْكِبِ الْعَمَمِ
فَإِنْ كُنْتُ مِنْ أَوْ تُرِيدِينَ صُحْبَتِي
فَكُونِي لَهُ كَالسَّمَنِ رُبَّتْ لَهُ الْأُدْمُ
وَالْأَفْسِيرِي سَيْرٍ رَاكِبٍ نَاقَةٍ
تَيَمَّمْ خَبْثًا لَيْسَ فِي سَيْرِهِ أَمَمٌ

وقد كان عرارٌ بَيْنَ الكلامِ فصيحَ المنطق، وقد وجَّهه الحجاج إلى عبد الملك بن مروان برأس ابن الأشعث، وكتب معه كتابًا بالفتح والقضاء على فتنة ابن الأشعث، فجعل عبد الملك كلما قرأ الكتاب وشكَّ في لفظٍ سأل عنه عرارًا، فيخبره عرارٌ في أصحِّ لفظٍ وأبلغ قول، فملاً أذنه صوابًا، وشفأ نفسه من الخبر.

وعبد الملك لا يعرفه، وقد اقتحمته عينه حين رآه، فقال عبد الملك متمثلاً:

وَإِنَّ عَرَارًا إِنْ يَكُنْ غَيْرَ وَاضِحٍ
فَإِنِّي أَحِبُّ الْجَوْنَ ذَا الْمَنْكِبِ الْعَمَمِ

فضحك عرار، فقال عبد الملك: مم تضحك؟ فقال: أتعرف عرارًا يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، قال: أنا هو!، فضحك عبد الملك وقال: حظُّ وافق كلمة، وأحسن جائزته وسرَّحه.

وأما الأشدق فهو عمرو بن سعيد بن العاص، من فصحاء قريش، قيل: إن معاوية - رضي الله عنه - هو الذي سماه الأشدق، وذلك لأنه لما مات أبوه ودخل على معاوية، قال له معاوية - رضي الله عنه -: إلى مَنْ أوصى بك أبوك؟

فقال: يا أمير المؤمنين، إن أبي أوصاني، ولم يوصِ بي، فقال: فبأي شيء أوصاك؟ قال: بأن لا يفقد منه أصحابه غير شخصه، فقال معاوية - رضي الله عنه -: إن عمراً هذا لأشدق،

فَسُمِّيَ بِالْأَشْدَقِ.

لَا تَكْتُمُ الْحَقَّ وَقُلْهُ مُعَلَّنًا ١٦٠ فَهُوَ جَمَالُ صَوْتِكَ الصَّهْصَلِيقِ

(لَا تَكْتُمُ الْحَقَّ) يقال: كَتَمَ الشَّيْءَ إِذَا سَتَرَهُ.

(صَوْتِكَ الصَّهْصَلِيقِ) الصَّهْصَلِيقُ كَجَحْمَرٍ شِدَّةً الشَّدِيدِ.

وَصِخْ بِهِ مِثْلَ شَيْبٍ وَأَبِي ١٦١ عُرْوَةَ وَالْعَبَّاسِ عِنْدَ الزَّعَقِ

(عِنْدَ الزَّعَقِ) الزَّعَقُ: الْخَوْفُ

أما شَيْبٌ فهو أَبُو الضَّحَّاكُ شَيْبٌ بْنُ يَزِيدَ الشَّيْبَانِي الْخَارِجِي، وَكَانَ خَرَجَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَبَايَعَهُ الْخَوَارِجَ، وَقَدْ كَانَ شَيْبٌ شَدِيدَ الصَّوْتِ جَهِيرُهُ، إِذَا صَاحَ فِي الْجَيْشِ انْهَزَمَ لَا يَلْوِي عَلَى شَيْءٍ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ بَعْضُ شُعَرَاءِ الْخَوَارِجِ:

إِنْ صَاحَ يَوْمًا حَسِبْتَ الصَّخْرَ مُنْحَدِرًا وَالرَّيْحَ عَاصِفَةً وَالْبَحْرَ يَلْتَطِمُ

وَأما أَبُو عُرْوَةَ فهو رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي شِدَّةِ الصَّوْتِ، وَيُقَالُ لَهُ: أَبُو عُرْوَةَ السَّبَّاحُ بِالْإِضَافَةِ.

مِنْ زَعَمَاتِ الْعَرَبِ: أَنَّ أَبَا عُرْوَةَ هَذَا كَانَ يَصِيحُ عَلَى الْأَسَدِ وَقَدْ احْتَمَلَ الشَّاةَ، فَيُخَلِّيهَا، وَيَسْقُطُ فَيَمُوتُ، فَيُشَقُّ بَطْنُ الْأَسَدِ فَيُوجَدُ فَوَّادُهُ قَدْ زَالَ مِنْ مَوْضِعِهِ، وَتَنْجُو الشَّاةُ!

وَقَدْ أُورِدَ عَلَى هَذَا أَنَّ الشَّاةَ كَانَتْ أَوْلَى بِالْهَلَاكِ مِنَ الْأَسَدِ!

قَالَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِي:

زَجَرَ أَبِي عُرْوَةَ السَّبَّاحَ إِذَا أَشْفَقَ أَنْ يَخْتَلِطَنَّ بِالْغَنَمِ

وَأما الْعَبَّاسُ فهو الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، عَمُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْعَبَّاسُ، كَانَ الْعَبَّاسُ مِنْ أَجْهَرِ النَّاسِ صَوْتًا، لِذَلِكَ أَمَرَهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمَّا انْهَزَمَ النَّاسُ فِي حُنَيْنٍ أَنْ ينادي كما في صحيح مسلم، فقال: «أَيُّ عَبَّاسٍ نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ»

فقال العباس وكان رجلاً صَيِّتًا، فقلت بأعلى صوتي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟ قال: فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي، عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك، يا لبيك.

ثم قال - رحمه الله -:

لَا تَنْسَ مَا أَوْصَى بِهِ الْبَكْرِي أَخَا ١٦٢ فَهَوَ سَدَادٌ فِيهِ السُّوءَ أَتَقِ

السَّدَادُ: الصواب، والسُّوءُ في قوله: (فِيهِ السُّوءَ أَتَقِ) مفعولٌ به مُقَدَّمٌ للفعل: (أَتَقِ) أي

ادفع السوء بالعمل بما أوصى به البكري أخاه.

كتب عبدالملك بن مروان في فتنة ابن الأشعث إلى الحجاج كتابًا يقول له فيه: "يكفيك

ما أوصى به البكري أخاه زيدًا".

فلما قرأه الحجاج لَمْ يَذَرِ ما أوصى به البكري أخاه زيدًا، فصاح صائحٌ: مَنْ يَعْرِفُ ما

أوصى به البكري أخاه زيدًا قُضِيَتْ حاجته؟ فقام أعرابيٌّ قد طالت إقامته، فقال: أنا أعرفها،

فأدخل على الحجاج، فأنشده:

يَرُونَ الْمَنَايَا دُونَ قَتْلِكَ أَوْ قَتْلِي

أَقُولُ لِزَيْدٍ لَا تُثَرِّثْ رَفَائِلَهُمْ

فَعُرْضَةُ عَضِّ الْحَرْبِ مِثْلُكَ أَوْ مِثْلِي

فَإِنْ وَضَعُوا حَرْبًا فَضَعُوهَا وَإِنْ أَبَوْا

فَشُبِّ وَقُودِ الْحَرْبِ بِالْحَطَبِ الْجَزْلِ

وَإِنْ رَفَعُوا الْحَرْبَ الْعَوَانَ الَّتِي تَرَى

فقال الحجاج: إِنَّهَا لِهَيْه، وقضى حاجته.

(لَا تُثَرِّثْ) أي لَا تُثَرِّثْ، والثَّرَثَرَةُ: كثرة الكلام فيما لَا ينفع.

لَا تَأْمَنِ الدَّهْرَ فَإِنَّ خَطْبَهُ ١٦٣ أَرْشَقُ نَبْلًا مِنْ رُمَاةِ الْحَدَقِ

الدَّهْرُ: الزمان، والخطْبُ: الشَّانُ، والرَّشَقُ بالنَّبْلِ: الرمي بها، والنَّبْلُ: السهام العربية، وهي

مؤنثة لَا واحد لها من لفظها، بل الواحد: سَهْمٌ، فهي مفردة اللفظ مجموعة المعنى.

وفي نسخة:

لَا تَأْمَنِ الدَّهْرَ الْخَوُّونَ إِنَّهُ ١٦٣ أَرْشَقُ نَبَلًا مِنْ رُمَاةِ الْحَدَقِ

والشعراء يتسامحون في ذمّ الدهر، وليس موضع تسامح، قال - صلى الله عليه وسلم - :
« لَا تُسَبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ ».

(أَرْشَقُ نَبَلًا مِنْ رُمَاةِ الْحَدَقِ) رُمَاةُ الْحَدَقِ: قوم من العرب، كانوا لجودة رميهم إذا رموا يصيبون سواد العين، واختلف فيهم، فقليل: هم بنو ثعل، وبنو ثعل مشهورون بجودة الرمي، وهم الذين ذكرهم الطُّغْرَائِي في قوله في لامية العجم:

إِنِّي أَرِيدُ طُرُوقَ الْحَيِّ مِنْ إِضْمٍ وَقَدْ حَمَّاهُ رُمَاةٌ مِنْ بَنِي ثَعْلٍ

وقيل: هم القارة، الذين قيل فيهم: "قَدْ أَنْصَفَ الْقَارَةَ مَنْ رَامَاهَا" إذا باريت أحداً في شيء يُحْسِنُهُ فقد أَنْصَفْتَهُ.

لَا تَرْجُونَ صَفْوَ بَدُونٍ كَدَرٍ ١٦٤ فَذَا لَعَمْرُ اللَّهِ لَمْ يَتَّفِقِ

(لَا تَرْجُونَ صَفْوَ) الصفو: الخالص (بَدُونٍ كَدَرٍ فَذَا لَعَمْرُ اللَّهِ) لَعَمْرُ اللَّهِ: قَسَمَ (لَمْ يَتَّفِقِ) أي لم يتأت.

يقول: لا تطمع في خيرٍ مُتَمَحِّضٍ لا كَدَرَ فيه، فإن هذا لم يَتَّهَيْ لأحد.

ثَمَانِيَةٌ تَجْرِي عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ وَلَا بُدَّ لِلْإِنْسَانِ يَلْقَى الثَّمَانِيَةَ

سُرُورٌ وَحُزْنٌ وَاجْتِمَاعٌ وَفُرْقَةٌ وَيُسْرٌ وَعُسْرٌ ثُمَّ سُقْمٌ وَعَافِيَةٌ

لَا تَبْخُلَنَّ بِرَدِّ مَا اسْتَعَرْتَهُ ١٦٥ كَضَائِبِي فَالْبُخْلُ شَرُّ مُوَبِقٍ

البُخْلُ والبُخْلُ (بالضم وبالتحريك): هو منع ما يجب شرعاً أو مروءة، قال في مطهرة

القلوب:

فَمَنْعُ مَا يَجِبُ شَرْعاً أَوْ مُرُوَّةً هُوَ الْبُخْلُ الَّذِي يُذَكَّرُ

والمُوبِقُ: المُهْلِكُ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ [الكهف: ٥٢]، أي مهلكًا يشتركون فيه هو نار جهنم والعياذ بالله.

شَحَّ بَرْدٌ كُلِّبَ صَيْدٍ وَهَجَا ١٦٦ أَرْبَابَهُ ظُلْمًا فَلَمْ يُصَدِّقِ الشُّحُّ: البخل مع الحرص.

وَمَاتَ فِي سِجْنِ ابْنِ عَفَّانَ كَمَا ١٦٧ قَضَى إِلَهُ مِيتَةَ الْمُحْزَرَقِ الْمُحْزَرَقُ: الْمُضَيَّقُ عَلَيْهِ، وفيه لغةٌ بتقديم الراء على الزاي: الْمُحْزَرَقُ.

وَنَجَّلُهُ مِنْ أَجَلِهِ أَجَلُهُ ١٦٨ مِنْ سَطْوَةِ الْحَجَّاجِ لَمْ يَكُنْ وُقِي (وَنَجَّلُهُ) أي وَلَدَهُ (مِنْ أَجَلِهِ) أي بسببه (أَجَلُهُ) أي مدةُ انقضاءِ عُمُرِهِ (مِنْ سَطْوَةِ الْحَجَّاجِ) أي من صولته وبطشه (لَمْ يَكُنْ وُقِي).

أما ضابئُ الذي بَخَلَ بَرْدٌ ما استعاره فهو ضابئُ بن الحارث البرُّجُمي، وكان استعار من بعض بني حنظلة كلبًا يصيد به الأطباء، وقيل: استعاره من قومٍ من الأنصار، فحبسه عنهم، فأخذوه منه قَهْرًا فهجاهم بشعرٍ أَقْدَعَ فيه وَأَفْحَشَ، فَشَكَّوهُ إلى عثمان رضي الله عنه، فعَزَّزَهُ عثمان - رضي الله عنه - وَحَبَسَهُ، وقال: والله لو كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيًّا لنزل فيك قرآن، ومكث ضابئُ في سجن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - إلى أن مات ضابئُ. ولما قُتِلَ عثمان - رضي الله عنه - اقتحم ابن ضابئٍ واسمه عُمَيْرٌ على عثمان - رضي الله عنه - داره، فوجده قد قُتِلَ، فوثب عليه، فكسر ضلعين من أضلاعه، وقال: سجت أبي حتى مات في السجن، ثم أنشد شعره الذي منه قوله:

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَلَائِلُهُ

ثم إن الحجاج بعد ذلك بزمٍ طويلٍ ولي على العراق، وكان بها عمير بن ضابئٍ هذا، وكان قد أَسَنَّ، فَحَثَّ الْحَجَّاجُ النَّاسَ على الخروج؛ لقتال الخوارج مع المهلب بن أبي

صفرة، فتقدم عمير بن ضابئ وقال: أصلح الله الأمير، أنا في هذا البعث، وأنا شيخ كبيرٌ عليلٌ، وابني هذا مكاني، فقال الحجاج: هذا خيرٌ لنا من أبيه، ثم قال: من أنت؟ قال: أنا عمير بن ضابئ. قال: ألسْتَ الذي غزا عثمان بن عفان؟ قال: بلى، قال: يا عدو الله، أفلا إلى عثمان بعثتَ بدلًا، وما حملك على ذلك؟ قال: إنه حبس أبي حتى مات، قال: أولستَ القائل:

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكَذْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَلَالُهُ

إني لأحسب في قتلِكَ صلاحَ المِصرين، وأمرَ به فُقُتِلَ وانْتَهَبَ ماله، ثم أمرَ الحجاجُ مُنَادِيَهُ وقال: ألا إنَّ عُمَيْرًا تأخرَ بعد ثلاث فُقُتِلَ، وَمَنْ تأخَّرَ فَإِنَّ ذِمَّةَ اللَّهِ بريئةٌ منه، فخرج الناس وازدحموا على الجسر خروجا إلى المهلب.

ولَمَّا قُتِلَ عُمَيْرُ بن ضابئ جاء قومه البراجم لينصروه، فلما سمع الحجاج قال: ما هذه الضوضاء؟ فأخبر، فقال: ارمُوا إليهم برأسه، اتَّحِفُّوهُمْ به، ففعلوا، فولَّوا هاربين.

وَاسْتُرَ عَنِ الْحُسَّادِ كُلِّ نِعْمَةٍ ١٦٩ كَمْ فَاضِلٍ بِكَأْسٍ مَكْرِهِمْ سُقْيِي

(وَاسْتُرَ عَنِ الْحُسَّادِ) أي الذين يكرهون نعمة الله عليك (كُلِّ نِعْمَةٍ، كَمْ فَاضِلٍ بِكَأْسٍ

مَكْرِهِمْ سُقْيِي) أي بكأس خداعهم.

فَصَاعِدٌ عَلَى مَدِيحٍ وَرَدَةٍ ١٧٠ أَصْبَحَ مُنْحَطًّا بِقَوْلِ سَهْوَقِ

السَّهْوَقِ: الكَذَّاب، وقد قال الصَّفَدِيُّ في لاميَّته في هذا المعنى:

وَإِنْ أَرَدْتَ نَجَاحًا أَوْ بُلُوغَ مُنَى فَانْكُتُمْ أُمُورَكُمْ عَنْ حَافٍ وَمُتَّعِلِ

وأما الحكاية التي أشار إليها فهي أن صاعداً كان يوماً مع المنصور، فجيء بباكورة ورَدَ

في أولِ إبَّانِها لم يستتم فتح ورقها، فقال فيها صاعداً على البديهة:

أَتَيْتُكَ أَبَا عَامِرٍ وَرَدَةٍ يُذَكِّرُكَ الْمُسْكَ أَنْفَاسَهَا

كَعَذْرَاءٍ أَبْصَرَهَا مُبْصِرٌ فَعَطَّتْ بِأَكْمَامِهَا رَاسَهَا

فَسَّرَ المنصورُ بتلك البديهة، واستحسن ما جاء به وتابعه الحاضرون، وكان أبو القاسم بن العريف حاضراً، فحسده، وتصدَّى لمناقضته، وقال للمنصور: هذان البيتان ليسا له، فقد أنشدنيهما بعضُ البغداديين بمصر للعباس بن الأحنف، وهما عندي على ظهر كتابٍ بخطه. فقال له المنصور: أرنيه، فركب ابن العريف وحرَّكَ دابته، حتى أتى ابنَ بدرٍ، وكان أحسنَ أهلِ زمانه بديهةً، فوصف له ما جرى، فقال بعض الأبيات، ودسَّ فيها بيتي صاعد، وهي من بدائع البدائه، قال:

عَشَوْتُ إِلَى قَصْرِ عَبَّاسَةٍ	وَقَدْ جَدَّلَ النَّوْمُ حُرَّاسَهَا
فَالْفَيْتُهَا وَهِيَ فِي خَدْرِهَا	وَقَدْ صَرَّعَ السُّكْرُ أَنْاسَهَا
فَقَالَتْ: أَسَارٍ عَلَى هَجْعَةٍ	فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَرَمْتُ كَاسَهَا
وَمَدَّتْ يَدَيْهَا إِلَى وَرْدَةٍ	يُذَكِّرُكَ الْمِسْكُ أَنْفَاسَهَا
كَعَذْرَاءٍ أَبْصَرَهَا مُبْصِرٌ	فَغَطَّتْ بِأَكْمَامِهَا رَاسَهَا
وَقَالَتْ: خَفِ اللَّهُ لَا تَفْضَحْنِ	نَ فِي ابْنَةِ عَمِّكَ عَبَّاسَهَا
فَوَلَّيْتُ عَنْهَا عَلَى غَفْلَةٍ	وَمَا خُنْتُ نَاسِي وَلَا نَاسَهَا

فطار بها ابن العريف وعلَّقها على ظهر كتابٍ بخطٍ مصري، بمدادٍ أشقر، ودخل بها على المنصور، فلما رآها اشتد غيظه على صاعد، وانحط قدره عنده، كما قال ابن الونان:

فَصَاعِدٌ عَلَى مَدِيحٍ وَرْدَةٍ ١٧٠ أَصْبَحَ مُنْحَطًّا بِقَوْلِ سَهْوَقِ

ثم إن المنصور اختبر صاعداً بعد ذلك، فتبيَّن له صدقه وكذب خصومه وحساده.

فهذه القصة شاهد على قول الناظم:

وَاسْتُرَ عَنِ الْحُسَّادِ كُلِّ نِعْمَةٍ ١٦٩ كَمْ فَاضِلٍ بِكَأْسٍ مَكْرِهِمْ سُقْيِ

ثم قال:

وَأَفْخَرُ كَفَخَرِ خَالِدٍ بِالْعِيرِ وَالنَّبِ ١٧١ نَفِيرٍ لَا بِحُلَّةٍ مِنْ سَرَقٍ

الْفَخْرُ: التَّمَدُّحُ بالخصال، والعِيرُ: الإِبِلُ تحمل الميرة، ثم غلب على كل قافلة، والنَّفِيرُ: القوم النافرون لِحَرْبٍ أو غيرها، والحُلَّةُ: الثوبان من جنسٍ واحد.

والسَّرَقُ: واحدتها سَرَقَةٌ، وهي القطعة من الحرير، وفي الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليها وسلم - قال لها: «أَرَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، جَاءَنِي بِكَ الْمَلِكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ»، فيقول: «هذه امرأتك فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكَ فَإِذَا أَنْتِ هِيَ، فَأَقُولُ: إِنَّ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمُضِيهِ».

يقول: لا تَفْخَرْ بِالْعَرَضِ الْفَانِي، بل بما هو ثابت راسخ من شرف النفس وكرم الآباء. وقد نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن التفاخر، وأمر بالتواضع، ففي صحيح مسلم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ».

وأول مَنْ قال: "لا في العير ولا في النفير" هو أبو سفيان صخر بن حرب، وذلك أنه لما استنفر قريشاً لحماية عيرها خرجت بعددِها وعددِها، ثم إنه ساحل بالعير وأفلت، فأرسل إليهم يُخَبِّرُهُمْ أنه أَحْرَزَ العير، ويأمرهم بالرجوع، فامتنع أبو جهل، وأبى أن يرجع، وجنى على قريش! فواقعَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - قريشاً وأظفَره الله بهم في بدر.

أما بنو زهرة فلما وصلهم قول أبي سفيان: إني قد أَحْرَزْتُ العير فارجعوا، رَجَعُوا، فصَادَفَهُمْ أبو سفيان قُرْبَ مكة وهم راجعون، فقال لهم: يا بني زهرة، لا في العير ولا في النفير! فأرسلها مثلاً. فقالوا: أنت أرسلت للناس لترجع، فامثلنا أمرك.

وأما خالد فهو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب، وكان من فصحاء قريش، قال له الوليد بن عبد الملك بن مروان مرةً بحضرة أبيه عبد الملك: اسكت يا خالد،

فوالله ما تُعَدُّ في العير ولا في النفير، فقال خالد: اسمع يا أمير المؤمنين! ثم أقبل على الوليد وقال: "ويحك، فمن للعير والنفير غيري! جدي أبو سفيان صاحب العير، وجدي عتبة بن ربيعة صاحب النفير" وعتبة بن ربيعة هو قائد قريش في بدر.

وَاتَّخِذِ الصَّبْرَ دِلَاصًا سَابِغًا ١٧٢ وَبِمَجْنٍ عُمَرٍ لَا تَتَّقِي

(وَاتَّخِذِ الصَّبْرَ دِلَاصًا سَابِغًا) الدَّلَاصُ: الدرع الملساء اللينة البرّاقة، والسَّابِغُ: التام

الضافي الطويل، ومنه قوله تعالى: ﴿أَنْ اَعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾ [سبأ: ١١].

(وَبِمَجْنٍ) المَجْنُ: التُّرس.

(عُمَرٍ) صَرَفَهُ للضرورة.

يقول: تترس بالصبر ولا تترس بمجن عمر، يريد عمر بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، لم يكن في قريش أشعر منه، أما في شعر الغزل فلم يكن في قريش ولا في غيرها مثله، فهو زعيم الغزلين جميعاً.

وليس له شعر في المدح ولا في الهجاء ولا في الفخر، وإنما قصر شعره على ذكر النساء، ولما قال له الخليفة سليمان بن عبد الملك: ما لك لا تمدحنا؟ قال: أنا إنما أمدح النساء! وقد سئل حماد الراوية عن شعره فقال: "ذلك الفُستُقُ المُقَشَّرُ الذي لا يُشْبِعُ منه".

يقال: إنه وُلِدَ في اليوم الذي توفي فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال الناس: أيُّ خيرٍ رُفِعَ، وأيُّ شرٍّ وُضِعَ!

أما خبر مجنّه الذي أشار إليه الناظم في قوله: (وَبِمَجْنٍ عُمَرٍ لَا تَتَّقِي) فهو في أشهر قصائده التي امتازت بالأسلوب القصصي ككثير من قصائده، ذَكَرَ فيها أَنَّهُ زَارَ نَعْمًا فلما طَلَعَ الفجرُ وَهَبَ النَّاسُ مِنْ نَوْمِهِمْ تَعَدَّرَ عَلَيْهِ الخُروجُ، فاستنجدتْ نَعْمٌ بِأَخْتَيْهَا، فاحتلنَ له حيلة: جَعَلَنَّهُ بينهنَّ وهو يلبس لباس النساء، وَخَرَجْنَ به، حتى جاوزنَ به رِحَالَ القوم فنجا.

وقد وصف عمر ليلته تلك في رائيته التي مَطَّلَعُهَا:

أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبَكِّرُ
لِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا
تَهِيمٌ إِلَى نُعْمٍ فَلَا الشَّمْلُ جَامِعُ
وَلَا قُرْبُ نُعْمٍ إِنْ دَنْتَ لَكَ نَافِعُ
غَدَاةَ غَدٍ أَمْ رَائِحُ فَمُهَجَّرُ
فَتُبْلَغُ عُذْرًا وَالْمَقَالَةُ تُعْذِرُ
وَلَا الْحَبْلُ مَوْضُوعٌ وَلَا الْقَلْبُ مُقْصِرُ
وَلَا بُعْدُهَا يُسْلِي وَلَا أَنْتَ تَصْبِرُ

ثم ذكر خبرَ لَيْلَتِهِ تلك فقال:

وَلَيْلَةَ ذِي دُورَانَ جَشَّ مَنِي السُّرَى
وَقَدْ يَجْشِمُ الْهَوْلَ الْمُحِبُّ الْمُغَرَّرُ

إلى أن ذكر خروجه بعد طلوع الفجر، ومِجَنَّتُهُ الذي أشار إليه الناظم في قوله:

فَكَانَ مِجَنِّي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَقِي
ثَلَاثُ شُخُوصٍ كَاعِبَانٍ وَمُعْصِرُ

يقول: إنه جعل أولئك النسوة الثلاث مِجَنَّتُهُ الذي أَتَقَى به عَدُوَّهُ، كما يتقي الرجل في الحرب عَدُوَّهُ بِمِجَنِّهِ الذي هو التُّرْسُ، والناظم بهذا يُحَذِّرُكَ من أن يكون مِجَنُّكَ كَمِجَنِّ عُمَرَ بن أَبِي رِيْعَةَ.

وَأِنْ حَمَلْتَ رَايَةَ الْأَمْرِ فَكُنْ ١٧٣ كَجَعْفَرٍ أَوْ دَعٍ وَلَا تَسْتَبِقِ
قَدْ قُطِعَتْ يَدَاهُ يَوْمَ مُؤْتَةٍ ١٧٤ وَلَمْ يَدْعُهَا لِكَمِيٍّ سَوْحِقِ
لَكِنَّهُ اخْتَضَّهَا حُبًّا لَهَا ١٧٥ فَيَا لَهُ مِنْ سَيِّدٍ مُوَفَّقِ

(وَلَا تَسْتَبِقِ) يقال: اسْتَبَقَ الْقَوْمُ؛ إِذَا تَسَابَقُوا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَسْتَبِقَا الْبَابَ﴾

[يوسف: ٢٥]، ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ [يوسف: ١٧].

(قَدْ قُطِعَتْ يَدَاهُ يَوْمَ مُؤْتَةٍ) أَي يَوْمَ سَرِيَّةِ مُؤْتَةَ، وَقَدْ كَانَتْ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّهُمْ قَتَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَرَضَ لَهُ شَرْحِبِيلُ بْنُ عَمْرٍو الْغَسَّانِي مِنْ أَهْلِ مُؤْتَةَ فَقَتَلَهُ.

فبعث إليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جيشاً وأمر عليهم زيد بن حارثة رضي الله عنه، فإن قُتل فأمرهم جعفر رضي الله عنه، فإن قُتل فأمرهم عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، فقتل الأمراء الثلاثة رضي الله عنهم.

قال أنس - رضي الله عنه - كما في صحيح البخاري: خطب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ»، قال: وإن عينيه لتذرفان «ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَنْ غَيْرِ إِمْرَةٍ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَسُرُّنِي أَوْ قَالَ: مَا يَسُرُّهُمْ أَنَّهُمْ عِنْدَنَا».

(وَلَمْ يَدْعُهَا لِكَمِّي سَوْحَقٍ) الكَمِّي: الشُّجَاعُ الْبَطْلُ، سُمِّيَ كَمِيًّا لِأَنَّهُ مُكْتَمٌ أَي مُسْتَتَرٌّ بسلاحه أي بالذُّرْعِ وَالْبِيضَةِ

(سَوْحَقٍ) السَّوْحَقُ: الطويل.

(لَكِنَّهُ اخْتَضَنَهَا) جعلها في حِضْنِهِ.

يشير إلى ما كان من جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - يوم مؤتة، وقد أبلى في ذلك اليوم بلاءً حسناً، فإنه لما قُتل زيد بن حارثة - رضي الله عنه - أخذ الراية فقاتل بها، حتى إذا أَلَحَمَهُ الْقِتَالُ اقْتَحَمَ عَنْ فَرَسٍ لَهُ شِقْرَاءُ ثُمَّ عَقَرَهَا، وَقَاتَلَ الْقَوْمَ وَهُوَ يَرْتَجِزُ:

يَا حَبَاذَا الْجَنَّةُ وَاقْتِرَابُهَا

طَيِّبَةٌ وَبَارِدٌ شَرَابُهَا

وَالرُّومُ رُومٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا

كَافِرَةٌ بَعِيدَةٌ أَنْسَابُهَا

عَلَيَّ إِذْ لَا قِيَتُهَا ضِرَابُهَا

وقد أخذ الراية بيمينه فُقطعت، فأخذها بشماله فُقطعت، فاحتضنها بعضديه حتى قُتل رضي الله عنه، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء، وهذا الذي أشار إليه الناظم بقوله:

قَدْ قُطِعَتْ يَدَاهُ يَوْمَ مُوتِهِ ١٧٤ وَلَمْ يَدْعَهَا لِكَمِّي سَوْحِقِ
لَكِنَّهُ احْتَضَنَهَا حُبًّا لَهَا ١٧٥ فَيَا لَهُ مِنْ سَيِّدٍ مُوَفَّقِ

يقول: إذا حملت راية الأمر فكن كجعفر - رضي الله عنه - أو دع الراية ولا تحملها.

وَكُنْ إِذَا اسْتُنْجِدْتَ مِثْلَ مَنْ غَرَا ١٧٦ أَرْضِ الْعِدَا بِكُلِّ طَرَفٍ أَبْلَقِ
(اسْتُنْجِدْتَ) طَلَبْتَ مِنْكَ الْإِعَانَةَ.

(بِكُلِّ طَرَفٍ أَبْلَقِ) الطَّرْفُ: الكريم من الخيل، والأَبْلَقُ: ما فيه بياض وسواد.

يشير إلى خبر المعتصم حين بلغه وهو في مجلسه أن امرأة هاشميةً بعموريةً لطمها أحد بطارقة البلدة على وجهها، فاستنجدت به وقالت: وامعتصماه، فقال النصراني: لا يجيء إليك المعتصم إلا على الأبلق، فلما سمع المعتصم ذلك أجابها وهو جالس على سريره: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ. ونهض من ساعته وصاح في قصره: النفير النفير، ونادى أن اجتهدوا في ركوب الخيل البلق، وذكر أنه خرج إلى عمورية في سبعين ألف جوادٍ أبلق، فلم يزل حتى فتح عمورية بعد أن حاصرها زماناً، وتطلّب تلك الهاشمية، فلما حضرت لديه قال: "لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ".

وقد ذكروا أن المعتصم أثناء حصاره عمورية أمسك عن القتال، وكان في معسكره رجل من أهل الدين والصلاح، فقال: ما لأمر المؤمنين أمسك عن القتال؟ فقل: لأن بعض المنجمين أمر بالتأخير، وقال: إن الوقت ليس لك.

فجاء الرجل إلى المعتصم فوقف بين يديه وقال:

دَعِ النُّجُومَ لِطَرْقِيَّيْ عَيْشُ بِهَا وَكُنْ لَوْ قَتَلَكَ وَانْهَضْ أَيُّهَا الْمَلِكُ

إِنَّ النَّبِيَّ وَأَصْحَابَ النَّبِيِّ نَهَوْا عَنِ النُّجُومِ وَقَدْ أَبْصَرْتَ مَا مَلَكَوْا

فقام إلى القتال ففتح الله عليه، وقد خَلَدَهَا أبو تمامٍ بشعره حتى قالوا: كان فتح أبي تمام عَمُورِيَّةَ شعره أعظم من فتح المعتصم لها بجيشه، قال أبو تمام - رحمه الله - في قصيدة طويلة مطلعها قوله: (السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ) أي من كتب المنجمين الذين قالوا: إن الوقت ليس لك، وإنك إذا قاتلت في هذا الوقت لن تنتصر، قال:

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ
بِيضُ الصَّفَائِحِ لَا سُودُ الصَّحَائِفِ فِي
وَالْعِلْمُ فِي شُهْبِ الْأَرْمَاحِ لَامِعَةٍ
أَيْنَ الرِّوَايَةِ بَلْ أَيْنَ النُّجُومِ وَمَا
تَحَرَّصَا وَأَحَادِيثًا مُلَقَّعَةً
فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
بَيْنَ الْخَمِيسَيْنِ لَا فِي السَّبْعَةِ الشُّهُبِ
صَاغُوهُ مِنْ زُخْرَفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ
لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُذْتُ وَلَا غَرَبِ

إلى أن قال في إجابته نداءها:

لَبَّيْتَ صَوْتًا زَبَطَرِيًّا هَرَقْتَ لَهُ
عَدَاكَ حَرُّ الثُّغُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ
أَجَبْتُهُ مُعَلِّنًا بِالسَّيْفِ مُنْصَلِتًا
وَسُمِّ عَدُوُّ الدِّينِ بِالْخَسْفِ وَكُنْ ١٧٧
مِثْلَ أَبِي يُوسُفَ ذِي التَّخَبُّقِ
كَأَسَ الْكَرَى وَرُضَابَ الْخُرْدِ الْعُرْبِ
بَرْدِ الثُّغُورِ وَعَنْ سَلْسَالِهَا الْحَصْبِ
وَلَوْ أَجَبْتَ بغيرِ السَّيْفِ لَمْ تُحِبْ

(وَسُمِّ عَدُوُّ الدِّينِ بِالْخَسْفِ) يقال: سامَهُ خَسْفًا إذا أذاقه الذُّلَّ، قال الله تعالى: ﴿يَسْؤُمُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٤٩] أي يُذيقونكم، ومنه قول عمرو بن كلثوم في معلقته:

إِذَا مَا الْمَلِكُ سَامَ النَّاسَ خَسْفًا
أَيِّنَّا أَنْ نُقَرَّ الذُّلَّ فِينَا

(مِثْلَ أَبِي يُوسُفَ ذِي التَّخَبُّقِ) التَّخَبُّقُ: العلو والارتفاع، وأبو يوسف: هو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، أحد ملوك دولة الموحدين، وصله كتاب من ملك الإِسبَان

يهدده فيه، فَمَزَّقَ الكتابَ وكتبَ على ظهر قطعة منه: "أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ" [النمل: ٣٧] الجواب ما ترى لا ما تسمع".

وتمثّل بيت المتنبي:

وَلَا كُتِبَ إِلَّا الْمَشْرِفِيَّةُ عِنْدَهُ وَلَا رُسُلٌ إِلَّا الْخَمِيسُ الْعَرْمَرُمُ

ثم استنفر جيوشه وسار بها فكسّرهم وبدّد جموعهم.

رَدَّ كِتَابَ مَنْ دَعَاهُ لِلْوَعَى ١٧٨ مِنْهُمْ مُمَزَّقًا لِفَرْطِ الْحَنَقِ

الْحَنَقُ: الغيظ.

وَقَالَ إِنِّي لَا أَجِيبُ بِسَوَى ١٧٩ جَيْشٍ عَرْمَرُمٍ وَخَيْلٍ دُلُقٍ

(جَيْشٍ عَرْمَرُمٍ) العَرْمَرُمُ: الكثير.

(وَخَيْلٍ دُلُقٍ) الدُّلُقُ: شديدة الدفع.

وَضَرَبَ الْفُسْطَاطَ فِي الْحَيْنِ وَقَدْ ١٨٠ أَحَاطَ جَيْشُهُ بِهِمْ كَالشَّوْذَقِ

(وَضَرَبَ الْفُسْطَاطَ) الْفُسْطَاطُ: الخيمة.

(كَالشَّوْذَقِ) الشَّوْذَقُ: السّوار في يد المرأة.

وَكَانَ مَا قَدْ أَبْصَرُوا مِنْ بَأْسِهِ ١٨١ أَبْلَغَ مِنْ جَوَابِهِ الْمُشَبَّرِقِ

الْمُشَبَّرِقُ: المُمَزَّق.

يَا صَاحٍ وَاشْغَلْ فُسْحَةَ الْعُمَرِ بِمَا ١٨٢ يَعْني وَزُرْ غِبًّا رُسُومَ الْعَيْهَقِ

(يَا صَاحٍ) صَاحٍ: ترخيم صاحبٍ على غير قياس، قال الحريري في المُلْحَة:

وَقَوْلُهُمْ فِي صَاحِبٍ يَا صَاحٍ شَذَّ لِمَعْنَى فِيهِ بِاصْطِلَاحٍ

(وَاشْغَلْ فُسْحَةَ الْعُمَرِ) يُقَالُ: شَغَلَ يَشْغُلُ، وَالْأَمْرُ مِنْهُ: اشْغَلْ، أَمَا الرَّبَاعِي: اشْغَلَ يُشْغَلُ

اشْغَلَ فَلَغَةً رَدِيئَةً، قَالَ الزَّيْدِيُّ فِي تَاجِ الْعُرُوسِ: "لَا يُعْرَفُ لِأَحَدٍ الْقَوْلُ بِجَوْدَتِهَا عَنْ إِمَامٍ مِنْ

أئمة اللغة".

وذكر الصفي في صحيح التصحيح عن صاحب بن عبّاد أنه وقف له كاتب وقال له: "إن رأى مولاي إشغالي في شيء أرتزق به" فقال صاحب: "من يقول إشغالي لا يصلح لأشغالي".

(فُسْحَةُ العُمُر) فُسْحَةُ العُمُر: بَقِيَّتُهُ، وأصل الفسحة: السَّعة.

حَثَّ - رحمه الله - على ملء الوقت بما تُحَمَّد عاقبته، وعلى مجانبة اللعب وتضييع الوقت، ولبعض العلماء في صباه وقد بلغ خمس عشرة سنة:

أَبْعَدَ بُلُوغِي خَمْسَ عَشْرَةَ أَلْعَبُ	وَأَلْهُو بِلَذَاتِ الْحَيَاةِ وَأَطْرَبُ
وَلِي نَظَرٌ عَالٍ وَنَفْسٌ أَيْيَةٌ	مَقَامًا عَلَى هَامِ الْمَجَرَّةِ تَطْلُبُ
وَعِنْدِي آمَالٌ أُرِيدُ بُلُوغَهَا	تَضِيعُ إِذَا لَاعَبْتُ دَهْرِي وَتَذْهَبُ
وَلِي أُمَةٌ مَنكُودَةٌ الْحَظُّ لَمْ تَجِدْ	سَبِيلًا إِلَى الْعَيْشِ الَّذِي تَتَطَلَّبُ
عَلَى أَمْرِهَا أَنْفَقْتُ دَهْرِي تَحْسُرًا	فَمَا طَابَ لِي طَعْمٌ وَلَا لَذٌّ مَشْرَبُ
وَلَا رَاقَ لِي نَوْمٌ وَإِنْ نِمْتُ سَاعَةً	فَإِنِّي عَلَى جَمْرِ الْغَضَا أَتَقَلَّبُ

(وَزُرْ غِبًّا رُسُومَ الْعَيْهَقِ) الغِبُّ: أَنْ تَرِدَ الْإِبِلُ الْمَاءَ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، قال ابن مالك في "الإعلام": (وَالْوَرْدُ بَعْدَ التَّرْكِ يَوْمًا غِبًّا).

وفي الحديث: «زُرْ غِبًّا تَزِدْ حُبًّا».

(رُسُومَ الْعَيْهَقِ) الرُّسُومُ: جَمْعُ رَسَمٍ وَهُوَ مَا لَا شَخْصَ لَهُ مِنْ آثَارِ الدِّيارِ.

وَرُسُومُ الْعَيْهَقِ: مَظَانُّ النِّشَاطِ وَاللَّهْوِ وَمَنَازِلُهُمَا.

بعد أن حَثَّ على الجِدِّ واغتنام فُسْحَةِ العُمُرِ بما تُحَمَّد عاقبته قال: (وَزُرْ غِبًّا رُسُومَ

الْعَيْهَقِ) لَمْ يَحْسِمِ مَادَّةَ اللّهُو، وَإِنَّمَا رَخَّصَ لَكَ مِنْ ذَلِكَ بِمَا تَسْتَجِمُّ بِهِ نَفْسُكَ لِتَرَاجِعَ الْعَمَلِ

بجِدِّ، وقد قال الناظم:

وَرَوْحَ الْقَلْبِ بِذِكْرِ الطُّرْفِ فَإِنَّ ذَلِكَ صَنِيعُ السَّلَفِ

وفي هذا المعنى يقول أبو الفتح البُستِي:

أَفِدْ طَبْعَكَ الْمَكْدُودَ بِالْجِدِّ رَاحَةً وَلَكِنْ إِذَا أُعْطِيَتهُ الْمَرْحَ فَلْيَكُنْ
يَجِمَّ وَعَلَّلهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَرْحِ بِمِقْدَارِ مَا تُعْطِي الطَّعَامَ مِنَ الْمَلْحِ

وقال الحافظ العراقي في ألفية الحديث:

وَاسْتُحْسِنَ الْإِنْشَادُ فِي الْأَوَاخِرِ بَعْدَ الْحِكَايَاتِ مَعَ النَّوَادِرِ

ومما ورد عن السلف في ذلك أن ابن عباسٍ -رضي الله عنهما- كان إذا أفاض في القرآن والسنن، قال لمن عنده: "أَحْمِضُوا بِنَا" أي خوضوا فيما يُؤنس من الأشعار والأخبار التي تُروِّح النفس.

وقال عليٌّ -رضي الله عنه-: "أَجْمُوا هذه القلوب، وابتغوا لها طرائف الحكمة، فإنها تَمَلُّ كما تَمَلُّ الأبدان".

وكان الزهري يقول: "هَاتُوا من أشعاركم، هَاتُوا من أحاديثكم؛ فإن الأذن مَجَّاجَةٌ، وإن النفس حَمِضَةٌ".

وقد حَدَّثَ حماد بن زيد مرةً بأحاديث ثم قال: "خذوا في أبزار الجنة" قالوا: فَحَدَّثَنَا بالحكايات، أي خذوا في الحكايات التي تكون للعلم النافع المُوَصِّل إلى الجنة كالأبزار في الطعام، تُطَيِّبُهُ، وتُشَهِّيه، وتُشَوِّقُ النفس إليه.

وقال مالك بن دينار: "الحكايات تحف أهل الجنة".

سؤال: شيخنا، قلت: سرية مؤتة، هل يوجد فرق بين السرية والغزوة؟

الجواب: نعم، فَرَقَ بين السرية والغزوة والبعث، فَرَّقَ بعض العلماء بينها بأنَّ:

- الغزوة: ما شهدته النبي - صلى الله عليه وسلم - مما فيه قتال.
 - والسرية: ما لم يشهده النبي - صلى الله عليه وسلم - مما فيه قتال.
 - والبعث: قوم يبعثهم النبي - صلى الله عليه وسلم - للدعوة إلى الله.
- قال الشيخ سيلوم الشنقيطي في احمرار نظم الغزوات:

وَبَعْضُهُمْ فَرَّقَ بَعْدَ الْبَحْثِ بَيْنَ السَّرِيَّةِ وَبَيْنَ الْبَعْثِ
فَالْبَعْثُ مَا بَعَثَ طَهَ الْوَالِي يَدْعُو إِلَى الدِّينِ بِإِلَاقَتَالِ
وَإِنْ يَكُنْ خُلَاصَةُ الْبَرِّيَّةِ أَمَرَ بِالْقِتَالِ فَالسَّرِيَّةِ
أَمَّا إِذَا بَنَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ خَرَجَ فَالْغَزَاةُ، خُذْ تَعْرِيفَهُ
وَابْنُكَ عَلَى ذَنْبٍ وَقَلْبٍ قَدْ قَسَا ١٨٣ كَالصَّخْرِ مِنْ هَوَاهُ لَمْ يَسْتَفِقِ
بِمُقْلَةٍ كَمُقْلَةِ الْخَنَسَاءِ إِذْ ١٨٤ بَكَتْ عَلَى صَخْرٍ بِإِلَاقَتَرْفِقِ
(بِمُقْلَةٍ) الْمُقْلَةُ: شَحْمَةُ الْعَيْنِ سَوَادُهَا وَبَيَاضُهَا.

يقول: ابنك على ذنوبك وقسوة قلبك كبكاء الخنساء على أخيها صخر.

قال مالك بن دينار: "ما ضربَ عبدٌ بعقوبةٍ أعظمَ من قسوة القلب".

وفي الموطأ عن مالك أنه بلغه أن عيسى بن مريم كان يقول: "لا تُكثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ فَتَقْسُو قُلُوبَكُمْ؛ فَإِنَّ الْقَلْبَ الْقَاسِيَ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ، وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ، وَلَا تَنْظُرُوا فِي ذُنُوبِ النَّاسِ كَأَنَّكُمْ أَرْبَابٌ وَانظُرُوا فِي ذُنُوبِكُمْ كَأَنَّكُمْ عِبِيدٌ فَإِنَّمَا النَّاسُ مُبْتَلَى وَمُعَافَى؛ فَارْحَمُوا أَهْلَ الْبَلَاءِ، وَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى الْعَافِيَةِ".

أما الخنساء فهي ثُمَاضِرُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، صَحَابِيَّةٌ، وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالشَّعْرِ عَلَى أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ امْرَأَةً قَطُّ قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا أَشْعَرَ مِنْهَا، وَكَانَ بَشَارُ بْنُ بُرْدٍ

يقول: لم تقل امرأةً شعرًا إلا تبين الضعف فيه. ف قيل له: فالخنساء؟ قال: تلك التي غلبت الفحول!

تُماضِرُ أَرْقى شَواعِرِ العَرَبِ أَحْزَنُ مَنْ بَكَى وَأَرْضى مَنْ نَدَبُ
تِلْكَ الَّتِي غَلَبَتِ الفُحُولَ وَأَبْكَتِ الطُّلُولَ وَالْحُلُولَ

وقد كان لها أخوان: معاوية وصخر، وكان معاوية أخاها لأبيها وأمها ومات قبل صخر، فرثته بمراث كثيرة، منها قولها:

أَرِيقِي مِنْ دُمُوعِكَ وَأَسْتَفِيقِي وَصَبْرًا إِنْ أَطَقْتَ وَلَنْ تُطِيقِي
وَقُولِي إِنَّ خَيْرَ بَنِي سُلَيْمٍ وَفَارِسَهُمْ بِصَخْرَاءِ العَقِيقِ
فَبَكَّيْهِ فَقَدْ وَلَّى حَمِيدًا أَصِيلَ الرَّأْيِ مَحْمُودَ الصَّدِيقِ
فَلَا وَاللَّهِ لَا تَسْلَاكَ نَفْسِي لِفَاحِشَةٍ أَتَيْتَ وَلَا عُقُوقِ
وَلَكِنِّي رَأَيْتَ الصَّبْرَ خَيْرًا مِنْ النِّعْلَيْنِ وَالرَّأْسِ الحَلِيقِ

ثم مات بعد ذلك أخوها لأبيها صخر؛ فأنستها مُصِيبَتُهَا به مُصِيبَتُهَا بمعاوية، وقالت فيه

مراثي كثيرة، منها قولها تصفُ حالها وقد حملوه على النعش وذهبوا به:

وَقَائِلَةٍ وَالنَّعْشُ قَدْ فَاتَ خَطْوَهَا لِتُدْرِكَهُ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى صَخْرٍ
أَلَا ثَكَلْتُ أُمَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِهِ إِلَى الْقَبْرِ مَاذَا يَحْمِلُونَ إِلَى الْقَبْرِ

ومن شعرها فيه قولها:

قَدْىَ بَعَيْنِكَ أُمُّ بِالْعَيْنِ عَوَّارُ أُمُّ ذَرَفَتْ إِذْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ
كَأَنَّ عَيْنِي لِذِكْرَاهُ إِذَا خَطَرَتْ فَيُضْ يَسِيلُ عَلَى الخَدَّيْنِ مِذْرَارُ

إلى أن تقول:

وَإِنْ صَخْرًا لَوَالِنَا وَسَيِّدَنَا
وَإِنْ صَخْرًا لَتَأْتُمُّهُدَاهُ بِهِ

وَإِنْ صَخْرًا لَوَالِنَا وَسَيِّدَنَا
وَإِنْ صَخْرًا لَتَأْتُمُّهُدَاهُ بِهِ

وقالت فيه أيضًا:

أَلَا تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَى
أَلَا تَبْكِيَانِ الْفَتَى السَّيِّدَا
سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدَا
إِلَى الْمَجْدِ مَدَّ إِلَيْهِ الْيَدَا
مِنَ الْمَجْدِ ثُمَّ غَدَا مُضْعِدَا
وَإِنْ كَانَ أَصْغَرَهُمْ مَوْلِدَا
تَأَزَّرَ بِالْمَجْدِ ثُمَّ ارْتَدَى

أَعَيْنِي جُودًا وَلَا تَجْمُدَا
أَلَا تَبْكِيَانِ الْجَرِيءَ الْجَمِيلَ
طَوِيلَ النِّجَادِ رَفِيعَ الْعِمَادِ
إِذَا الْقَوْمُ مَدُّوا بِأَيْدِيهِمْ
فَنَالَ الَّذِي فَوْقَ أَيْدِيهِمْ
يُكَلِّفُهُ الْقَوْمُ مَا عَالَهُمْ
وَإِنْ ذَكَرَ الْمَجْدُ أَلْفَيْتَهُ

وقال الشيخ المختار بن حامدن الشنقيطي - رحمه الله - يرثي بعض العلماء:

صَخْرٌ وَلَا الْبَثُّ مِنْ مَعْرِوْفَةِ الْخَنْسِ
وَلَادَةٌ وَلِيَالِي وَضَلِ أَنْدَلُسُ
فِينَا وَلَا عَشْرَ الْمِعْشَارِ مِنْ خُمْسِ

فَمَا أَسَى بِنْتِ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ عَلَى
وَلَا حَنِينُ ابْنِ زَيْدُونَ الْأَدِيبِ إِلَى
يَوْمًا بِبَالِغِ شِسْعِ النَّعْلِ مِنْ جَزَعِ

أَوْ كَبْكَا فَارَعَةَ عَلَى الْوَلِيِّ ١٨٥ دِ وَبُكَاءٍ خَنْدِفٍ وَخَرْنِقِ

جمع في هذا البيت بين لغة المد والقصر في البكاء، قال: (أَوْ كَبْكَا) فقَصَرَهُ، وقال:

(وَبُكَاءٍ) فَمَدَّهُ، والمشهور: أنه مما يُقْصَرُ وَيُمَدُّ باتحاد المعنى، وهو آخر كلمة ذكرها ابن

مالك - رحمه الله - في منظومته تُحْفَةُ المودود في المقصور والممدود.

وقد جمع اللغتين أيضًا كعبُ بنُ مالكٍ في أبياتٍ تُنسَبُ له في رثاء حمزة وتُنسَبُ لحَسَّان

ولعبدالله بن رواحة رضي الله عنهم، وهؤلاء الثلاثة هم شعراء النبي صلى الله عليه وسلم:

حَسَّانُ عَبْدُ اللَّهِ ثُمَّ كَعْبُ
ثَلَاثَةٌ هُمْ شُعْرَا الرَّسُولِ
سُوَّاسُ مَجْدِ نَارِهِ لَا تَخْبُو
أَشَدُّ فِي الْعِدَا مِنَ النَّصُولِ

وقال السيوطي - رحمه الله -:

وَشُعْرَاءُ الْمُصْطَفَى ذُو الشَّانِ
ابْنُ رَوَاحَةَ وَكَعْبُ حَسَّانِ

قال:

بَكَتْ عَيْنِي وَحُقَّ لَهَا بُكَاهَا
وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلَا الْعَوِيلُ

الشاهد: أنه قصرها في قوله: (بُكَاهَا)، ومدّها في قوله: (الْبُكَاءُ).

عَلَى أَسَدِ الْإِلَهِ غَدَاةٌ قَالُوا
أَحْمَزَةُ ذَاكُمُ الرَّجُلُ الْقَتِيلُ

قال الشيخ محمد مولود الشنقيطي - رحمه الله - في نظم الكفاف:

وَمُدَّةٌ وَقْصُرٌ وَقِيلَ الْمَدُّ
لِلصَّوْتِ لِلسَّالِمِ مِنْهُ الضُّدُّ

(وَمُدَّةٌ وَقْصُرٌ) أي مع اتحاد المعنى وهو المشهور (وَقِيلَ الْمَدُّ لِلصَّوْتِ لِلسَّالِمِ مِنْهُ

الضُّدُّ) البُكَاءُ لما كان بصوت، والبُكى لما كان بلا صوت، وهذا له أصلٌ في الصرف وهو أن

وزن (فُعَالٍ) يأتي للصوت كما قال ابن مالك: (لِلدَّاءِ فُعَالٌ أَوْ لَصَوْتٍ) نحو: الرُّغَاءُ والصُّرَاخُ

والحُداء، لكن المشهور الأول وأنه لا فرق بين البُكاء والبُكى.

أما فارعة فهي فارعة بنت طريف أخت الوليد بن طريف الخارجي المشهور، خرج في

خلافة هارون الرشيد، فوجه إليه الرشيد عدّة أمراء، فقضى عليهم واحداً بعد واحد، فوجه

إليه يزيد بن مزيّد الشيباني، فلما اضطفّ الجيشان، وشبّت الحرب نادى يزيد بن مزيّد قائلاً:

يا وليد، ما حاجتُك إلى التَّسْتُرِ بالرجال ابْرُزْ إليّ، فقال: نعم والله، فبرز إليه، ووقف

العسكران، فلم يتحرك من العسكرين أحد، فتطاردا ساعةً، وكلُّ منهما لا يَقْدِرُ على صاحبه،

حتى مضت ساعاتٌ من النهار، فَأَمَكَنْتُ يَزِيدَ مِنْهُ فُرْصَةً، فَضَرَبَ رِجْلَهُ فَسَقَطَ وَصَاحَ يَزِيدُ بِخَيْلِهِ، فَوَقَعُوا عَلَيْهِ وَاحْتَزُّوا رَأْسَهُ.

فخرجت أخت الوليد فارعةُ التي ذكرها ابن النونان، فجعلت تَحْمِلُ على الناس، فعُرِفَتْ، فقال يزيد: دَعُوها، ثم خرج إليها فَضَرَبَ بِالرُّمَحِ قِطَاةَ فَرَسِهَا، ثم قال: "اغْرِبِي فَقَدْ فَضَحْتَ الْعَشِيرَةَ" فَاسْتَحْيَتْ وانصرفت، وهي تُنْشِدُ في رثاء أخيها:

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ
فَتَى لَا يَعُدُّ الزَّادَ إِلَّا مِنَ التُّقَى وَلَا الْمَالَ إِلَّا مِنْ قَنَا وَسُيُوفٍ
فَقَدْ نَاكَ فَقْدَانُ الشَّبَابِ وَلَيْتَنَا فَدَيْنَاكَ مِنْ فِتْيَانِنَا بِأُلُوفٍ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَقَفَّافٍ إِنِّي أَرَى الْمَوْتَ وَقَاعًا بِكُلِّ شَرِيفٍ

هذا قول الناظم: (أَوْ كَبْكَأَ فَارِعَةُ عَلَى الْوَلِيدِ) ثم قال: (وَبُكَاءِ خِنْدِفٍ وَخِرْنُقٍ).

أما خِنْدِفٌ فهي زوجُ إلياس بن مُضَرٍّ من أجداد نبينا -صلى الله عليه وسلم-، وأما خبر بُكَائِهَا، فهو أنها لَمَّا مَرَضَ زوجها إلياس وَجَدَتْ لَذْلَكَ وَجَدًّا شَدِيدًا، وَنَذَرَتْ إِنْ هَلَكَ أَلَا تُقِيمَ ببلدٍ مات فيه، وَأَلَّا يُظَلَّلَهَا بَيْتٌ بَعْدَهُ، وَأَنْ تَسِيحَ فِي الْأَرْضِ، وَحَرَّمَتِ الرِّجَالَ وَالطُّيْبَ، فلما هلك إلياس خَرَجَتْ سَائِحَةً فِي الْأَرْضِ حَتَّى هَلَكَتْ حُزْنًا، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الْخَمِيسِ، فَكَانَتْ كُلَّمَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ بِكَتَّةٍ حَتَّى تَغِيبَ، فَصَارَتْ خِنْدِفٌ وَمَا صَنَعَتْ عَجَبًا فِي النَّاسِ يَتَحَدَّثُونَ بِهِ.

وأما خِرْنُقٌ فهي خِرْنُقُ بِنْتِ هَفَّانٍ (بفتح الهاء وكسرهما)، وهي أختُ طَرْفَةَ بْنِ الْعَبْدِ الشَّاعِرِ لِأُمِّهِ، وَقَدْ اشْتَهَرَتْ بِرِثَائِهَا لِزَوْجِهَا عَمْرِو بْنِ مَرْتَدٍ، وَابْنِهَا عُلْقَمَةُ بْنُ عَمْرِو، وَأَخْوِيهَا حَسَانٌ وَشُرْحَبِيلٌ، وَمِمَّا قَالَتْهُ فِيهِمْ:

لَا يَبْعَدُنَ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ سُمُّ الْعُدَاةِ وَأَفَّةُ الْجُزْرِ

النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ وَالطَّيِّبِينَ مَعَاقِدَ الْأُزْرِ

وهذا البيت على رواية: (النَّازِلِينَ) بالياء من شواهد النُّحاة على قطع النعت، وروي بالرفع ولا شاهد فيه.

وقالت في رثاء أخيها طرفة بن العبد:

عَدَدَنَا لَهُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ حِجَّةً
فَجِئْنَا بِهِ لَمَّا رَجَوْنَا إِيَابَهُ
فَلَمَّا تَوَفَّاهَا اسْتَوَى سَيِّدًا ضَحْمًا
عَلَى خَيْرِ حَالٍ لَا وَلِيدًا وَلَا قَحْمًا
القَحْمُ: الرجل المتناهي في السن.

وَكُنْ مُتَمِّمًا بُكَامُتَمِّمٍ ١٨٦ عَلَى الذُّنُوبِ وَارْجُ عَفْوَ مُعْتِقٍ

مُتَمِّمٌ بِنُ نُؤَيْرَةَ التَّمِيمِيِّ صَاحِبِي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَهُوَ صَاحِبُ الْمَرَاثِي الْحِسَانِ فِي أَخِيهِ مَالِكٍ، وَهُوَ الْقَائِلُ:

وَكُنَّا كَنَدْمَانِي جَذِيمَةً حِقْبَةً
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا
مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَّصِدَا
لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا

ومن شعره قوله:

لَقَدْ لَامَنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبُكََا
فَقَالَ: أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ
رَفِيقِي لِتَذَرَفِ الدُّمُوعِ السَّوَاغِ
فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ الشَّجَا يَبْعَثُ الشَّجَا
لِقَبْرِ ثَوَى بَيْنَ اللَّوَى فَالِدَكَادِكِ
فَدَعَنِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ

وأكثر شعره في رثاء أخيه مَالِكٍ ومنه قوله:

جَمِيلُ الْمُحَيَّا ضَاحِكٌ عِنْدَ ضَيْفِهِ
وَقُورٌ إِذَا الْقَوْمُ الْكَرَامُ تَقَاوَلُوا
أَغْرُ جَمِيعِ الرَّأْيِ مُشْتَرِكُ الرَّحْلِ
فَحُلْتُ حُبَاهُمْ وَاسْتَطِيرُوا مِنَ الْجَهْلِ

وَكُنْتُ إِلَى نَفْسِي أَشَدَّ حَلَاوَةً مِنْ الْمَاءِ بِالْمَازِيٍّ مِنْ عَسَلِ النَّحْلِ
وَكُلُّ أَخٍ فِي النَّاسِ بَعْدَ ابْنِ أُمِّهِ كَسَاقِطَةٍ إِحْدَى يَدَيْهِ مِنَ الْخَبْلِ
وَبَعْضُ الرِّجَالِ نَحْلَةٌ لَا جَنَى لَهَا وَلَا ظِلٌّ إِلَّا أَنْ تُعَدَّ مِنَ النَّحْلِ
المازِيّ: العسل الأبيض.

يُحْكِي أَنْ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ لَهُ: وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَحْسِنُ الشَّعْرَ، فَأَرِثِي أَخِي زَيْدًا
بِمِثْلِ مَا رَثَيْتَ بِهِ أَخَاكَ، وَقَدْ اسْتُشْهِدَ زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فِي الْيَمَامَةِ، فَقَالَ لَهُ
مُتَمِّمٌ: "لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَخِي صَارَ حَيْثُ صَارَ أَخُوكَ مَا رَثَيْتُهُ"، فَقَالَ عُمَرُ: "مَا عَزَّانِي أَحَدٌ عَنْ
أَخِي بِمِثْلِ مَا عَزَّيْتَنِي بِهِ".

وَيُرْوَى أَنَّ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ لِلْحُطَيْئَةِ: هَلْ رَأَيْتِ أَوْ سَمِعْتِ بَأْبَكِي مِنْ هَذَا؟
فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ، مَا بَكَى بُكَاءَهُ عَرَبِيٌّ قَطُّ وَلَا يَبْكِيهِ!
وَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ الْمُخْتَارُ بْنُ حَامِدٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فِي رِثَائِهِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ عَلِيِّ وَلَدِ
عَبْدِالْوَدُودِ يُخَاطَبُ أَبْنَاءَهُ:

وَكَانَ أَبُوكُمْ مَالِكِي وَابْنُ مَالِكِي فَلَا عُذْرَ لِي إِلَّا أَكُونُ مُتَمِّمًا
(وَكَانَ أَبُوكُمْ مَالِكِي) أَيُّ شَيْخِي فِي الْفَقْهِ (وَابْنُ مَالِكِي) أَيُّ شَيْخِي فِي النَّحْوِ (فَلَا عُذْرَ لِي
إِلَّا أَكُونُ مُتَمِّمًا) أَيُّ لَا عُذْرَ لِي إِلَّا أَبْكِيهِ كَمَا بَكَى مُتَمِّمٌ أَخَاهُ مَالِكًا.

وَكَُنْ خَمِيصَ الْبَطْنِ مِنْ زَادِ الرَّبَا ١٨٧ وَخَمْرَةَ التَّقْوَى اصْطَبِخْ وَاعْتَبِقْ
(خَمِيصَ الْبَطْنِ) الْخَمِيصُ: هُوَ الضَامِرُ الْبَطْنِ.

(مِنْ زَادِ الرَّبَا) مِنَ الرَّبَا وَكُلِّ مُحَرَّمٍ.

(وَخَمْرَةَ التَّقْوَى اصْطَبِخْ وَاعْتَبِقْ) الْإِصْطَبَاحُ: شُرْبُ الصَّبُوحِ، وَهُوَ مَا يُحْلَبُ وَيُشْرَبُ مِنَ
اللَّبَنِ فِي الصَّبَاحِ، وَالْإِعْتَبَاقُ: شُرْبُ الْغُبُوقِ، وَهُوَ مَا يُحْلَبُ وَيُشْرَبُ مِنَ اللَّبَنِ بِالْعَشِيِّ.

هذا من قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧]، وقد قال الأعشى

مَيْمُونُ بْنُ قَيْسٍ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي يَمْدَحُ فِيهَا النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ التَّقَى وَلَا قَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا

نَدِمْتَ عَلَى أَلَّا تَكُونَ كَمِثْلِهِ فَتُرْصِدَ لِلْمَوْتِ الَّذِي كَانَ أَرْصَدَا

وَحَصَّلَ الْعِلْمَ وَزِنَهُ بِالتَّقَى ١٨٨ وَسَائِرَ الْأَوْقَاتِ فِيهِ اسْتَغْرَقَ

(وَحَصَّلَ الْعِلْمَ) أَيِ اطْلُبْهُ.

(وَزِنَهُ بِالتَّقَى) فَالتَّقْوَى زِينَةُ الْعِلْمِ كَمَا قَالَ ابْنُ الْوَرْدِيِّ: (وَجَمَالُ الْعِلْمِ إِصْلَاحُ الْعَمَلِ).

(وَسَائِرَ الْأَوْقَاتِ فِيهِ اسْتَغْرَقَ) أَيِ اسْتَغْرَقَ كُلَّ وَقْتِكَ فِي الْعِلْمِ؛ وَضَعُ ابْنُ الْوَنَانِ -رَحِمَهُ

اللَّهُ- كَلِمَةَ (سَائِرَ) مَوْضِعَ (جَمِيعَ)، وَالصَّحِيحُ فِي اللُّغَةِ: أَنَّ سَائِرَ الشَّيْءِ بَاقِيهِ، وَعَلَيْهِ جَمْهُورُ

أُئِمَّةِ اللُّغَةِ وَأَرْبَابِ الْإِشْتِقَاقِ خِلَافًا لِلْجَوْهَرِيِّ الَّذِي جَعَلَ كَلِمَةَ (سَائِرَ) بِمَعْنَى (جَمِيعَ).

وَلَيْكَ قَلْبُكَ لَهُ أَفْرَغَ مِنْ ١٨٩ حَجَّامٍ سَابَاطٍ وَمَنْ لَمْ يَعْشَقِ

(سَابَاطٍ) مَوْضِعٌ فِي الْمَدَائِنِ بِفَارَسٍ.

وَحَجَّامٌ سَابَاطٌ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْفِرَاقِ، وَكَانَ مِنْ خَبَرِهِ أَنَّهُ كَانَ حَجَّامًا مُلَازِمًا لِسَابَاطِ

الْمَدَائِنِ، فَإِذَا مَرَّ بِهِ جُنْدٌ قَدْ ضُرِبَ عَلَيْهِمُ الْبَعْثُ حَجَّمَهُمْ نَسِيئَةً بَدَانَتْ إِلَى وَقْتِ قِفُولِهِمْ.

وَالدَّائِقُ: يُطْلَقُ عَلَى سِدْسِ الدِّينَارِ وَالْدَّرْهِمِ وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ يَحْجُمُهُمُ بِالشَّيْءِ التَّافِ

الْحَقِيرِ وَنَسِيئَةً أَيْضًا! وَهُمْ خَارِجُونَ لِلْغَزْوِ قَدْ لَا يَعُودُونَ! وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ يَمُرُّ عَلَيْهِ الْأُسْبُوعُ

وَالْأُسْبُوعَانِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْنُو مِنْهُ أَحَدٌ، فَكَانَ يُخْرِجُ أُمَّهُ فَيَحْجُمُهَا لِيُرِيَ النَّاسَ أَنَّهُ غَيْرُ فَارِغٍ،

فَمَا زَالَ ذَلِكَ دَأْبَهُ حَتَّى نَزَفَ دَمُ أُمِّهِ فَمَاتَتْ فَجَاءَةً، فَصَارَ فِرَاقُ ذَلِكَ الْحَجَّامِ مِثْلًا.

وَكَذَا يُضْرَبُ الْمَثَلُ بِفِرَاقِ قَلْبٍ مِنْ لَمْ يَعْشَقِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

لَا يَعْرِفُ الشَّوْقُ إِلَّا مَنْ يُكَابِدُهُ وَلَا الصَّابَاةُ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهَا

وَلَا تَكُنْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى وَاضْطَبِرْ ١٩٠ لَكَدَّهُ وَلِلْمَلَالِ طَلَّقِ
(لَكَدَّهُ) أَيِ لَتَعَبِهِ.

يقول: لا تكن ملولاً كقوم موسى -عليه السلام- أعطاهم الله المَنَّ والسلوى فملُّوها وقالوا: ﴿لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ [البقرة: ٦١] فصار يُضْرَبُ بهم المثل في المَلَالِ وقلة الصبر.

وَقَوْمُ مُوسَى فِي الزَّمَانِ الْبَائِدِ لَمْ يَصْبِرُوا عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ
يقول: أثبت على طريق العلم، وطلّق الملل.

قَالَتْ مَسَائِلُ سَخُنُونِ لِقَارِئِهَا
لَا يُدْرِكُ الْعِلْمَ بَطَّالٌ وَلَا كَسِلٌ
بِالْكَدِّ تُدْرِكُ مِنْهُ كُلُّ مَا اسْتَرَا
وَلَا مَلُولٌ وَلَا مَنْ يَأْلَفُ الْبَشَرَا

وُخِّصَ عِلْمَ الْفِقْهِ بِالدَّرْسِ وَكُنْ ١٩١ كَاللَّيْثِ أَوْ كَأَشْهَبِ الْعُتْقِي
(وُخِّصَ عِلْمَ الْفِقْهِ) وهو علمُ الحلال والحرام.

(كَاللَّيْثِ) هو اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ الْفَهْمِي، إمام أهل مصر في الفقه والحديث، وكان من الأجياد الكرماء، ذكر ابن خَلِّكَانُ أَنْ دَخَلَهُ كُلَّ سَنَةٍ كَانَ خَمْسَةَ آلَافِ دِينَارٍ، وَكَانَ يُفَرِّقُهَا فِي الصَّلَاتِ وَغَيْرِهَا.

(أَوْ كَأَشْهَبِ) هو أَبُو عَمْرٍو أَشْهَبُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، انْتَهَتْ إِلَيْهِ رِئَاسَةُ الْفِقْهِ فِي مِصْرَ بَعْدَ مَوْتِ ابْنِ الْقَاسِمِ -رَحِمَهُمُ اللَّهُ-، شَهِدَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ لَهُ بِالْفِقْهِ، قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ: "أَشْهَبُ أَفْقَهُ مِنْ ابْنِ الْقَاسِمِ مِائَةَ مَرَّةً".

(وَالْعُتْقِي) هو أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ الْقَاسِمِ الْعُتْقِي، أَثْبَتَ النَّاسُ فِي الْإِمَامِ مَالِكٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَقْوَالِهِ، صَحِبَهُ عَشْرِينَ سَنَةً، وَتَفَقَّهَ بِهِ وَبِنْطُرَائِهِ، قَالَ فِيهِ الْإِمَامُ مَالِكٌ: "مِثْلُهُ كَمِثْلِ جِرَابٍ مَمْلُوءٍ مِسْكَاً" وَقَدْ أَوْصَاهُ الْإِمَامُ مَالِكُ بِنَشْرِ الْعِلْمِ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهُ رَأَاهُ أَهْلًا لَذَلِكَ.

وهذا حثٌّ من الناظم على تعلم الفقه، والفقه من أجل العلوم، وأعظمها فائدة، وقد قيل للإمام مالك: ما تقول في العلم؟ قال: "حسنٌ جميل، ولكن انظر الذي يلزمك من حين تُصبح إلى حين تُمسي فالزمه" وهذا شأنُ الفقه، قال ابن الوردي - رحمه الله -:

وَالْعُمُرُ عَنْ تَحْصِيلِ كُلِّ عِلْمٍ يَقْصُرُ فَأَبْدَأْ مِنْهُ بِالْأَهَمِّ
وَذَلِكَ الْفِقْهُ فَإِنْ مِنْهُ مَا لَا غِنَى فِي كُلِّ حَالٍ عَنْهُ

وقال ابن الجوزي في صيد خاطره: "الفقه عليه مدارُ العلوم"، ثم قال: "فإن اتسع الزمانُ للتزَيُّدِ فليكن في التفقه فإنه الأنفع".

وَفِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ إِنْ لَمْ تَكُنْ ١٩٢ مِثْلَ الْبُخَارِيِّ فَكُنْ كَالْبَيْهَقِيِّ

الْبُخَارِيُّ: هو الإمام محمد بنُ إسماعيلَ الْبُخَارِيُّ المعروفُ صاحبُ الصحيح.
وَالْبَيْهَقِيُّ: هو الإمام أبو بكرٍ أحمد بنُ الْحُسَيْنِ الْبَيْهَقِيُّ صاحبُ التصانيفِ في الحديث.
وهذا حثٌّ مِنَ النَّاطِمِ عَلَى الْعَنَاءِ بِعِلْمِ الْحَدِيثِ، وَعِلْمُ حَدِيثِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عِلْمٌ رَفِيعُ الْقَدْرِ شَرِيفُ الذِّكْرِ، وَكَفَى أَهْلَهُ فَضْلًا وَشَرَفًا قَوْلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها، ثُمَّ أَذَاهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا، فَرُبَّ حَامِلٍ فَقِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ».

وقال سفيان الثوري - رحمه الله - : لَا أَعْلَمُ عِلْمًا أَفْضَلَ مِنْ عِلْمِ الْحَدِيثِ لِمَنْ أَرَادَ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى.

وقد قال الزهري: لصاحبٍ له: أَيُعْجِبُكَ الْحَدِيثُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُعْجِبُ ذُكُورَ الرِّجَالِ وَيَكْرَهُهُ مُؤَنَّثُوهُمْ.

دِينَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ أَخْبَارُ نَعَمْ الْمَطِيَّةُ لِلْفَتَى الْآثَارُ
لَا تَرْغَبَنَّ عَنِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ فَالرَّأْيُ لَيْلٌ وَالْحَدِيثُ نَهَارُ

وَلَرَبَّمَا جَهَلَ الْفَتَى أَثَرَ الْهُدَى وَالشَّمْسُ بَاذَغَةٌ لَهَا أَنْوَارُ

وللخطيب البغدادي - رحمه الله - كتاب نفيس في هذا المعنى اسمه: شَرَفُ أَصْحَابِ

الحديث.

فَالْعِلْمُ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَى لَهُ ١٩٣ فَضْلٌ فَبَشِّرْ حَزْبَهُ شَرًّا وَوَقِي

علامة إرادة الله بعبده الخير أن يوفقه لطلب العلم، قال - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ يُرِدْ

اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».

والكلامُ عن فضل العلمِ وشرفِهِ وشَرَفِ أهْلِهِ كثير، وَمِنْ أَحْسَنِ مَنْ تَكَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ: ابن القيم - رحمه الله تعالى - في صدر كتابه مفتاح دار السعادة، فإنه ساق فيه أكثر من مئة وخمسين وجهًا، في بيان فضل العلم وشرفه ووجوه ذلك وآثاره، فأمتع وأطرب وأتى بكل بديع، قال الشيخ حافظ الحكمي في الميمية:

يَا طَالِبَ الْعِلْمِ لَا تَبْغِي بِهِ بَدَلًا
وَقَدِّسِ الْعِلْمَ وَاعْرِفْ قَدْرَ حُرْمَتِهِ
وَاجْهَدْ بِعَزْمٍ قَوِيٍّ لَا انْتِثَاءَ لَهُ
وَقَالَ فِيهَا أَيْضًا:

الْعِلْمُ أَعْلَى وَأَخْلَى مَا لَهُ اسْتَمَعَتْ
الْعِلْمُ غَايَتُهُ الْقُصْوَى وَرُتْبَتُهُ الْـ
الْعِلْمُ أَشْرَفُ مَطْلُوبٍ وَطَالِبُهُ
الْعِلْمُ نُورٌ مُبِينٌ يَسْتَضِيءُ بِهِ
الْعِلْمُ أَعْلَى حَيَاةٍ لِلْعِبَادِ كَمَا
أُذُنٌ وَأَعْرَبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمٍ
عَلِيَاءُ فَاسْعَوْا إِلَيْهِ يَا أُولِي الْهِمَمِ
لِلَّهِ أَكْرَمُ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ
أَهْلِ السَّعَادَةِ وَالْجُهَّالِ فِي الظُّلَمِ
أَهْلُ الْجَهَالَةِ أَمْوَاتٌ بِجَهْلِهِمْ

تَحُزُّ فَخَارَ النُّبُوَّةِ
خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةِ

اغْكُفْ عَلَى الْكُتُبِ وَادْرُسْ
فَاللَّهُ قَالَ لِيُخَيَّرِ

وَاعْنِ بِقَوْلِ الشُّعْرِ فَالشُّعْرُ كَمَا ١٩٤ لِّلْفَتَى إِنَّ بِهِ لَمْ يَرْتَزِقِ

تقول: عُنِيْتُ بأمر فلان إذا شُغِلَتْ به بالبناء للمفعول، هذا هو الأكثر، والأمر منه: لِيُغْنِ بِحَاجَتِي أَي: لِيَتَكُنْ حَاجَتِي شَاغِلَةً لِسِرِّكَ، وربما بنوه للفاعل، ومنه قول الناظم: (وَاعْنِ بِقَوْلِ الشُّعْرِ).

والشُّعْرُ: هو الكلام العربي الموزون المُقَفَّى قَصْداً، كما قال في مُجَدِّدِ الْعَوَافِي:

الشُّعْرُ مَوْزُونُ الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ مَعَ قَصْدٍ وَزْنِهِ بِوَزْنِ الْعَرَبِ

(فَالشُّعْرُ كَمَا لِّلْفَتَى) أي زيادةً فَضْلاً له (إِنَّ بِهِ لَمْ يَرْتَزِقِ) إذا لَمْ يَرْتَزِقْ بِهِ بِأَنْ يَقْصِدَ ذَوِي الْجَاهِ وَيَمْدَحَهُمْ بِشَعْرِهِ حَتَّى يُعْطُوهُ، فهذا من ابتذال الشعر، والشُّعْرُ إنما يكون كمالاً إذا كَانَ تَأَدُّبًا لَا تَكْسِبًا.

(بِهِ) فِي قَوْلِهِ: (إِنَّ بِهِ لَمْ يَرْتَزِقِ) تُقْرَأُ بِالِاخْتِلَاسِ لِلْوَزْنِ.

وَكأنَّ النَّاضِمَ نَاضِرٌ إِلَى قَوْلِ ابْنِ الْوَرْدِيِّ:

وَأَنْظِمِ الشُّعْرَ وَلَا زِمَ مَذْهَبِي فِي أَطْرَاحِ الرَّفْدِ فَالدُّنْيَا أَقْلُ

وَفِي رَوَايَةٍ: (فِي أَطْرَاحِ الرَّفْدِ لَا تَبْغِ النَّحْلَ).

فَهُوَ عُتْوَانٌ عَلَى الْفَضْلِ وَمَا أَحْسَنَ الشُّعْرَ إِذَا لَمْ يُتَيَذَّلْ

وَالشُّعْرُ لِلْمَجْدِ نَجَادُ سَيْفِهِ ١٩٥ وَلِلْعُلَا كَالْعِقْدِ فَوْقَ الْعُنُقِ

(وَالشُّعْرُ لِلْمَجْدِ) الْمَجْدُ: الشَّرَفُ.

(نَجَادُ سَيْفِهِ) نَجَادُ السَّيْفِ: حَمَائِلُهُ.

(وَلِلْعَلَا كَالْعِقْدِ فَوْقَ الْعُنُقِ) الْعِقْدُ: القِلَادَةُ الَّتِي تُجْعَلُ فِي الْعُنُقِ.

يقول: إن المجد والشرف للإنسان مثل السيف الذي يصول به على أعدائه، والشعرُ بمنزلة علاقة ذلك السيف، وقوله هذا مأخوذٌ من قول المعري:

أَرَى الْمَجْدَ سَيْفًا وَالْقَرِيضَ نِجَادَهُ وَلَوْلَا نِجَادُ السَّيْفِ لَمْ يُتَقَلَّدِ
وَخَيْرُ حِمَالَاتِ السُّيُوفِ حِمَالَةٌ تَحَلَّتْ بِأَبْكَارِ الشَّاءِ الْمُخَلَّدِ

وفي معناه قول أبي تمام:

وَلَوْلَا خِلَالُ سَنِّهَا الشُّعْرُ مَا دَرَى بُغَاةُ الْعُلَا مِنْ أَيْنَ تُؤْتَى الْمَكَارِمُ

فَقُلُّهُ غَيْرَ مُكْثَرٍ مِنْهُ وَلَا ١٩٦ تَعَبًا بِقَوْلِ جَاهِلٍ أَوْ أَحْمَقٍ

(فَقُلُّهُ) قُلُّ الشُّعْرِ وَاعْنَنَ بِحِفْظِهِ وَدِرَاسَتِهِ وَنَظْمِهِ (غَيْرَ مُكْثَرٍ مِنْهُ) فَإِنَّ الْإِكْثَارَ مِنْهُ وَجَعَلَهُ دَيْدَنًا رُبَّمَا شَغَلَ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَا أَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ رَجُلٍ قَيْنًا يَرِيهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا».

(قَيْنًا يَرِيهِ) أَيُّ يُفْسِدُ جَوْفَهُ. وَالْإِفْرَاطُ فِي كُلِّ شَيْءٍ مَذْمُومٌ، وَالْمَحْمُودُ الْإِعْتِدَالُ.

(وَلَا تَعَبًا بِقَوْلِ جَاهِلٍ أَوْ أَحْمَقٍ) أَيُّ لَا تُبَالٍ بِهِ.

وَإِنْ تَكُنْ مِنْهُ عَقِيمَ فِكْرَةٍ ١٩٧ فَاعْنَنَ بِجَمْعِ شَمْلِهِ الْمُفْتَرِقِ

(وَإِنْ تَكُنْ مِنْهُ عَقِيمَ فِكْرَةٍ) أَيُّ لَا يَجْرِي الشُّعْرُ عَلَى لِسَانِكَ، وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُولَ مِنْهُ شَيْئًا.

(فاعْنَنَ بِجَمْعِ شَمْلِهِ الْمُفْتَرِقِ) فاعْتَنَ بِحِفْظِ الْمُتَقَيِّ الْمُتَخَيَّرِ مِنَ الشَّعْرِ الْعَالِي؛ فَإِنَّ

الْكَلَامَ مِنَ الْكَلَامِ أَيُّ الْكَلَامُ الَّذِي تَقُولُهُ وَتَكْتُبُهُ مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي تَحْفَظُهُ، فَإِذَا حَفِظْتَ الشُّعْرَ الْعَالِي جَادَتْ قَرِيحَتُكَ بِمِثْلِهِ، وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ:

وَأَرَى الْقَوَافِي لَا تَصِيرُ مُطِيعَةً إِلَّا عَلَى الْمُثَرِّينَ مِنْ أَدَوَاتِهَا

وَالطَّبْعُ لَيْسَ بِمُقْنِعٍ إِلَّا إِذَا حَصَلَتْ إِضَافَتُهُ إِلَى آلَتِهَا

مَا عَابَهُ إِلَّا عَيْيٌ مُفْحَمٌ ١٩٨ لِعَرَفِهِ الذِّكْيِ لَمْ يَسْتَنْشِقِ

(مَا عَابَهُ) ما عاب الشعر (إِلَّا عَيْيٌ) العيي: الذي لا يُفصح (مُفْحَمٌ) المُفْحَم: الذي لا يُقدِّر أن يقول الشعر (لِعَرَفِهِ) العرف: الرائحة طيبة كانت أو غير طيبة، وأكثر استعماله في الرائحة الطيبة، وقد فُسِّرَ به قوله تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٦]، قيل: طيبها لهم، والقول الآخر: أنه من المعرفة (الذِّكْيِ) الذِّكْي: الساطع الريح (لَمْ يَسْتَنْشِقِ) لَمْ يَشَم. مقصوده: أنه لا يعيب الشعر عيباً مطلقاً إلا من يعجز عنه، كالثعلب الذي رأى عنقود العنب، فحاول أن يصل إليه، فلما لم يستطع قال عنه: إنه حامض.

كَمْ حَاجَةٌ يَسَّرَهَا وَكَمْ قَضَى ١٩٩ بِفِكَ عَانٍ وَأَسِيرٍ مُوْتَقٍ

(كَمْ) للتكثير.

(وَأَسِيرٍ مُوْتَقٍ) أي مشدود في وثاقه، قال تعالى: ﴿فَشُدُّوا الوثاق﴾ [محمد: ٤].

يقول: كم حاجة تيسرت بالشعر، وقد قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: "من أفضل ما أعطيته العرب الأبيات يُقدمها الرجل أمام حاجته يستعطف بها الكريم ويستنزل بها اللئيم".

مِنْ خَيْرٍ مَا قَدْ أُعْطِيَتْهُ الْعَرَبُ تَقْدِيمُهَا بَيْنَ يَدَيَّ مَا تَطْلُبُ

أَبْيَاتٍ شَعْرُ تُنْهَضُ الْكَرِيمَا وَتَسْتَمِيلُ الْكَاشِحَ اللَّئِيمَا

وشواهد ما ذكره الناظم - رحمه الله - من تيسير الشعر للحاجات، بل وصيانته للدماء واستعطافه المُستشيط غيظاً حتى يُطفئ جَمْرَةَ غضبه كثيرة جداً من ذلك:

▪ خَبَرُ تَمِيمٍ بْنِ جَمِيلٍ مَعَ الْمُعْتَصِمِ، وَقَدْ كَانَ تَمِيمٌ بْنُ جَمِيلٍ خَرَجَ عَلَى الْمُعْتَصِمِ، واجتمع عليه كثير من الأعراب، فعظم أمره وشاع ذكره، حتى قيل: إِنَّ الْمُعْتَصِمَ حَلَفَ أَنَّهُ إِنْ

ظَفَرَ بِهِ لَيَقْتُلَنَّهُ بِيَدِهِ، لَا يَكِلُ قَتْلَهُ إِلَى سِيَّافٍ وَلَا إِلَى غَيْرِهِ، ثُمَّ إِنَّ تَمِيمًا قَمِعَ، وَجِيءَ بِهِ أَسِيرًا
بَيْنَ يَدَيِ الْمُعْتَصِمِ، وَدَخَلَ تَمِيمٌ حِينَ دَخَلَ عَلَى الْمُعْتَصِمِ ثَابِتَ الْجَنَانِ غَيْرَ دَهْشٍ وَلَا وَجَلٍ،
كَأَنَّهُ مَدْعُوٌّ إِلَى وَلِيمَةٍ لَا إِلَى قَتْلِ! فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ دَعَا الْمُعْتَصِمُ بِالنُّطْعِ وَالسِّيفِ - وَالنُّطْعُ:
الْبَسَاطُ مِنَ الْأَدِيمِ يُوَضَعُ تَحْتَ مَنْ يُرَادُ قَتْلُهُ - وَرَأَى الْمُعْتَصِمُ أَنَّ يَسْتَنْطِقُهُ لِيَنْظُرَ أَيْنَ جَنَانُهُ
وَلِسَانُهُ مِنْ هَذَا الثَّبَاتِ الَّذِي رَأَاهُ مِنْهُ، فَقَالَ: يَا تَمِيمُ، إِنْ كَانَ لَكَ عُذْرٌ فَأَتِ بِهِ أَوْ حُجَّةٌ فَأَدِلْ بِهَا،
فَقَالَ تَمِيمٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الذُّنُوبَ تُخْرِسُ الْأَلْسِنَةَ الْفَصِيحَةَ، وَتَصْدَعُ الْقُلُوبَ
الصَّحِيحَةَ، وَلَقَدْ عَظُمَتِ الْجَرِيرَةُ، وَكَبُرَ الذَّنْبُ، وَسَاءَ الظَّنُّ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عَفْوُكَ أَوْ انتِقَامُكَ،
وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ أَقْرَبَهُمَا مِنْكَ وَأَسْرَعَهُمَا إِلَيْكَ أَوْ لَاهُمَا بِامْتِنَانِكَ وَأَشْبَهُهُمَا بِخَلَائِقِكَ، ثُمَّ
أَنْشَأَ يَقُولُ ارْتِجَالًا:

أَرَى الْمَوْتَ بَيْنَ السِّيفِ وَالنُّطْعِ كَأَمَّا	يُلاحِظُنِي مِنْ حَيْثُمَا أَتَلَفْتُ
وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي	وَأَيُّ أَمْرِي مِمَّا قَضَى اللَّهُ يُفْلِتُ
وَأَيُّ أَمْرِي يَأْتِي بِعُذْرٍ وَحُجَّةٍ	وَسَيْفُ الْمَنَآيَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُضَلَّتْ
وَمَا جَزَعَنِي أَنِّي أَمُوتُ وَإِنِّي	لَأَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ شَيْءٌ مُوقَّتُ
وَلَكِنْ خَلَفِي صَبِيَّةٌ قَدْ تَرَكَتْهُمْ	وَأَكْبَادُهُمْ مِنْ حَسْرَةٍ تَتَفَتَّتْ
كَأَنِّي أَرَاهُمْ حِينَ أُنْعَى إِلَيْهِمْ	وَقَدْ خَمَشُوا تِلْكَ الْوُجُوهَ وَصَوَّتُوا
فَإِنْ عِشْتُ عَاشُوا آمِنِينَ بِغِبْطَةٍ	أَذُودُ الرَّدَى عَنْهُمْ وَإِنْ مِتُّ مَوْتُوا

فَتَبَسَّمَ الْمُعْتَصِمُ، وَقَالَ: كَادَ وَاللَّهِ يَا تَمِيمُ أَنْ يَسْبِقَ السِّيفُ الْعَدْلَ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ الصَّبْوَ
وَتَرَكَتْكَ لِلصَّبِيَّةِ.

ويقال: إنه ولَّاهُ عَلَى الْمَدِينَةِ الَّتِي خَرَجَ فِيهَا عَلَيْهِ، فَنَالَ بِلِسَانِهِ مَا لَمْ يَنْلِهِ بِسِنَانِهِ!

وَكَمْ أَدِيبٌ عَادَ كَالنُّطْفِ غَنَى ٢٠٠ وَكَانَ أَفْقَرًا مِنَ الْمُنْذَلِقِ

يقول: كَمْ مِنْ أَدِيبٍ أَثَرَى بَعْدَ فَقْرِهِ بِسَبَبِ آيَاتٍ قَالَهَا.

(كَالنَّطْفِ) اسمه النَّطْفُ بوزن كَتَفٍ، وكلُّ كَلِمَةٍ على وزن فَعِلٍ فإنه يجوز فيها فَعْلٌ وفِعْلٌ سواء أكانت اسمًا أم فِعْلاً، نحو: الخَضِرُ يجوز أن تقول فيه: الخَضِرُ والخِضِرُ، وكذلك النَّطْفُ يجوز أن تقول فيه: النَّطْفُ، والنَّطَفُ.

هو النَّطْفُ بْنُ الْخَيْبَرِيِّ مِنْ بَنِي يَرْبُوعٍ مِنْ تَمِيمٍ، كَانَ مُقِيمًا فِي قَوْمِهِ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فِي الْبَادِيَةِ، وَكَانَ بَاذَنَ عَامِلٍ كَسَرَى عَلَى الْيَمَنِ يَحْمِلُ مَالًا عَظِيمًا وَيُرْسِلُهُ إِلَى كَسَرَى، فَأَرْسَلَ فِي بَعْضِ السَّنِينَ عِيرًا تَحْمِلُ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْمَالِ، فَلَمَّا تَوَسَّطُوا بِلَادَ بَنِي يَرْبُوعٍ أَغَارُوا عَلَيْهِمْ، فَحَصَلَ النَّطْفُ عَلَى شَيْءٍ كَثِيرٍ مِنْ ذَلِكَ، فَضَرَبَ النَّاسُ الْمَثَلَ بِمَا أَصَابَ، فَقِيلَ: أَهْنَأُ مِنْ كَنْزِ النَّطْفِ، وَصَارَ كَنْزُهُ مَثَلًا فِي كُلِّ رَغِيْبَةٍ وَعَلَقِيْ نَفِيسٍ، يُقَالُ: لَوْ كَانَ عِنْدَهُ كَنْزُ النَّطْفِ مَا عَدَا. يُحْكَى أَنَّهُ جَلَسَ يَوْمًا يُعْطِي الْفُقَرَاءَ مِنْ قَوْمِهِ مِنْذُ طَلَعَتِ الشَّمْسُ إِلَى أَنْ غَرَبَتْ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ بَعْضُ وَلَدِهِ:

أَبِي النَّطْفُ الْمُبَارِي الشَّمْسُ إِنِّي عَرِيقٌ فِي السَّمَاحَةِ وَالْمَعَالِي

(وَكَانَ أَفْقَرَ مِنَ الْمُذَلَّقِ) الْمُذَلَّقُ بوزن الْمُعْظَمِ: رَجُلٌ يُضْرَبُ بِهِ وَبَابُهُ الْمَثَلُ فِي الْفَقْرِ، يُقَالُ: "أَفْلَسُ مِنَ الْمُذَلَّقِ" وَيُقَالُ: "أَفْلَسَ مِنْ ابْنِ الْمُذَلَّقِ"، يُقَالُ فِي اسْمِهِ: الْمُذَلَّقُ بِالذَّالِ وَالْمُذَلَّقُ بِالذَّالِ. وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ تَمِيمٍ كَانَ شَدِيدَ الْفَقْرِ، لَمْ يَكُنْ يَجِدُ فِي بَيْتِهِ قُوْتَ لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَكَانَ أَبُوهُ وَأَجْدَادُهُ يُعْرِفُونَ بِالْفَقْرِ وَالْإِفْلَاسِ، وَفِيهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

فَإِنَّكَ إِذْ تَرْجُو تَمِيمًا وَنَفْعَهَا كَرَا جِي النَّدَى وَالْعُرْفَ عِنْدَ الْمُذَلَّقِ

وَكَمْ حَدِيثٍ جَاءَنَا بِفَضْلِهِ ٢٠١ عَنْ سَيِّدِ عَنِ الْهَوَى لَمْ يَنْطِقِ

من ذلك: قوله -صلى الله عليه وسلم- كما في البخاري: «إن من الشعر حكمة».

وَقَدْ تَمَثَّلَ بِهِ وَكَانَ مِنْ ٢٠٢ أَصْحَابِهِ يَسْمَعُهُ فِي الْحَلَقِ

الحِلَقُ: جَمْعُ حَلَقَةٍ لِلْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ مُسْتَدِيرِينَ.

وجوانب عناية الإسلام بالشعر كثيرة، لم يقف الأمر عند سماع النبي -صلى الله عليه وسلم- للشعر، والإذن بإنشاده، بل كان -صلى الله عليه وسلم- يَتَمَثَّلُ بالشعر ويُثْنِي على جيده، ويتأثر به، وكان يُنشدُه ويستنشده ويوظفه في خدمة الدين، وفي شد العزائم، ويتخذُه وسيلةً لمُخاطبة الوفود، ويبحث عن الكفاءات الشعرية، ويكشفُ عن المواهب.

من ذلك ما أشار إليه الناظم في قوله: (وَقَدْ تَمَثَّلَ بِهِ) يُقال: تَمَثَّلَ الْبَيْتَ وبِالْبَيْتِ إذا أنشده، ومن تَمَثَّلَهُ -صلى الله عليه وسلم- بالشعر الذي أشار إليه الناظم: تَمَثَّلَهُ بَيْتَ طَرْفَةٍ، في المُسْنَدِ من حديث عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا اسْتَرَاثَ الْخَبَرَ تَمَثَّلَ فِيهِ بَيْتَ طَرْفَةٍ: (وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ)».

وفي الصحيحين عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ، كَلِمَةُ لَبِيدٍ: (أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ)».

وَتَمَثَّلَ أَيْضًا عند حفر الخندقِ ببيتٍ لعبدالله بن رواحة رضي الله عنه، في الصحيحين عن البراء بن عازبٍ - رضي الله عنهما- أنه قال: "رَأَيْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ الْخَنْدَقِ يَنْقُلُ مَعَنَا التُّرَابَ، وَهُوَ يَقُولُ:

وَاللَّهِ لَوْ لَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا
وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَالَيْنَا
فَأَنْزَلَنَ سَكِينَةً عَلَيْنَا
وَوَبَّاتِ الْأَقْدَامِ إِنْ لَا قَيْنَا
وَالْمُشْرِكُونَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا
وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

وفي رواية للبُخاري: قَالَ: ورفع بها صَوْتَهُ «أَبِينَا، أَبِينَا»، أي كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يَرْفَعُ صَوْتَهُ بهذه الكلمة الأخيرة، وهي لابن رواحة رضي الله عنه.

ومن ذلك أيضًا ما في الصحيحين عن جُنْدُبِ بنِ سُفيان -رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ فِي بَعْضِ الْمَشَاهِدِ -أي الغزوات- وَقَدْ دَمِيتُ إِضْبَعُهُ، فَقَالَ:

«هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِضْبَعٌ دَمِيتِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ»

والبيت لابن رواحة رضي الله عنه.

قال: (وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ يَسْمَعُهُ فِي الْحِلَقِ) كان -صلى الله عليه وسلم- يَسْمَعُ الشَّعْرَ

من أصحابه، وَيَتَأَثَّرُ بِهِ.

أَثَرَفِيهِ الشَّعْرُ لَمَّا أَنْشَدَا يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا

لَمَّا تَظَاهَرَتْ قَرِيشٌ مع بني بكرٍ على خُزاعة، وَأَصَابُوا مِنْهُمْ ما أَصَابُوا، ونَقَضُوا ما كانَ بينهم وبين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من العهد والميثاق الذي كان في صَلَاحِ الحُدَيْبِيَّةِ بما اسْتَحَلُّوا من خُزاعة، وكانت خُزاعة في عَقْدِ النبي -صلى الله عليه وسلم- وعهده، خرج عمرو بن سالم الخُزاعي -رضي الله عنه- حتى قَدِمَ على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المدينة، فوقف عليه والنبي -صلى الله عليه وسلم- جالسٌ في المسجد بين ظَهْرَانِي الناس، فقال:

يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا

حَلَفَ أَبِينَا وَأَيْبِهِ الْأَتْلَدَا

قَدْ كُنْتُمْ وُلَدًا وَكُنَّا وَالِدَا

ثُمَّتَ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا

فَأَنْصُرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَعْتَدَا

وَادْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَا تُتَوَا مَدَدَا
فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا
إِنْ سِيمَ خَسَفًا وَجْهَهُ تَرَبَّدَا
فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزْبَدَا
إِنْ قُرَيْشًا أَخْلَفُواكَ الْمَوْعِدَا
وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمَوْكِدَا
وَجَعَلُوا إِلِي فِي كَدَاءٍ رُصَّدَا
وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا
وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقْلَلُ عَدَدَا
هُمْ بَيِّتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّدَا
وَقَتَلُونَا رُكَّعًا وَسُجَّدَا

فَقَالَ -صلى الله عليه وسلم-: «نَصِرْتَ يَا عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ» وكان من أثر ذلك فتح مكة.
ومن سماعه -صلى الله عليه وسلم- للشعر سماعه لقصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير،
وسماعه أبيات قتيلة، وسماعه أبيات النابغة الجعدي، وسيشير الناظم إلى ذلك كله.

وَقَدْ بَنَى الْمُنْبَرَ لِابْنِ ثَابِتٍ ٢٠٣ فَكَانَ لِلْإِنْشَادِ فِيهِ يَرْتَقِي

عند أبي داود عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يضع لحسان منبراً في المسجد، فيقوم عليه يهجو من قال في رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ رُوحَ الْقُدْسِ مَعَ حَسَّانَ، مَا نَافَحَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن عمر - رضي الله عنه - مرَّ بحسَّانٍ - رضي الله عنه - وهو يُنشدُ في المسجد فلَحَظَ إليه، فقال: قد كنت أنشد وفيه من هو خيرُ منك، ثم التفت إلى أبي هريرة - رضي الله عنه - فقال: أنشدك الله أسمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «أَجِبْ عَنِّي اللَّهُمَّ أَيَّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» قال: اللهم نعم.

وَقَالَ لِابْنِ أَهْتَمٍ فِي مَدْحِهِ ٢٠٤ وَذَمِّهِ لِلزَّبْرِقَانِ الْأَسْمَقِ

(الْأَسْمَقِ) مِنَ السَّمُوقِ وَهُوَ الْعُلُو، يُقَالُ: سَمَقَ سُمُوقًا إِذَا عَلَا وَطَالَ، والمرادُ علو المنزلة.

مَقَالَةٌ خَتَمَهَا بِقَوْلِهِ ٢٠٥ إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةً تَقِي

يروى أَنَّ الزَّبْرِقَانَ بْنَ بَدْرٍ وَعَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ قَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فقال الزبرقان: يا رسول الله، أنا سيِّدُ بني تميم، والمُطَاعُ فيهم، والمُحَبَّبُ لديهم، وأَمْنَعُهُم من الظلم، وأَخْذُ لَهُم حَقُوقَهُمْ، وهذا يعلم - يعني: عمرو بن الأهتم -، فقال عمرو بن الأهتم: إِنَّهُ لَشَدِيدُ الْعَارِضَةِ، مانِعٌ لَجَانِبِهِ، مُطَاعٌ فِي أَدْنِيهِ، فقال الزبرقان: والله يا رسول الله لقد عَلِمَ مِنِّي أَكْثَرَ مِمَّا قَالَ، وما منعه إِلَّا الحسد. فقال عمرو: أنا أحسدك، فوالله إنك للئيم الخال، حديث المال، أحمق الوالد، مضيعُ العشيرة، والله يا رسول الله لقد صدقت في الأولى، وما كذبت في الآخرة، ولكني رجلٌ رَضِيتُ فَقُلْتُ أَحْسَنَ مَا عَلِمْتُ، وَسَخِطْتُ فَقُلْتُ أَقْبَحَ مَا عَلِمْتُ، ولقد صدقت في الأولى والآخرة جميعاً.

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا». أخرجهُ الطبرانيُّ في الأوسط والحاكمُ في المُستدرِكِ، وقال ابن كثيرٍ في "البداية والنهاية" بعد أن ساق الخبر بإسناده: "هذا إسنادٌ غريبٌ جداً". لكنه ختمها بقوله: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا» لا بقوله: «إِنْ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةٌ». والناظم - رحمه الله - قال:

مَقَالَةً خَتَمَهَا بِقَوْلِهِ ٢٠٥ إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةً تَقِي

وقد سبق أنه -صلى الله عليه وسلم- ختمها بقوله: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا»، وفي هذه القصة لم يُنشد شعراً أصلاً حتى يقول: «إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةٌ»!

وقد سبق قوله -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ حِكْمَةٌ» في البخاري.

وَعِنْدَمَا سَمِعَ مِنْ قُتَيْلَةَ ٢٠٦ رِثَا قُتَيْلِهَا الَّذِي لَمْ يُعْتَقِ

رَدَّ لَهَا سَالِبَهُ وَقَدْ بَكَى ٢٠٧ شَفَقَةً بِدَمْعِهِ الْمُنْطَلِقِ

قُتَيْلَةُ بِنْتُ النُّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ -وقيل: هي أخت النضر- بعثت إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد غزوة بدر بأبياتٍ في النضر بن الحارث، وقد كان النضر بن الحارث شيطاناً من شياطين قُريش، روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن كل آية فيها وصف القرآن بأنه أساطير الأولين فإنها نزلت فيه، وقيل: إنه نزل فيه:

□ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَّ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا

أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣١].

□ وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنْ

السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

□ وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ [الحج: ٣]

قيل: هو النضر بن الحارث.

□ وقوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١] قيل: هو النضر بن الحارث.

□ وقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ

لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرُهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الجاثية: ٧-٨] قيل: هو النضر بن الحارث.

□ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ [لقمان: ٦] قيل: هو النضر بن الحارث.

كان النضر بن الحارث يؤذي النبي - صلى الله عليه وسلم - وينصب له العداوة، وقد كان قدِمَ الحيرة وتعلم فيها أحاديث ملوك الفُرس، وأحاديث رستم واسبنديار وأضرابهما، فكان إذا جلس النبي - صلى الله عليه وسلم - مجلسًا فذكر فيه بالله، وحذر قومه مما أصاب من قبلهم من الأمم من نعمة الله خلفه في مجلسه إذا قام ثم قال: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثًا منه؛ فهلّم إليّ أحدثكم بأحسن من حديثه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس، ثم يقول: لماذا مُحَمَّدٌ أحسن حديثًا مني!

ولم يقتل المسلمون من أسرى بدرٍ إلا رجلين هما: عقبة بن أبي مُعيط، والنضر بن الحارث هذا، وكلاهما كان شيطانًا من شياطين قريش، والشاهد من هذا كُلِّه أنه لَمَّا قُتِلَ النضر قالت قَتِيلَةُ تَرْثِيهِ:

يَا رَاكِبًا إِنَّ الْأَيْلَ مَظْنَّةُ	مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مَوْفَقُ
أَبْلَغُ بِهَا مَيْتًا بِأَنَّ تَحِيَّةُ	مَا إِنْ تَزَالَ بِهَا النَّجَائِبُ تَخْفِقُ
مِنِّي إِلَيْكَ وَعَبْرَةٌ مَسْفُوحَةٌ	جَادَتْ بِوَاقِفِهَا وَأُخْرَى تَخْنُقُ
هَلْ يَسْمَعَنَّ النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ	أَمْ كَيْفَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ لَا يَنْطِقُ
ظَلَّتْ سُيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنْوُشُهُ	لِلَّهِ أَرْحَامٌ هُنَاكَ تَشَقُّقُ
قَسْرًا يُسَاقُ إِلَى الْمَنِيَّةِ مُتَعَبًا	رَسَفَ الْمُقَيَّدُ وَهُوَ عَانٍ مُوثَقُ
أَمَحَمَّدٌ يَا خَيْرَ ضِرْنٍ كَرِيمَةٍ	فِي قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ
مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّمَا	مَنْ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيظُ الْمُخَنَقُ
أَوْ كُنْتَ قَابِلَ فِدْيَةٍ فَلَنَأْتِيَنَّ	بِأَعَزِّ مَا يَغْلُو لَدَيْكَ وَيَنْفُقُ
فَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَسْرَتْ قَرَابَةُ	وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِتْقٌ يُعْتَقُ

ذكر ابن عبد البر أن الأبيات لَمَّا بلغت النبي - صلى الله عليه وسلم - بكى حتى أخضلت

الدموع لحيته، وقال: «لَوْ بَلَغَنِي شَعْرُهَا قَبْلَ أَنْ أَقْتُلَهُ مَا قَتَلْتُهُ». وإلى هذا أشار الناظم بقوله:

وَعِنْدَمَا سَمِعَ مِنْ قُتِيلَةٍ ٢٠٦ رِثَا قَتِيلِهَا الَّذِي لَمْ يُعْتَقِ

رَدَّ لَهَا سَلْبَهُ وَقَدْ بَكَى ٢٠٧ شَفَقَةً بِدَمْعِهِ الْمُنْطَلِقِ

لكن لا يُعَرَفُ في السِّيرة أَنَّهُ رَدَّ لَهَا سَلْبَ النَّضْرِ بنِ الحارث.

وَقَدْ حَبَا كَعْبًا غَدَاةً مَدَحِهِ ٢٠٨ بِبُرْدَةٍ وَمِئَةٍ مِنْ أُنْثَى

كعب بن زهير - رضي الله عنه - ساقه الله للإسلام، وكان من خبر إسلامه: أن أخا له يُقال

له: بُجَيْرٌ أَسْلَمَ قبله؛ فأغضب ذلك كعبًا، فكتب إليه:

أَلَا أَبْلَغَا عَنِّي بُجَيْرًا رِسَالَةً فَهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتُ وَيْحَكَ هَلْ لَكَ

فَبَيْنَ لَنَا إِنْ كُنْتَ لَسْتَ بِفَاعِلٍ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ غَيْرِ ذَلِكَ دَلَّكَ

عَلَيْهِ وَلَمْ تُدْرِكْ عَلَيْهِ أَخَا لَكَ عَلَى خُلُقٍ لَمْ تُلَفِ أُمًّا وَلَا أَبَا

فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بِأَسْفٍ فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَلَسْتُ بِأَسْفٍ

سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ كَأَسَا رَوِيَّةً سَقَاكَ بِهَا الْمَأْمُونُ كَأَسَا رَوِيَّةً

فأجابه بُجَيْرٌ بأبياتٍ قال فيها:

فَهَلْ مُبْلَغُ كَعْبًا فَهَلْ لَكَ فِي الَّتِي تَلُومُ عَلَيْهَا بَاطِلًا وَهِيَ أَحْزَمُ

إِلَى اللَّهِ لَا الْعُزَّى وَلَا اللَّاتِ وَحْدَهُ فَتَنْجُو إِذَا كَانَ النَّجَاءُ وَتَسْلَمُ

لَدَى يَوْمٍ لَا يَنْجُو وَلَيْسَ بِمُفْلِتٍ مِنَ النَّارِ إِلَّا طَاهِرُ الْقَلْبِ مُسْلِمُ

فَدَيْنُ زُهَيْرٍ وَهُوَ لَا شَيْءَ دَيْنُهُ وَدَيْنُ أَبِي سُلَمَى عَلَيَّ مُحَرَّمُ

وكتب إليه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قَتَلَ رَجُلًا بِمَكَّةَ مِمَّنْ كَانَ يَهْجُوهُ

ويؤذيه، وَأَنَّ مَنْ بَقِيَ مِنْ شُعْرَاءِ قُرَيْشٍ قَدْ هَرَبُوا فِي كُلِّ وَجْهٍ، قال: "فإن كانت لك في نفسك

حاجة فطِر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ فإنه لا يَقْتُلُ أحداً جاء تائباً، فإذا أنت لم تفعل فانْجُ إلى نجائك من الأرض " أي إلى مَحَلٍّ يُنْجِيكَ منه. فلَمَّا بَلَغَ كَعْبًا الكتابُ أتى قبيلته مُزَيِّنَةً لَتُجِيرَهُ من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأبوا ذلك عليه، وضاحت عليه الأرض بما رَحِبَتْ، وَأَشْفَقَ على نفسه، وأرجف الوُشَاةُ به، وقالوا: (إِنَّكَ يَا ابْنَ أَبِي سُلْمَى لَمَقْتُولٌ) كما ذكر في قصيدته، فخرَجَ يُريدُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة، ونَزَلَ على رجلٍ من جُهَيْنَةَ كانت بينه وبينه معرفة، فغدا به الرَّجُلُ الجُهَيْنِيُّ إلى المسجد، وأشار له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذهب إليه كعب، فوضع يده في يد النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان - صلى الله عليه وسلم - لا يعرفه، فقال: يا رسول الله، إِنَّ كَعْبَ بنَ زُهَيْرٍ قد جاءكَ لِيَسْتَأْمِنَ مِنْكَ تَائِبًا مُسْلِمًا، فهل أنت قَابِلٌ مِنْهُ إن أنا جِئْتُكَ به؟ قال: نعم، قال: أنا كعب بن زهير، فوثب رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله، دعني وعدوَّ الله أضربُ عُنُقَهُ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «دعه عنك؛ فإنه قد جاء تائبًا نازعًا عما كان عليه» فغَضِبَ كَعْبٌ على هذا الحي من الأنصار، ووجد في نفسه، وأنشد قصيدته بين يدي النبي - صلى الله عليه وسلم - :

مَتَيْمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفَدَ مَكْبُولُ

بَانَتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ

إلى أن قال:

وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ

أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي

قُرْآنَ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلُ

مَهْلًا هَذَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْ

أَذْنِبَ وَلَوْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلُ

لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ

إلى أن قال:

مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ

فِي فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ
بِطَنْ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُؤُلُوا
زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشْفٌ
عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا مِيلٌ مَعَاذِلُ

وقد خَصَّ في قصيدته هذه المهاجرين من قُرَيْشٍ بمدحته وعَرَضَ بالأنصار، فيقال: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال له بعد أن فرغ من إنشاده قصيدته: «لَوْلَا ذَكَرْتَ الْأَنْصَارَ بِخَيْرٍ، فَإِنَّهُمْ لَذَلِكَ أَهْلٌ» فَقَالَ كَعْبٌ:

مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَزَلْ
فِي مَقْنَبٍ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ
وَرِثُوا الْمَكَارِمَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ
إِنَّ الْكِرَامَ هُمْ بَنُو الْأَخْيَارِ

في قصيدة يمدح فيها الأنصار ويذكر بلاءهم مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وموضعهم من اليمن، ثم إن النبي - صلى الله عليه وسلم - أعطاه على هذا الشعر بُرْدَتَهُ ومئة ناقة، كما قال الناظم:

وَقَدْ حَبَا كَعْبًا غَدَاةً مَدَحِهِ ٢٠٨
بُورْدَةً وَمِئَةً مِنْ أَيْتُنِقِ

يُقال: إن معاوية - رضي الله عنه - بذل في هذه البُرْدَةِ لكعب عشرة آلاف درهم فامتنع، وقال: ما كُنْتُ لِأَوْثَرِ ثَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أحدًا، فلما مات كعب - رضي الله عنه - بعث معاوية - رضي الله عنه - لورثته بعشرين ألف درهم، فأعطوه البُرْدَةَ.

وَبَشَّرَ الْجَعْدِيَّ وَابْنَ ثَابِتٍ ٢٠٩
بِجَنَّةٍ جَزَاءَ شِعْرِ عُسْنُقٍ
العُسْنُقُ: التامُّ الحُسْنِ.

وَقَدْ النابغة الجعدي على النبي - صلى الله عليه وسلم - مُسلمًا، وأنشده فدعا له النبي - صلى الله عليه وسلم -، وكان من أول ما أنشده قوله:

أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى
وَيَتْلُو كِتَابًا كَالْمَجْرَةِ نِيرًا

وفيها يقول:

وَأَنَا لَقَوْمٌ مَا نَعُودُ خَيْلَنَا
وَنُنَكِرُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَلْوَانَ خَيْلَنَا
وَلَيْسَ بِمَعْرُوفٍ لَنَا أَنْ نُرُدَّهَا
بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَسَنَاوْنَا
إِذَا مَا التَّقِينَا أَنْ تَحِيدَ وَتَنْفِرَا
مِنَ الطَّعْنِ حَتَّى نَحْسِبَ الْجَوْنَ أَشْقَرَا
صِحَاحًا وَلَا مُسْتَنَكِرًا أَنْ تُعَقَّرَا
وَأَنَا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا

فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إلى أين يا أبا ليلي؟» فقال: إلى الجنة. فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «نعم إن شاء الله». هذه البشارة هي التي أشار إليها الناظم، ثم أنشده قوله:

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ
بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا
حَلِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الْأَمْرَ أَضْدَرَا

فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاكًا» قالوا: فكان من أحسن الناس ثغراً، وكان كُلاً ما سقطت له سنٌ نبتت له أخرى.

وأما تبشير النبي - صلى الله عليه وسلم - لحسان بن ثابت - رضي الله عنه - بالجنة فهو فيما يروى في السيرة أنه أنشد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قصيدته الهمزية التي أجاب بها أبا سفيان بن الحارث، وانتهى فيها إلى قوله:

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ
وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ

فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما يروى: «جَزَاؤُكَ الْجَنَّةُ يَا حَسَّانُ» فلما بلغ قوله:

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكُفٍّ
فَشَرُّكُمْ لِخَيْرِكُمْ الْفِدَاءُ

قال مَنْ حَضَرَ: هذا أَنْصَفُ بَيِّنٍ قالته العرب، فلما قال:

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي
لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ

قال له النبي - صلى الله عليه وسلم -: «وَقَالَكَ اللَّهُ حَرَّ النَّارِ يَا حَسَّانُ» هذا الذي أشار إليه الناظم

بقوله:

وَبَشَّرَ الْجَعْدِيَّ وَابْنَ ثَابِتٍ ٢٠٩ بِجَنَّةٍ جَزَاءَ شِعْرِ عُسْنُقٍ

ثم قال الناظم - رحمه الله -:

كَمْ خَامِلٍ سَمَّا بِهِ إِلَى الْعَلَا ٢١٠ بَيْتٌ مَدِيحٍ مِنْ بَلِيغٍ ذَلِكِ

(كَمْ خَامِلٍ) الخَامِلُ: ضد النَّابِه (سَمَّا بِهِ) أي علا به (إِلَى الْعَلَا) أي الرَّفْعَةَ وَالشَّرَفَ (بَيْتٌ

مَدِيحٍ مِنْ بَلِيغٍ ذَلِكِ) الذَّلِيقُ وَالذَّلِيقُ: الفصيحُ حديدُ اللسانِ.

مِثْلُ بَنِي الْأَنْفِ وَمِثْلُ هَرِمٍ ٢١١ وَكَأَلَّذِي يُعْرِفُ بِالْمُحَلَّقِ

مِنْ خصائصِ الأدبِ وشواهدِ سُلْطَانِهِ عَلَى النفوسِ أَنَّهُ يَرْفَعُ الخَامِلَ وَيَخْفِضُ الْعَالِي،
فقد رفع كثيراً من الناس ما قيل فيهم من الشعر بَعْدَ ضَعْفِ وَخُمُولِ واطِّراحِ، وَوَضَعَ جَمَاعَةً
مِنْ أَهْلِ الْأَقْدَارِ الشَّرِيفَةِ وَالْمَنَازِلِ الْمُتَنِيفَةِ حَتَّى صَارُوا يُعَيَّرُونَ بِمَا كَانُوا بِهِ يَفْتَخِرُونَ، فَمِنْ
رَفَعَهُ مَا قِيلَ فِيهِ مِنَ الشَّعْرِ:

• **بنو أنف الناقة** وهم بنو جَعْفَرِ بْنِ قُرَيْعٍ، وسببُ جريانِ هذا اللقبِ على جعفر: أَنَّ أَبَاهُ
قُرَيْعًا نَحَرَ نَاقَةً فَقَسَمَهَا بَيْنَ نِسَائِهِ، فَبَعَثَتْ جَعْفَرًا أُمُّهُ تَسْأَلُ زَوْجَهَا حَظَّهَا مِنَ اللَّحْمِ، فَلَمْ يَجِدْ
غَيْرَ رَأْسِ النَّاقَةِ وَعُنُقِهَا، فَقَالَ: شَأْنُكَ هَذَا، فَأَدْخَلَ جَعْفَرٌ يَدَهُ فِي أَنْفِ النَّاقَةِ، وَجَعَلَ يَجْرِهَا إِلَى
أُمِّهِ وَالنَّاسُ يَضْحَكُونَ مِنْهُ؛ فَلَقَّبَ بِأَنْفِ النَّاقَةِ، فَكَانَ جَعْفَرٌ يُسَبُّ بِهَذَا، وَبَقِيَ هَذَا اللَّقْبُ سُبَّةً
فِي عَقْبِهِ، فَكَانَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ إِذَا سُئِلَ عَنْ نَسَبِهِ يَنْتَسِبُ إِلَى جَدِّهِ، يَقُولُ: مِنْ بَنِي قُرَيْعٍ، وَيتجاوز
النسبة إلى جعفرٍ فراراً من اللقبِ.

وَبَقُوا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى جَاءَ الْحُطَيْيَةُ فَمَدَحَهُمْ بِقَصِيدَتِهِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

قَالَتْ أُمَامَةُ لَا تَجْزَعُ فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْعَزَاءَ وَإِنَّ الصَّبْرَ قَدْ غَلَبَا

سِيرِي أُمَامَ فَإِنَّ الْأَكْثَرِينَ حَصَى وَالْأَكْثَرِينَ إِذَا مَا يُنْسَبُونَ أَبَا

قَوْمٌ هُمْ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ وَمَنْ يُسَوِّي بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا

فرفعهم بهذا الشعر، وصار هذا اللقب مدحا لهم وفخرا بعد أن كان ضعة وذمًا، وصار الواحد منهم إذا سُئل ممن أنت؟ يقول: من بني أنف الناقة كما ترى، هذا قوله: (مثل بني الأنف).

• هرم بن سنان لم يكن خاملًا، بل كان من سادات قومه، فلا يصدق عليه قول الناظم: (كَمْ خَامِلٍ سَمَاهُ إِلَى الْعُلَا) ولكن أخاه خارجة بن سنان كان أشهر منه وأذكر في الناس، فلما وقع لزهير بن أبي سلمى في هرم ما وقع من المدح ازداد هرم شرفًا على شرفه، حتى فاق أخاه في ذلك، بل لا يكاد أخوه يذكر؛ ونحن الآن ما ذكرنا خارجة إلا تبعًا لذكر هرم! ومما قال فيه زهير بن أبي سلمى الأبيات في مُعَلَّقَتِهِ التي يمدح بها هرمًا وابن عمه الحارث بن عوف، ويذكر سعيهما في صلح عبس وذبيان من حرب داحس والغبراء، ويذكر تحملهما الحملات في ذلك، قال في مُعَلَّقَتِهِ التي مطلعها:

أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُتَلَمِّ إِلَى أَنْ قَالَ:

سَعَى سَاعِيَا غَيْظِ بْنِ مُرَّةٍ بَعْدَمَا	تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ بِالْدمِ
فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ	رَجَالُ بَنُوهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ
يَمِينًا لِنِعَمِ السَّيِّدَانِ وَجِدْتُمَا	عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمِ
تَدَارَكْتُمَا عَبْسًا وَذُبْيَانًا بَعْدَمَا	تَفَانُوا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمِ
وَقَدْ قُتُّمَا: إِنْ نُدِرِكِ السَّلْمَ وَاسِعًا	بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ نَسْلَمِ
فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنِ	بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْتَمِ
عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعْدٍ هُدَيْتُمَا	وَمَنْ يَسْتَبِخْ كَنْزًا مِنَ الْمَجْدِ يَعْظُمِ

مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالٍ مُزَنَّمٍ
يَنْجُمُهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِمُجْرِمٍ
وَلَمْ يُهَرِّقُوا بَيْنَهُمْ مِلءَ مِحْجَمٍ

فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيهِمْ مِنْ تِلَادِكُمْ
تُعْقَى الْكُلُومُ بِالْمِئِينَ فَأَصْبَحَتْ
يُنْجُمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةٌ

وقال فيهم أيضًا في قصيدته التي مطلعها:

وَعَلَّقَ الْقَلْبُ مِنْ أَسْمَاءَ مَا عَلَقَا

إِنَّ الْخَلِيطَ أَجَدَّ الْبَيْنَ فَاَنْفَرَقَا

إلى أن قال:

وَخَيْرَهَا نَائِلًا وَخَيْرَهَا خُلُقَا

بَلِ اذْكُرْنِ خَيْرَ قَيْسٍ كُلِّهَا حَسَبًا

إلى أن قال:

وَالسَّائِلُونَ إِلَى أَبْوَابِهِ طُرُقَا

قَدْ جَعَلَ الْمُتَبَغُّونَ الْخَيْرَ فِي هَرَمٍ

تَلَقَّ السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقَا

إِنْ تَلَقَّ يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمًا

أَفُقَ السَّمَاءِ لَنَالَتْ كَفُّهُ الْأَفُقَا

لَوْ نَالَ حَيٌّ مِنَ الدُّنْيَا بِمَنْزِلَةٍ

هذا قول الناظم: (وَمِثْلُ هَرَمٍ).

ثم قال: (وَكَالَّذِي يُعْرِفُ بِالْمُحَلَّقِ).

• الْمُحَلَّقُ: هو عبدُ العزى بنُ حَتَمِ الكلابي، لُقِّبَ بِالْمُحَلَّقِ لِأَنَّ فَرَسًا عَضَّهُ فِي وَجْتِهِ،

فَكَانَتِ الْعَضَّةُ كَالْحَلَقَةِ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ فِي جَرَيَانِ هَذَا اللَّقْبِ عَلَيْهِ.

وَكَانَ رَجُلًا مُقَلًّا لَيْسَ لَهُ كَبِيرُ شَيْءٍ مِنْ مَالٍ وَلَا جَاهٍ وَلَا حَسَبٍ، وَكَانَتْ لَهُ عَشْرُ بَنَاتٍ لَمْ

تَتَزَوَّجَ أَيُّهُ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ؛ فَمَرَّ الْأَعَشَى أَبُو بَصِيرٍ مَرَّةً بِقَرْيَتِهِ، فَقَالَتْ لِلْمُحَلَّقِ أُمُّهُ - وَقِيلَ:

زَوْجُهُ -: إِنَّ أَبَا بَصِيرٍ رَجُلٌ مَجْدُودٌ - أَيَّ مَحْظُوظٌ - فِي شَعْرِهِ، وَأَنْتَ رَجُلٌ خَامِلٌ مُقَلٌّ وَلَكَ

بَنَاتٌ، فَلَوْ سَبَقَتْ إِلَيْهِ وَأَكْرَمَتْهُ رَجَوْنَا أَنْ يَكُونَ لَكَ مِنْهُ خَيْرٌ.

فَبَادَرَ الْمُحَلَّقُ إِلَيْهِ، وَأَنْزَلَهُ وَنَحَرَ لَهُ، وَسَقَاهُ الْخَمْرَ، فَلَمَّا اخْتَلَطَ كَبِدُ النَّاقَةِ بِالْخَمْرِ فِي بَطْنِهِ،

وَلَبَسَ الْجُبَّةَ الَّتِي أَعْطَاهَا إِيَّاهَا الْمُحَلَّقُ وَاخْتَالَ فِيهَا اسْتَيْقَظَتْ شَيَاطِينُ شَعْرِهِ، فَقَالَ قَصِيدَتَهُ
الَّتِي مَطَّلَعُهَا:

أَرَقْتُ وَمَا هَذَا السُّهَادُ الْمُورِقُ وَمَا بِي مِنْ سُقْمٍ وَمَا بِي مَعْشَقُ
وفيهما يقول:

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ فِي يَفَاعٍ تَحَرَّقُ
تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمُحَلَّقُ
رَضِيعِي لَبَانٍ ثَدِيٍّ أُمَّ تَحَالَفَا بِأَسْحَمٍ دَاجٍ عَوْضٌ لَا تَتَفَرَّقُ
تَرَى الْجُودَ يَجْرِي سَائِلًا فَوْقَ وَجْهِهِ كَمَا زَانَ مَتْنُ الْهُنْدُوانِي رَوْنَقُ

فلم يَفْرُغْ من إنشادها حتى تَسَارَعَ الأشرافُ يَخْطُبُونَ بناته، فلم تُمَسِ واحدةٌ منهنَّ كما
يقول ابن رَشِيقٍ في العُمْدَةِ: "إلا في عصمة رجلٍ أفضلَ من أبيها ألف ضعف"، وفي خبره
رواياتٌ كثيرة.

وَكَمْ وَكَمْ حَطَّ الْهَجَا مِنْ مَاجِدٍ ٢١٢ ذِي رُبَّةٍ قَعَسَا وَقَدَّرِ سَمِيقِ

(وَكَمْ وَكَمْ) (كَمْ) الثانيةُ توكيدٌ للأولى (حَطَّ الْهَجَا) حَطَّ: وَضَعَ، وَالْهَجَاءُ: الذَّمُّ فِي
الشَّعْرِ (مِنْ مَاجِدٍ) الْمَجْدُ: الشَّرَفُ وَالْكَرَمُ وَالسُّودْدُ، وَالْمَاجِدُ: الْمُتَّصِفُ بِذَلِكَ (ذِي رُبَّةٍ
قَعَسَا) الْقَعَسَاءُ: الثَّابِتَةُ، وَهُوَ مَمْدُودٌ قَصْرُهُ لِلضَّرُورَةِ (وَقَدَّرِ سَمِيقِ) أَيِ عَالٍ.

مِثْلُ الرَّبِيعِ وَبَنِي الْعَجَلَانِ مَعِ ٢١٣ بَنِي نُمَيْرٍ جَمَرَاتِ الْحَرَقِ

من شواهدِ وَضْعِ الْأَدَبِ لِلْعَالِي: خَبَرُ الرَّبِيعِ بْنِ زِيَادٍ، فَإِنَّهُ كَانَ مُلَازِمًا لِلنُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ،
وَكَانَ سَبَبُ انْحِطَاطِهِ: أَنَّهُ وَفَدَ مُلَاعِبُ الْأَسِنَّةِ عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ وَإِخْوَتَهُ، وَمَعَهُمْ لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ
الْعَامِرِيُّ - وَهُوَ ابْنُ أَخِيهِمْ، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ غُلَامًا صَغِيرًا ابْنُ تِسْعِ سِنِينَ وَكَانَ يَجْلِسُ فِي رَحْلِهِمْ
وِيرْعَى لَهُمْ إِبْلَهُمْ - وَفَدُوا عَلَى الْمَلِكِ النُّعْمَانِ فَوَجَدُوا عِنْدَهُ الرَّبِيعَ بْنَ زِيَادٍ، وَكَانَ الرَّبِيعُ

عَدُّوا لَهُمْ، فَجَعَلَ يَحُطُّ مِنْ قَدَرِهِمْ عِنْدَ الْمَلِكِ، فَسَمِعَهُمْ لَبِيدٌ مَرَّةً يَتَكَلَّمُونَ فِي أَمْرِ الرَّبِيعِ،
وَيَقُولُونَ: ارجعوا بنا إلى أهلينا لا يضحك منا الربيع بن زياد، فسألهم لبيد فاستصغروه
وكتموا الخبر، فقال: والله لا رَعَيْتُ لَكُمْ وَلَا حَفِظْتُ لَكُمْ رَحَالَكُمْ حَتَّى تُخْبِرُونِي. فَأَخْبَرُوهُ
أَنَّهُ غَلَبَهُمْ وَصَدَّ وَجْهَ الْمَلِكِ عَنْهُمْ، فقال: هل تقدرون على أن تجمعوا بيني وبينه فأزجره
عنكم بقولٍ مُمَضٍّ فلا يلتفت النُّعْمَانُ إِلَيْهِ أَبَدًا؟ فقالوا له: وهل عندك ذلك؟ قال: نعم. قالوا:
فإنا نَبْلُوكَ - أَيِ نَخْتَبِرُكَ - بِشْتَمِ هَذِهِ الْبَقْلَةِ، وكانت أمامهم بقلةٌ، فأخذها بيده وذَمَّهَا، فوجدوه
أَهْلًا لَذَلِكَ، فقالوا: أَنْتَ وَاللَّهِ صَاحِبُهُ.

فلما أصبحوا؛ حلقوا رأسه وتركوا له ذؤابتين وألبسوه حُلَّةً وَغَدَّوْا بِهِ مَعَهُمْ حَتَّى انْتَهَوْا
إِلَى النُّعْمَانِ فِي قُبَّةٍ وَحَوْلَهُ النَّاسُ، ومعه الربيع بن زيادٍ يُوَاكِلُهُ، فناده لبيدٌ من وراء القُبَّةِ قائلاً:

أَنَامَ أَمْ يَسْمَعُ رَبُّ الْقُبَّةِ
يَا أَوْهَبَ النَّاسِ لِعَنَسِ صُلْبِهِ

فأدخلهم النُّعْمَانُ، فقال لبيد:

أَكُلْ يَوْمَ هَامَتِي مُقَرَّعَهُ
يَا رَبَّ هَيَجَا هِيَ خَيْرٌ مِنْ دَعَاهُ
يَا وَاهِبَ الْخَيْرِ الْكَثِيرِ مِنْ سَعَاهُ
نَحْنُ بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ الْأَرْبَعَةِ
الْمُطْعَمُونَ الْجَفْنَةَ الْمُدْعَدَّةَ
وَالضَّارِبُونَ الْهَامَ تَحْتَ الْخَيْضَةِ
مَهْلًا أَبَيْتَ اللَّعْنَ لَا تَأْكُلْ مَعَهُ

(بَنِي) منصوب على الاختصاص، و(الْمُدْعَاةُ) الممتلئة، (الْخِضْعَةُ) اختلاف الأصوات في الحرب.

ثم ذكر أبياتاً يَسُبُّ فيها الرَّبِيعَ، أَقْدَعَ فيها وَأَفْحَشَ، فَرَفَعَ النُّعْمَانُ يَدَهُ عن الطعام، وَحَجَبَ الرَّبِيعَ بنَ زياد، وَسَقَطَتْ مَنْزِلَتُهُ عنده، وأراد الرَّبِيعُ الاعتذارَ، فقال له النُّعْمَانُ:

شَرَّدَ بِرَحْلِكَ عَنِّي حَيْثُ شِئْتُ وَلَا
وَارْحَلْ بِحَيْثُ أَرَدْتُ الْأَرْضُ وَاسِعَةٌ
تُكْثِرُ عَلَيَّ وَدَعْ عَنْكَ الْأَقَاوِيلَا
وَأَنْشُرْ بِهَا الطَّرْفَ إِنْ عَرَضَا وَإِنْ طُولَا
قَدْ قِيلَ مَا قِيلَ إِنْ صِدْقًا وَإِنْ كَذِبًا
فَمَا اعْتَذَارُكَ مِنْ قَوْلٍ إِذَا قِيلَا

وَلَمْ يَرِ الرَّبِيعُ بِحَضْرَةِ النُّعْمَانِ بَعْدَ ذَلِكَ.

(وَبَنِي الْعَجْلَانِ) بنو العجلان: كان أبوهم لُقْبَ بهذا لتعجيله القرى للضيوف، فكانوا يفتخرون بهذه النسبة؛ حتى هجاهم النجاشي الشاعر -وهو قَيْسُ بْنُ عَمْرِو الْحَارِثِي- قال فيهم:

إِذَا اللَّهُ عَادَى أَهْلَ لُؤْمٍ وَدِقَّةٍ
قُبَيْلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ
وَلَا يَرْدُونَ الْمَاءَ إِلَّا عَشِيَّةً
تَعَاثُ الْكِلَابُ الضَّارِيَاتُ لُحُومَهُمْ
فَعَادَى بَنِي الْعَجْلَانِ رَهْطَ ابْنِ مُقْبِلٍ
وَلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ
إِذَا صَدَرَ الْوَرَادُ عَنْ كُلِّ مَنْهَلٍ
وَتَأْكُلُ مِنْ كَعْبِ بْنِ عَوْفٍ وَنَهْشَلٍ
وَمَا سُمِّيَ الْعَجْلَانُ إِلَّا لِقَوْلِهِمْ:
خُذِ الْقَعْبَ وَاحْلُبْ أَيُّهَا الْعَبْدُ وَاعْجَلِ

ذكر الرواة أنهم اتَّضَعُوا بهذا الشعر بَعْدَ رَفْعَتِهِمْ حَتَّى صَارُوا يَفِرُّونَ مِنَ الْإِنْتِسَابِ إِلَى الْعَجْلَانِ، وَجَعَلَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ إِذَا سُئِلَ عَنْ نَسَبِهِ يَقُولُ: (كَعْبِي) مَخَافَةَ أَنْ يُسَخَّرَ مِنْهُ، وَقَدْ اشْتَكَوْا إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وَقَالُوا: إِنَّ النَّجَاشِيَّ هَجَانَا، فَقَالَ: مَاذَا قَالَ لَكُمْ؟ فَأَنْشَدُوهُ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ:

إِذَا اللَّهُ عَادَى أَهْلَ لُؤْمٍ وَدِقَّةٍ فَعَادَى بَنِي الْعَجْلَانِ رَهْطَ ابْنِ مُقْبِلٍ

فقال: هذا رجلٌ دعا، فإن كان مظلوماً استُجيبَ له، وإن لم يكن مظلوماً لم يُستجبَ له،

فقالوا: إنه قال:

فَبَيْلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ وَلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ

فقال عُمرُ: ليت آل الخطّابِ كانوا كذلك -يَحْمِلُهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْمَحْمَلِ الْحَسَنِ-

فقالوا: إنه قال:

وَلَا يَرِدُونَ الْمَاءَ إِلَّا عَشِيَّةً إِذَا صَدَرَ الْوُرَادُ عَنْ كُلِّ مَنْهَلٍ

فقال: ذلك أصفى للماء، وأقلُّ للكدر، فقالوا: إنه قال:

تَعَاثُ الْكِلَابُ الضَّارِيَاتُ لُحُومَهُمْ وَتَأْكُلُ مِنْ كَعْبِ بْنِ عَوْفٍ وَنَهْشَلٍ

فقال عُمرُ: كفى ضياعاً بمن تأكلُ الكلامَ لحمه -يعني أنكم تزعمون أنه فضّل أولئك

عليكم لأن الكلاب لا تأكل من لحومهم، وأي خيرٍ في أكل الكلاب!- فقالوا: إنه قال:

وَمَا سُمِّيَ الْعَجْلَانُ إِلَّا لِقَوْلِهِمْ: خُذِ الْقَعْبَ وَاحْلُبْ أَيُّهَا الْعَبْدُ وَاعْجَلِ

فقال: سيّد القومِ خادمهم، وكُنَّا عبيدُ اللهِ، فما أرى بهذا بأساً، قالوا: سل حسانَ بنَ ثابتٍ،

فسأله، فقال حسان: ما هجّاهم ولكن سلّحَ عليهم، فسجنه عُمرُ وقيل: بل جلده.

قال: (مَعُ بَنِي نُمَيْرٍ جَمَرَاتِ الْحَرَقِ) ممن وضعه ما قيل فيه من الشعر حتى انكسر نسبُهُ،

وَسَقَطَ عَنْ رُتْبَتِهِ، وَعِيبَ بِفَضِيلَتِهِ: بَنُو نُمَيْرٍ، وكانوا يذكرون أنهم جمرةٌ من جَمَرَاتِ الْعَرَبِ،

كانوا إِذَا سُئِلَ أَحَدُهُمْ مِمَّنِ الرَّجُلُ؟ فَخَمَّ لَفْظُهُ وَمَدَّ صَوْتَهُ بِاسْمِ قَبِيلَتِهِ حَتَّى هَجَّاهُمْ جَرِيرٌ،

وكان سَبَبُ ذلك: أن الرَّاعِي النُّمَيْرِيَّ فَضَّلَ الْفَرَزْدَقَ عَلَى جَرِيرٍ، فقال:

يَا صَاحِبِي دَنَا الرَّوَاحُ فَسِيرَا غَلَبَ الْفَرَزْدَقُ فِي الْهَجَاءِ جَرِيرَا

فذهب إليه جريرٌ وكَلَّمَهُ فِي ذلك، وقال: يا أبا جندل، إن قولك ليُسْتَمَعَ، وإنَّكَ تُفْضَلُ

الفرزدقَ عَلَيَّ تفضيلاً قبيحاً، وأنا أمدحُ قومك، والفرزدق يهجوهم، وهو ابن عمي دونك
يكفيك من ذلك إذا ذُكرنا أن تقول: كلاهما شاعرٌ كريم، ولا تتحملُ مني ولا منه لائمة،
فبينما جريرٌ والراعي كذلك؛ إذ أقبلَ جندلٌ وهو ولد الراعي، وضرب بالسوطِ بَغْلَةً والده
وقال: لا أراك واقفاً على هذا كأنك تخشى منه شراً أو ترجو منه خيراً، فزَحَمَتُ البَغْلَةُ جريراً
حتى سقطت قَلْنَسُوتُهُ، فقال جرير: والله لو عَرَجَ عَلَيَّ الراعي لَقُلْتُ: إنها هَفُوءٌ من سفيهٍ -
يعني جندلاً-، ولكن الراعي لم يُعَرِّجْ عليه. فأخذَ جريرٌ قَلْنَسُوتَهُ فَمَسَحَهَا ورَدَّهَا إلى محلِّها
وانصرف مُغَضَّباً إلى منزله.

وقال فيهم أُنْبَيَاتُهُ التي منها بَيْتُهُ القاتل:

فَغَضُّ الطَّرْفِ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَنْتَ وَلَا كِلَابًا
وَلَوْ وُضِعَتْ حُلُومُ بَنِي نُمَيْرٍ عَلَى الْمِيزَانِ مَا عَدَلَتْ ذُبَابًا

(فَغَضُّ الطَّرْفِ) كسر الضاد هنا هو المُقَدِّم في اللغة.

فلم يرفعوا بعدها رأساً، ولم تَلَقْ قبيلةٌ مِنَ الْعَرَبِ بِهِجُوءٍ ما لَقِيَتْ نُمَيْرٌ مِنْ هَجُوءِ جرير،
حتى صاروا يَفِرُّونَ مِنَ الْإِتْسَابِ إِلَى نُمَيْرٍ ويتسبون إلى جدِّ لهم أعلى، وكان جريرٌ يُسَمِّي
قَصِيدَتَهُ هذه الدَّمَاعَةَ، ومَطَّلَعُهَا:

أَقْلِي اللَّوْمَ عَاذِلَ وَالْعِتَابَا وَقُولِي إِنْ أَصَبْتُ: لَقَدْ أَصَابَا

قال الجاحظ: "ما عَلِمْتُ في العرب قبيلةً لَقِيَتْ من جميع ما هُجِيَتْ به ما لَقِيَتْ نُمَيْرٌ من
بيتِ جرير".

ومن لطيف الأخبار:

♦ ما يُحكى أن مولًى لباهلة كان يَرِدُ السُّوقَ فَيَسْخَرُ مِنْهُ قَوْمٌ مِنْ بَنِي نُمَيْرٍ، فقال له أسياده:
إِنْ نَبَزَكَ أَحَدُهُمْ فَقُلْ لَهُ: (فَغَضُّ الطَّرْفِ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ) فلمَّا عاد إلى السوق وَلَقِيَهُمْ سَخِرُوا

منه ونَبِزُوه، فأراد أن يقول البيت فنسيه فقال: غَمَضُ وَإِلَّا جَاءَكَ مَا تَكْرَهُ! فكفُّوا عنه عند ذلك وعلموا أنه عَرَفَ قَوْلَ جريرٍ فيهم.

♦ ويُحكى أن امرأة مَرَّتْ بقوم من بني نمير، فأخذوا ينظرون إليها نَظَرِ رِيبة، فقالت: والله لا قول الله امتثلتم: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، ولا قول جرير: (فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ).

وقد وضعهم جريرٌ حتى صاروا مَضْرِبَ مَثَلٍ، قال الشاعر:

وَسَوْفَ يَزِيدُكُمْ ضَعَةً هِجَائِي كَمَا وَضَعَ الْهَجَاءُ بَنِي نُمَيْرٍ

وقد قال الجاحِظُ في البيان والتبيين: "وهل فَضَحَ الْحَبِطَاتِ -تُفْتَحُ الْبَاءُ وَتُكْسَرُ- مع شَرَفِ حَسَكَةَ بن عَتَّابٍ وَعَبَّادِ بن الحُصَيْنِ وولده -هؤلاء الذين سَمَّى من أشرف بني تميم- إلا قولُ الشاعر:

رَأَيْتَ الْحُمْرَ مِنْ شَرِّ الْمَطَايَا كَمَا الْحَبِطَاتُ شَرُّ بَنِي تَمِيمٍ

وقوله: (جَمَرَاتِ الْحَرَقِ) يَرْجِعُ لِبَنِي نُمَيْرٍ، فإنَّها من القبائل التي لم تُحَالِفْ غَيْرَهَا؛ لِعِزَّتِهَا وَمَنْعَتِهَا، وأضاف (الْجَمَرَاتِ) (لِلْحَرَقِ) للمُنَاسَبَةِ، فالجمرةُ في اصطلاح العرب: هي القبيلة التي انضمت على نفسها فكانت يداً واحدة، ولم تُحَالِفْ غَيْرَهَا لِعِزَّتِهَا وَمَنْعَتِهَا.

وأما القبيلة التي تُحَالِفُ غَيْرَهَا فليست بجمرة، وكانت نُمَيْرٌ تقول: إنها من جمرات العرب، قال شاعرهم النُمَيْرِيُّ:

نُمَيْرٌ جَمْرَةُ الْعَرَبِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ فِي الْحَرْبِ تَلْتَهَبُ الْتِهَابَا

وأصل تسمية (الْجَمَرَاتِ) أن امرأةً مِنَ الْعَرَبِ رَأَتْ فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ قُبْلِهَا ثَلَاثُ جَمَرَاتٍ:

▪ فتزوجها كعبُ بن المَدَانِ فولدت له ابْنَةُ الْحَارِثِ، وهم أشرف اليمن.

■ ثم تزوجها بَغِيضُ بْنُ رَيْثٍ فولدت له عَبْسًا وهم فرسان العرب.

■ ثم تزوجها أَدُّ بْنُ طَابَخَةَ فولدت له ضَبَّةَ.

فجمرتان في مُضَرٍ، وجمرة في اليمن، هذا أصل التسمية.

قال البدوي في عمود النسب؛ مُبَيَّنًا هذه الجمرات، ورادًّا كونَ نَمِيرٍ منها:

وَمِنْ بَنِي أَدِّ سَلِيلِ طَابَخِهِ ضَبَّةٌ إِخْدَى الْجَمَرَاتِ الرَّاسِخَهُ
وَالْجَمَرَاتُ مَا عَدَاهَا عَبْسُ أَلِ الْمَدَانِ لَا نَمِيرُ النَّكْسُ

النَّكْسُ من الرجال: الْمُقَصِّرُ عن غاية النجدة والكرم.

لَوْلَمْ يَكُنِ لِلشَّعْرِ عِنْدَ مَنْ مَضَى ٢١٤ فَضُلٌّ عَلَى الْكَعْبَةِ لَمْ يُعَلَّقِ

يُشير إلى ما قيل في سبب تسمية المُعَلَّقات بهذا الاسم، وهو أَنَّ الْعَرَبَ عَلَّقُوهَا عَلَى الْكَعْبَةِ الَّتِي هِيَ مَوْضِعُ حَجَّهِمْ، وَبَيْتُ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَعْظِيمًا لَهَا، وَاحْتِفَاءً بِهَا. وَهَذَا يُعَوِّزُهُ النُّقْلُ الصَّحِيحُ، وَإِنْ كَانَ مُسْتَفِضًّا، ذَكَرَهُ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي الْعِقْدِ، وَابْنُ خَلْدُونَ فِي مُقَدِّمَتِهِ، وَالسَّيُوطِيُّ فِي الْمُزْهَرِ، وَالبَغْدَادِيُّ فِي خِزَانَةِ الْأَدَبِ، وَهُوَ إِنْ ثَبَتَ دَلِيلٌ عَلَى عَظِيمِ مَنْزِلَةِ الشَّعْرِ عِنْدَ الْعَرَبِ وَفَضْلِهِ كَمَا قَالَ:

لَوْلَمْ يَكُنِ لِلشَّعْرِ عِنْدَ مَنْ مَضَى ٢١٤ فَضُلٌّ عَلَى الْكَعْبَةِ لَمْ يُعَلَّقِ

وقيل: إِنَّهَا سُمِّيَتْ الْمُعَلَّقات؛ لِأَنَّهَا تَعَلَّقُ بِالْقُلُوبِ وَالْأَذْهَانِ لِحُجُودِهَا وَقُوَّةِ أَسْلُوبِهَا، وَمَتَانَةِ سَبْكِهَا.

لَوْلَمْ يَكُنْ فِيهِ بَيَانُ آيَةٍ ٢١٥ مَا فَسَّرَتْ مَسَائِلُ ابْنِ الْأَرَزَقِ

مِنْ فَضْلِ الشَّعْرِ أَنَّهُ يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى تَفْسِيرِ كَلَامِ اللَّهِ، وَبَيَانِ مَعَانِيهِ، وَقَدْ سَأَلَ عُمَرُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ أَصْحَابَهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: ٤٧] مَا

التخوف؟

فقال رجل من هذيل: التَّخَوُّفُ: التَّنْقُصُ. قال: أَوَتَعْرِفُ ذلك العرب؟ قال: نعم، قال شاعرنا أبو كبير الهذلي:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِغًا قَرْدًا كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفْنُ

ومعنى (تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا): تَنَقَّصَ الرَّحْلُ مِنَ الناقة.

فقال عمر - رضي الله عنه - عند ذلك: "عليكم بديوانكم لا تضلوا" قالوا: وما ديواننا؟ قال: "شعرُ الجاهلية، فإن فيه تفسيرَ كتابكم ومعانيَ كلامكم".

وقد قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: "إذا قرأتم شيئاً من كلام الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب؛ فإن الشعرَ ديوانُ العرب".

وشاهدُ هذا: خبرُ مسائلِ نافعِ بنِ الأزرقِ الذي أشار إليه الناظم؛ فإنه بينما ابنُ عباسٍ - رضي الله عنهما - في فناء الكعبة قد اُكْتَفَفَهُ النَّاسُ يسألونه عن تفسير القرآن، قال نافع بن الأزرق لصاحبه نجدة الحروري وهما من كبار الخوارج: "قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به فلنسأله، فقاما إليه فقالا له: إنا نريد أن نسألك عن أشياء في كتاب الله فتفسرها لنا، وتأتينا بما صدَّقَه من كلام العرب، فقال ابن عباس: "سلاني عما بدا لكما". فسألاه مسائل، فكان كلما أجاب ابن عباس - رضي الله عنهما - سأله نافع: وهل تعرفُ ذلك العرب؟ فيُخبره ابن عباس - رضي الله عنهما - بما يشهدُ لذلك من كلام العرب.

من ذلك أنه قال: أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]، ما الوسيلة؟ قال: الوسيلة الحاجة، قال نافع: وهل تعرفُ العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول عنتره:

إِنَّ الرَّجَالَ لَهُمْ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ أَنْ يَأْخُذُوكَ تَكْحَلِي وَتَخْضَبِي

قال: أخبرني عن قوله تعالى ﴿فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا﴾ [القارعة:٤] قال: النقع: ما يَسْطَعُ مِنْ حوافِرِ الخيل، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول حسان:

عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُشِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ [الأنبياء:١١٩] قال: لا تَعْرِقُ فيها من شدة حر الشمس، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشاعر:

رَأَتْ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيُضْحَى وَأَمَّا بِالْعِشِيِّ فَيُخْصَرُ

في مسائل كثيرة ذكرها السيوطي في الإتيقان، فالعلم بالشعر يُعِينُ على فهم القرآن كما قال: لَوْلَمْ يَكُنْ فِيهِ بَيَانُ آيَةٍ ٢١٥ مَا فَسَّرَتْ مَسَائِلُ ابْنِ الْأَزْرَقِ

ثم قال:

مَا هُوَ إِلَّا كَالْكِتَابَةِ وَمَا ٢١٦ فَضْلُهُمَا إِلَّا كَشَمْسِ الْأُفُقِ
وَأِنَّمَا نُزُّهُ عَنْهُمَا النَّبِيُّ ٢١٧ لِيُذْرَكَ الْإِعْجَازُ بِالتَّحْقِيقِ

(مَا هُوَ) أي الشعر (إِلَّا كَالْكِتَابَةِ) أي في الفضل (وَمَا فَضْلُهُمَا إِلَّا كَشَمْسِ الْأُفُقِ) لا يخفى فضلها على أحد.

(وَأِنَّمَا نُزُّهُ عَنْهُمَا النَّبِيُّ) نُزُّهُ - صلى الله عليه وسلم - عن الشعر في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يس:٦٩].

وَنُزُّهُ عَنِ الْكِتَابَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ﴾ هذه القراءة ﴿وَلَا تَخْطُهُ بِإِمِينِكَ﴾ هذه الكتابة ﴿إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت:٤٨] أي لو كنت تقرأ أو تكتب لشك المبطلون في نبوتك، وتذرعوا بأنك تأخذ من الكتب السالفة، فهذا القرآن العظيم الذي هو أعلى درجات البلاغة جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - مع أنه لا يقرأ ولا يكتب ولا يقول الشعر، والله - سبحانه وتعالى - نفى الشاعرية عن النبي - صلى الله عليه وسلم -

(لِيُذْرَكَ الْإِعْجَازُ بِالتَّحَقُّقِ) أي لئلا تدخل الشُّبْهَة على مَنْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ فَيُظَنَّ أَنَّهُ قَوِيٌّ عَلَى الْإِتْيَانِ بِالْقُرْآنِ بما في طَبْعِهِ من القوة على الشعر، كما نفى الله تعالى عن نبيه القراءة والكتابة؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَبْلَغَ فِي قَطْعِ حُجَّةِ الْمُبْطِلِينَ، وَأَدَلَّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ لَوْ جَاءَ مِمَّنْ يَقْرَأُ وَيَكْتُبُ لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ؛ فَقَالُوا: لَعَلَّهُ تَعَلَّمَهُ، لَعَلَّهُ كَتَبَ بِيَدِهِ.

فَهُمْ بِهِ فَإِنَّهُ لَا شَكَّ عَنْهُ ٢١٨ — وَأَنَّ الْحِجَا وَالْفَضْلَ وَالتَّحَذُّقَ

(فَهُمْ بِهِ) يُقَالُ: هَامَ بِالشَّيْءِ يَهِيْمُ إِذَا أَحَبَّهُ، وَمُرَادُهُ أَقْبَلَ عَلَى الشَّعْرِ وَاعْكُفَ عَلَيْهِ (فَإِنَّهُ لَا شَكَّ عَنْهُ) الْحِجَا: الْعَقْلُ (وَالْفَضْلُ وَالتَّحَذُّقُ) التَّحَذُّقُ: إِظْهَارُ الْحَذَقِ.

وَهُوَ إِكْسِيرٌ وَتَذْبِيرٌ لِمَنْ ٢١٩ رَامَ أَصْطِيَادَ وَرَقٍ بِوَرَقٍ

الْإِكْسِيرُ: حَجَرٌ يَزْعُمُ الْفَلَّاسِفَةُ أَنَّهُ يَقْلِبُ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ، وَعَمَلِيَّةُ الْقَلْبِ وَالتَّحْوِيلِ هَذِهِ تُسَمَّى عِنْدَهُمُ التَّذْبِيرُ؛ لِذَا قَالَ: (وَهُوَ إِكْسِيرٌ وَتَذْبِيرٌ لِمَنْ رَامَ) أَي قَصَدَ (أَصْطِيَادَ) أَي أَخَذَ (وَرَقٍ) الْوَرَقُ بِكسر الراء: الْفِصَّةُ، وَتُسَكَّنُ أَيْضًا فَيُقَالُ: وَرَقٌ، وَقَدْ قُرِئَ بِهِمَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ [الكهف: ١٩].

(بِوَرَقٍ) الْوَرَقُ بِفَتْحِ الراء: الْقِرَاطُ الْمَعْرُوفُ.

مِنْ غَيْرِ تَقْطِيرٍ وَتَضْعِيدٍ وَتَكْ ٢٢٠ لَيْسَ وَتَرْطِيبٍ وَقَتْلٍ زُبْقٍ

هَذِهِ الْأَرْبَعَةُ مِنَ الْأَصْطِلَاحَاتِ الَّتِي يَسْتَعْمَلُهَا أَرْبَابُ الصَّنَاعَةِ فِيمَا يَزْعُمُونَ مِنْ تَحْضِيرِ الْمَعْدَنِ الْكَرِيمِ.

وَقَتْلُ الزُّبْقِ: صَهْرُهُ بِالنَّارِ حَتَّى يَكُونَ صَالِحًا لِتَصْنِيفِ الْمَعَادِنِ.

وَكُنْ لَهُ رَاوِيَةً كَالْأَصْمَعِيِّ ٢٢١ وَالْجَهْلُ أَوْلَى بِالَّذِي لَمْ يَصْدُقِ

(وَكُنْ لَهُ رَاوِيَةً) الرَّاوِيَةُ: الَّذِي يَتَّبِعُ الشَّاعِرَ فَيُرْوِي عَنْهُ مَا يَقُولُ مِنَ الشَّعْرِ، وَكَانَ لِكُلِّ

شاعرٍ راوية.

(كَالْأَصْمَعِيِّ) عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ قُرَيْبٍ الراوية الثقة المشهور.

يقول: كن راويةً للشعر كالأصمعي.

قال الأصمعي: أحفظُ اثني عشر ألف أرجوزة! فقال له رجل: منها البيت والبيتان؟ قال:

ومنها المِئَةُ والمِئَتَان!

وقد قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: عجائب الدنيا معروفة معدودة، منها: الأصمعي!

(وَالْجَهْلُ أَوْلَى بِالَّذِي لَمْ يَصْدُقْ) من لم يكن صادقاً فالجهل أولى به من العلم.

وَلَكَ فِيمَنْ كَانَ مِثْلَ الْأُمَوِيِّ — ٢٢٢ — فِي أَسْوَةٍ بِهَا اقْتَدَى كُلُّ تَقِي

(وَلَكَ فِيمَنْ كَانَ مِثْلَ الْأُمَوِيِّ) أو الأموي بضم الهمزة وفتحها، والضم هو القياس؛ لأنها

نسبة إلى أُمَيَّة بضم الهمزة، والفتحُ في النسبة مسموع (أُسْوَةٌ) أي قدوة.

يَقْصِدُ بِالْأُمَوِيِّ: عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ، والذي اقتدى به هو المأمون.

يُشِيرُ إِلَى قصة الرشيد مع ولديه: الأمين والمأمون، وقد أراد أن يختبرهما ليعلم من

الأصلحُ منهما فَيَعْهَدُ إليه بالأمر بعده، فاخترهما وهما صبيان فأغرى بينهما، فأسرع الأمين

إلى المأمون فكان المأمونُ أحلمَهما، ثم إنه أمرهما أن يتصارعا، فوثب الأمين وسكن

المأمون، فقال له الرشيد: ما لك لا تقوم يا عبدالله! أَخَفَّتَ ابْنَ الْهَاشِمِيَّةِ؟ أما إنه لَا يَدُّ! فقال

المأمون: هو على ما ذكر أمير المؤمنين، ولكنني لم أخفه؛ وإنما قبض يدي عنه الذي قبض

لساني. فقال له الرشيد: وما الذي قبض يدك ولسانك؟ فقال: قول الأموي يعني عبد الملك

بن مروان لبيته:

عِنْدَ الْأَبَاعِدِ وَالْحُضُورِ الشُّهَدَ

انْفُوا الضَّغَائِنَ بَيْنَكُمْ وَتَوَاصَلُوا

لِمَسْوَدٍ مِنْكُمْ وَغَيْرِ مَسْوَدٍ

حَتَّى تَلِينَ جُلُودَكُمْ وَقُلُوبَكُمْ

بِالْكَسْرِ ذُو حَنْقٍ وَبَطْشٍ أَيْدٍ
فَالْوَهْنُ وَالتَّكْسِيرُ لِلْمُتَبَدِّدِ

إِنَّ الْقِدَاحَ إِذَا اجْتَمَعْنَ فَرَامَهَا
عَزَّتْ فَلَمْ تُكْسَرْ وَإِنْ هِيَ بُدِّدَتْ

هَذَا هُوَ الْمَجْدُ الْأَصِيلُ فَاتَّبِعْ ٢٢٣ سَبِيلَهُ عَلَى الْجَمِيعِ تَرْتَقِي

يقول: هذا الذي ذكرته لك من النُّصَحِ هو الذي يصل بك إلى المجد الأصيل، فإذا استمعت إلى النُّصَحِ وعملت به كانت لك الرِّفْعَةُ على الجميع.

وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ شَاعِرًا ٢٢٤ فَحَلَّا فَكُنْ مِثْلَ أَبِي الشَّمَقْمَقِ

(مِثْلَ أَبِي الشَّمَقْمَقِ) أَبُو الشَّمَقْمَقِ: هو مروان بن مُحَمَّدٍ الكوفيُّ الشاعِرُ المشهور، كان أديبًا ظريفًا، وكان هَجَاءً كثيرَ الهزل في شعره.

مَا خِلْتُ فِي الْعَصْرِ لَهُ مِنْ مَثَلٍ ٢٢٥ سِوَى أَبِي فِي مَغْرِبٍ وَمَشْرِقٍ

(مَا خِلْتُ فِي الْعَصْرِ لَهُ مِنْ مَثَلٍ) مَا ظَنَنْتُ فِي عَصْرِي لَهُ مِمَّنْ يُشَبِّهُهُ (سِوَى أَبِي فِي مَغْرِبٍ وَمَشْرِقٍ).

لِذَاكَ كَنَاهُ بِهِ سَيِّدُنَا السُّلْطَانُ عِزُّ الدِّينِ تَاجُ الْمَفْرِقِ ٢٢٦

أطلق سُلْطَانُ الْمَغْرِبِ على والد الناظم كُنْيَةَ أَبِي الشَّمَقْمَقِ، لذا قيل للناظم: ابن أبي الشَّمَقْمَقِ، وإلا فأبو الشَّمَقْمَقِ هو الشاعر الكوفي في آخر زمن الخلافة الأموية وأول العباسية. وكان والد الناظم من الأدباء الظُّرَفَاءِ، وكان صاحبَ فُكَاهَةٍ وَظَرْفٍ وَلُطْفٍ، فأحبه السُّلْطَانُ وَقَرَّبَهُ، وكناه بأبي الشَّمَقْمَقِ؛ فاشتهر بها هو وولده، وسرى ذلك إلى قصيدته هذه فسميت بالشَّمَقْمَقِيَّةِ.

(تَاجُ الْمَفْرِقِ) الْمَفْرِقُ: موضع افتراق الشعر من الرأس.

يقول: إن السُّلْطَانُ كتاج الْمَفْرِقِ أي في الرِّفْعَةِ وَالْجَلَالِ.

مُحَمَّدٌ سَبْطُ الرَّسُولِ خَيْرُ مَنْ ٢٢٧ سَادَ بِحُسْنِ خَلْقِهِ وَالْخُلُقِ

(مُحَمَّدٌ سَبْطُ الرَّسُولِ) صلى الله عليه وسلم، السَّبْطُ: وَلَدُ الْوَلَدِ مُطْلَقًا، وَيَغْلِبُ إِطْلَاقُهُ عَلَى وَلَدِ الْبَنَتِ.

(خَيْرُ مَنْ سَادَ) أَي صَارَ سَيِّدًا.

(بِحُسْنِ خَلْقِهِ) الصفات الجسمية (وَالْخُلُقِ) الصفات النفسية.

أَعْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَنَ أَمِي — ٢٢٨ — رِ الْمُؤْمِنِينَ بَنَ الْأَمِيرِ الْمُتَّقِي

هَذَا فِيهِ مُحَسَّنٌ مِنَ الْمُحَسِّنَاتِ الْمَعْنَوِيَةِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَدِيعِ يُسَمَّى الْإِطْرَادَ، وَهُوَ: أَنْ يُؤْتَى بِاسْمِ الْمَمْدُوحِ وَغَيْرِهِ عَلَى تَرْتِيبِ الْوِلَادَةِ مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ.
قَالَ فِي الْجَوْهَرِ الْمَكْنُونِ:

وَالْإِطْرَادُ الْعَطْفُ بِالْأَبَاءِ لِلشَّخْصِ مُطْلَقًا عَلَى الْوِلَاءِ

أَي عَلَى التَّوَالِي.

وَمِنْ شَوَاهِدِهِ قَوْلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «الْكَرِيمُ بْنُ الْكَرِيمِ بْنِ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ» وَمِنْهُ قَوْلُ الْحَمَاسِيِّ:

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَّثَ عُرُوشَهُمْ بَعْتِيَّةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شَهَابِ

وَمِنْهُ قَوْلُ دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ:

قَتَلْنَا بَعْدَ اللَّهِ خَيْرَ لِدَاتِهِ ذُؤَابَ بْنَ أَسْمَاءَ بْنَ زَيْدِ بْنِ قَارِبِ

لَمَّا سَمِعَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ هَذَا الْبَيْتَ، قَالَ: لَوْلَا الْقَافِيَةُ لَبَلَغَ بِهِ آدَمُ.

وَمِنْهُ قَوْلُ صَاحِبِ نَظْمِ الْغَزَوَاتِ:

وَهُوَ إِذَا أَخَذْتَ فِي نَعَمِ النَّسَبِ عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ

خَيْرُ مُلُوكِ الْغَرْبِ مِنْ أَسْرَتِهِ ٢٢٩ وَغَيْرِهِمْ عَلَى الْعُمُومِ الْمُطْلَقِ

(مِنْ أُسْرَتِهِ) أُسْرَةُ الرَّجُلِ: رَهْطُهُ الْأَذْنُونِ.

وَدَوْحَةُ الْمَجْدِ الَّتِي أَغْصَانُهَا ٢٣٠ بِهَا الْأَرَامِلُ ذَوُو تَعَلُّقٍ

(وَدَوْحَةُ الْمَجْدِ) الدَّوْحَةُ: الشَّجَرَةُ الْعَظِيمَةُ وَاحِدَةُ الدَّوْحِ كَتَمْرَةٍ وَتَمْرِ.

قال امرؤ القيس في معلقته:

وَأَضْحَى يَسُحُّ الْمَاءَ عَنْ كُلِّ فَيْقَةٍ يَكُبُّ عَلَى الْأَذْقَانِ دَوْحَ الْكَنْهَبِلِ

(الْأَرَامِلُ) الْأَرَامِلُ: جمع أَرْمَلٍ، يقال: أَرْمَل الرجل إذا افتقر فهو مُرْمِلٌ، وقيل فيه أَرْمَل على

غير قياس. والأَرْمَلُ أيضًا: مَنْ ماتت زوجته، والأنثى أَرْمَلَةٌ.

يصف الملك بأنه أَصْلُ المجد.

لَهُ مُحْيَا ضَاءَ فِي أَوْجِ الدُّجَى ٢٣١ سَنَاهُ مِثْلُ الْقَمَرِ الْمُتَسِقِ

(لَهُ مُحْيَا) الْمُحْيَا: الوجه، من التحية؛ لأنه يُقْصَدُ بالتحية عند المواجهة.

(ضَاءَ) أي استنار، يُقال: ضَاءَ، وأضاء، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾ [البقرة: ١٧].

(فِي أَوْجِ الدُّجَى) أَوْجُ الدُّجَى: ارتفاعه وصعوده.

(سَنَاهُ) السَّنَا بالقصر: الضَّوْءُ، ومنه قوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ [الفرقان: ٤٣].

وهو بالمد: الرِّفْعَةُ.

(سَنَاهُ) فِي الْبَيْتِ: هو فاعِلُ (ضَاءَ) و(الهَاءُ) تعود على (الْمُحْيَا) أي ضَاءَ سَنَا الْمُحْيَا فِي أَوْجِ

الدُّجَى.

(مِثْلُ الْقَمَرِ الْمُتَسِقِ) الْمُتَسِقُ: المنتظم والمراد الكامل.

وَرَاخَةٌ تَغَارُ مِنْ سُيُولِهَا ٢٣٢ سُيُولٌ وَذِقٌ وَرُكَّامٌ مُطْبِقِ

(وَرَاخَةٌ) الرَّاحَةُ: بَطْنُ الْكَفِّ، أي وله راحةٌ (تَغَارُ مِنْ سُيُولِهَا) السُّيُولُ: جَمْعُ سَيْلٍ وهو الماء

السائل بكثرة، ومرادُه العطايا.

(سُيُولُ وَدَقٍ) الودُق: المطر.

(وَرُكَّامٍ) الرُّكَّامُ: السَّحاب المتراكم بعضه فوق بعض.

(مُطَبِّقٍ) المُطَبِّقُ: هو السَّاتِرُ المُعْطِي لوجه الأرض.

فَاقَ الرَّشِيدَ وَابْنَهُ بِحِلْمِهِ ٢٣٣ وَعِلْمِهِ وَرَأْيِهِ الْمُؤَفَّقِ

(فاق) أي علا (الرَّشِيدَ) هو هارون الرشيد وقد كان معروفاً بحُسنِ الرأيِ ويُمْنِ النقيبة

(وَابْنَهُ) هو المأمون الذي سبق ذكره قريباً، وقد كان معروفاً بالحلم، يقول فيه الشاعر:

صَفُوحٌ عَنِ الْإِجْرَامِ حَتَّى كَانَهُ مِنْ الْعَفْوِ لَمْ يَعْرِفْ مِنَ النَّاسِ مُجْرِمًا

وَلَيْسَ يُبَالِي أَنْ يَكُونَ بِهِ الْأَذَى إِذَا مَا الْأَذَى لَمْ يَغْشَ بِالْكَرْهِ مُسْلِمًا

وقال بعضهم فيه:

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَفَوْتَ حَتَّى كَأَنَّ النَّاسَ لَيْسَ لَهُمْ ذُنُوبٌ

وهو القائل: لقد حُبِّبَ إِلَيَّ العفو حتى خَشِيتُ ألا أُوجِرَ عليه.

وَسَادَ كَعْبًا وَابْنُ سُعْدَى وَابْنُ جُدٍّ ٢٣٤ عَانَ وَحَاتِمًا يَبْذُلُ الْوَرَقَ

(وَسَادَ كَعْبًا) هو كعب بن مامة الإيادي الذي سبق عند قول الناظم:

وَمِثْلَ جَارٍ لِأَبِي دُوَادَ لَا ١١٩ تَطْمَعُ بِهِ إِنْ لَمْ تَكُنْ بِالْأَحْمَقِ

(وَابْنُ سُعْدَى) أما ابنُ سَعْدَى فهو أَوْسُ بْنُ حَارِثَةَ بْنِ لَامِ الطائي، وهو جوادٌ مشهور،

وفيه يقول بِشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ الْأَسَدِي:

إِلَى أَوْسِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ لَامٍ لِيَقْضِيَ حَاجَتِي فِي مَنْ قَضَاهَا

فَمَا وَطِئَ الثَّرَى مِثْلُ ابْنِ سُعْدَى وَلَا لَبَسَ النَّعَالَ وَلَا اخْتَذَاهَا

ولمَّا طُلِبَ مِنَ الحُطَيْيَةِ أَنْ يَهْجُوهُ قَالَ:

كَيْفَ الْهَجَاءُ وَمَا تَنْفَكُ صَالِحَةً مِنْ آلِ لَامٍ بظَهْرِ الْغَيْبِ تَأْتِينِي

وقال جرير يمدح عمر بن عبد العزيز:

فَمَا كَعْبُ بْنُ مَامَةَ وَابْنُ سَعْدَى بِأَجْوَدَ مِنْكَ يَا عُمَرُ الْجَوَادَا

(وَابْنُ جُدْعَانَ) هو عبد الله بن جُدعان -بضم الجيم- التيمي من بني تميم رَهْطُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رضي الله عنه، شَهِدَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- حِلْفَ الْفُضُولِ في داره، وقد كان من الكرماء الأجواد، كان يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمَسَاكِينَ، وكانت له جفنة عظيمة؛ يُسْتَظَلُّ بها لِعِظَمِهَا، يَأْكُلُ منها الراكب على بعيره، وَجَعَلَ مُنَادِيًا يُنَادِي عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ، أَنْ هَلُمُّوا إِلَى جَفْنَةِ ابْنِ جُدْعَانَ، قَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ فِي ذَلِكَ:

لَهُ دَاعٍ بِمَكَّةَ مُشْمَعِلٌ وَآخِرُ فَوْقَ كَعْبَتِهَا يُنَادِي
إِلَى رُوحٍ مِنَ الشَّيْزَى مِلَاءٍ لِبَابِ الْبُرِّ يُلَبِّكُ بِالشَّهَادِ

وقد سألت عائشة - رضي الله عنها - النبي -صلى الله عليه وسلم- كما في صحيح مسلم فقالت: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمَسْكِينِ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ».

(وَحَاتِمًا) وأما حاتم الطائي فهو مَضْرِبٌ مِثْلٌ فِي الْكَرَمِ وَالْجُودِ، كَانَ يَقُولُ لَزَوْجِهِ:

إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ أَكِيلاً فَإِنِّي لَسْتُ أَكِلُهُ وَخُدِي
أَخَا طَارِقًا أَوْ جَارَ بَيْتٍ فَإِنِّي أَخَافُ مَذَمَّاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي

ولما قالت له زوجته: أَهْلَكَتَ مَالَنَا قَالَ:

وَقَائِلَةٍ أَهْلَكَتِ بِالْجُودِ مَالَنَا وَنَفْسَكَ حَتَّى ضَرَّ نَفْسَكَ جُودُهَا
فَقُلْتُ دَعِينِي إِنَّمَا تِلْكَ عَادَتِي لِكُلِّ كَرِيمٍ عَادَةٌ يَسْتَعِيدُهَا

وكان يقول:

قُدُورِي بِصُخْرَاءَ مَنْصُوبَةٌ وَمَا يَنْبَحُ الْكَلْبُ أَضْيَافِهِ

وَأِنْ لَمْ أَجِدْ لِنَزِيلِي قَرِيَّ قَطَعْتُ لَهُ بَعْضَ أَطْرَافِيهِ

يقول الناظم: إن السلطان ساد هؤلاء يقصد أنه فاق هؤلاء الأربعة في الجود.

وَلَمْ يَدْعُ مَعْنَى لِمَعْنٍ فِي النَّدَى ٢٣٥ وَلَمْ يَكُنْ كَمِثْلِهِ فِي الْخُلُقِ

(مَعْنٍ) هو معن بن زائدة الشيباني الجواد المشهور، والشجاع المذكور، وهو الذي رثاه

مروان بن أبي حفصة في قصيدته اللامية الطويلة التي منها قوله:

مَضَى لِسَبِيلِهِ مَعْنٌ وَأَبْقَى مَكَارِمَ لَنْ تَبِيدَ وَلَنْ تُنَالَا

كَأَنَّ الشَّمْسَ يَوْمَ أُصِيبَ مَعْنٌ مِنَ الْإِظْلَامِ مُلْبَسَةً جَلَالَا

أَصَابَ الْمَوْتُ حِينَ أَصَابَ مَعْنَا مِنَ الْأَحْيَاءِ أَكْرَمَهُمْ فَعَالَا

وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ لِمَعْنٍ إِلَى أَنْ زَارَ حُفْرَتَهُ عِيَالَا

أَقَمْنَا بِالْيَمَامَةِ بَعْضَ مَعْنٍ مُقَامًا لَا نُرِيدُ بِهِ زِيَالَا

وَقُلْنَا أَيَّنَ نَذْهَبُ بَعْدَ مَعْنٍ وَقَدْ ذَهَبَ النَّوَالُ فَلَا نَوَالَا

وقوله: (وَلَمْ يَدْعُ مَعْنَى لِمَعْنٍ) فيه مُحَسَّنٌ لفظي هو الجناس.

يقول: إن السلطان لم يترك مَعْنَى لِمَعْنٍ بن زائدة في الكرم.

(وَلَمْ يَكُنْ كَمِثْلِهِ فِي الْخُلُقِ) لم يوجد أحد مثله في حُسْنِ الْخُلُقِ.

مُذْ كَانَ طِفْلًا وَالسَّمَاحُ دَأْبُهُ ٢٣٦ وَغَيْرَ مَاخِذِ الثَّنَا لَمْ يَعْشَقِ

(مُذْ كَانَ) السلطان (طِفْلًا وَالسَّمَاحُ) أي الجود (دَأْبُهُ) أي عادته (وَوَغَيْرَ مَاخِذِ الثَّنَا لَمْ يَعْشَقِ)

أي لم يسلك غير السبيل التي تورثه الثناء.

نَشَأَ فِي حَجَرِ الْخِلَافَةِ وَقَدْ ٢٣٧ شَبَّ فَتًى بِغَيْرِهَا لَمْ يَعْلَقِ

(نَشَأَ فِي حَجَرِ الْخِلَافَةِ) أي تربى في كنفها وظلها (وَقَدْ شَبَّ فَتًى) أي فتى كاملاً (بِغَيْرِهَا

لَمْ يَعْلَقِ).

فَبَايَعْتُهُ النَّاسُ طُرًّا دَفْعَةً ٢٣٨ لَمْ يَكُ فِيهَا أَحَدٌ بِالْأَسْبَقِ

(فَبَايَعْتُهُ النَّاسُ) وَلَوْهُ عَلَيْهِمْ (طُرًّا) أي جميعًا (دَفْعَةً) أي في نَسَقٍ واحد (لَمْ يَكُ فِيهَا أَحَدٌ بِالْأَسْبَقِ) المقصود: أنه لم يتأخر أحدٌ عن مبايعته.

وَأُعْطِيَتْ قَوْسُ الْعُلَامَنِ قَدْ بَرَى ٢٣٩ أَعْوَادَهَا رِعَايَةً لِلْأَلْيَقِ

(بَرَى أَعْوَادَهَا) يُقَالُ: بَرَى الْأَعْوَادَ إِذَا نَحَتْهَا.

يُقَالُ: أَعْطَى الْقَوْسَ بَارِيَهَا - هَكَذَا بِسُكُونِ الْيَاءِ؛ لِأَنَّ الْأَمْثَالَ لَا تُغَيَّرُ - أي استعمل على عَمَلِكَ أَهْلَ الْمَعْرِفَةِ وَالْحَذَقِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

يَا بَارِي الْقَوْسِ بَرِيًّا لَيْسَ يُحْسِنُهُ لَا تَظْلِمِ الْقَوْسَ أَعْطِ الْقَوْسَ بَارِيَهَا

يَصِفُ السُّلْطَانَ بِأَنَّهُ أَهْلٌ لِلْخَلَافَةِ.

فَصَارَ فِيءُ الْعَدْلِ فِي زَمَانِهِ ٢٤٠ مُنْتَشِرًا مِثْلَ انْتِشَارِ الشَّرْقِ

(فِيءُ الْعَدْلِ) الْفَيْءُ: الظِّلُّ بَعْدَ الزَّوَالِ.

(مُنْتَشِرًا) أي مُمْتَدًّا.

يَصِفُ السُّلْطَانَ بِالْعَدْلِ.

وَشَادَ رُكْنَ الدِّينِ بِالسَّيْفِ وَقَدْ ٢٤١ حَازَ بِتَقْوَاهُ رِضَى الْمُؤَفَّقِ

(وَشَادَ رُكْنَ الدِّينِ) أي رَفَعَهُ وَأَعْلَاهُ.

(حَازَ) أي حَصَلَ وَحَوَى.

(رِضَى الْمُؤَفَّقِ) وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَقَدْ رَقَى فِي مُلْكِهِ مَعَارِجًا ٢٤٢ لَمْ يَكُ غَيْرُهُ إِلَيْهَا يَرْتَقِي

(رَقَى) أي عَلَا (مَعَارِجًا) أي مَرَاتِبَ عَالِيَةٍ.

وَرَدَّ أَرْوَاحَ الْمَكَارِمِ إِلَى ٢٤٣ أَجْسَادِهَا بَعْدَ ذَهَابِ الرَّمَقِ

الرَّمَقُ: بَقِيَّةُ الرُّوحِ.

وَالسَّعْدُ قَدْ أَلْقَى عَصَا تَسْيَارِهِ ٢٤٤ بِقَضْرِهِ وَخَصَّصَهُ بِمَعَشَقِ

هذه كناية عن إقامة السَّعْدِ لَدَيْهِ، وَالْمَعَشَقُ: مَصْدَرٌ مِمِّيٌّ مِنَ الْعِشْقِ.

يَا مَلِكًا أَلْوِيَّةُ النَّصْرِ عَلَى ٢٤٥ نَظِيرِهِ فِي غَرْبِنَا لَمْ تَخْفِقِ

(أَلْوِيَّةُ النَّصْرِ) أَعْلَامُهُ.

(لَمْ تَخْفِقِ) أَي لَمْ تَضْطَرْبِ.

طَابَ الْمَدِيحُ فِيكُمْ وَازْدَانَ لِي ٢٤٦ وَجَاشَ صَدْرِي بِالْفَرِيدِ الْمُونِقِ

(جَاشَ) أَي فَاضَ.

(الْفَرِيدُ) الدُّرُّ الْمَنْظُومُ أَوْ كِبَارُهُ.

(الْمُونِقِ) الْمُعْجَبِ.

لَوْلَاكَ كُنْتُ لِلْقَرِيضِ تَارِكًا ٢٤٧ لِعَدَمِ الْبَاعِثِ وَالْمُشَوِّقِ

(لِلْقَرِيضِ) الْقَرِيضُ: الشُّعْرُ.

(لِعَدَمِ الْبَاعِثِ وَالْمُشَوِّقِ) الْبَاعِثُ: السَّبَبُ الْحَامِلُ عَلَى فِعْلِ الشَّيْءِ، وَالْمُشَوِّقُ: الْمُغْرِي

وَالْمُمِيلُ.

تَرَكَ الْغَزَالَ ظِلَّهُ وَوَاصِلِ ٢٤٨ لِلرَّاءِ وَابْنِ تَوْلَبٍ لِلْمَلِكِ

(تَرَكَ الْغَزَالَ ظِلَّهُ) الظِّلُّ هُنَا: الْكُنَاسُ الَّذِي يَسْتَظِلُّ بِهِ الْغَزَالُ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ، فَيَأْتِيهِ الصَّائِدُ

فِيُثِيرُهُ فَلَا يَعُودُ إِلَيْهِ، فَالظَّبِّي إِذَا تَرَكَ كُنَاسَهُ لَا يَعُودُ إِلَيْهِ أَبَدًا، يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ لِمَنْ نَفَرَ مِنْ شَيْءٍ فَتَرَكَهُ تَرْكًا لَا يَعُودُ إِلَيْهِ.

يقول: لَوْلَاكَ لَتَرَكْتُ الشُّعْرَ كَتَرَكَ الْغَزَالُ ظِلَّهُ.

(وَوَاصِلِ لِلرَّاءِ) هُوَ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ، وَهُوَ شَيْخُ الْمُعْتَزَلَةِ وَخَطِيبُهُمْ، وَكَانَ يَلْتَحِقُ بِالرَّاءِ

فِيَجْعَلُهَا غِنَاءً، فَكَانَ لِبَلَاجَتِهِ وَاقْتِدَارِهِ عَنِ تَصْرِيفِ الْكَلَامِ وَتَمَكُّنِهِ مِنْ نَاصِيَةِ اللُّغَةِ يُخَلِّصُ
كَلَامَهُ مِنَ الرَّاءِ وَلَا يُفْطِنُ لَذَلِكَ حَتَّى ضُرِبَ الْمَثَلُ بِتَرْكِهِ الرَّاءِ، وَقَدْ قَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ:

عَلِيمٌ بِإِدَالِ الْحُرُوفِ وَقَامِعٌ لِكُلِّ خَطِيبٍ يَغْلِبُ الْحَقَّ بَاطِلُهُ

(وَابْنُ تَوَلِّبٍ لِلْمَلِكِ) ابْنُ تَوَلِّبٍ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عُكْلٍ قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ- مُسْلِمًا، وَكَانَ قَدْ تَرَكَ الْمَدْحَ وَالْهَجَاءَ تَرْفُعًا، كَمَا قَالَ: (لِلْمَلِكِ) الْمَلِكُ: الْوُدُّ وَاللُّطْفُ،
وَرَجُلٌ مَلِكٌ يُعْطَى بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ.

وَكُنْتُ فِي تَرْكِى لَهُ كَابِنِ أَبِي ٢٤٩ رَبِيعَةَ النَّاذِرِ عَثَقَ الْهُبْنُ

الْهُبْنُ: الْغَلَامُ.

وَابْنُ أَبِي رَبِيعَةَ: هُوَ عُمَرُ الَّذِي سَبَقَ فِي قَوْلِهِ:

وَاتَّخِذِ الصَّبْرَ دِلَاصًا سَابِغًا ١٧٢ وَبِمَجْنٍ عُمَرُ لَا تَتَّقِ

وَكَانَ قَدْ تَنَسَّكَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ، وَتَرَكَ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْغَزْلِ وَالشُّعْرِ، وَنَذَرَ أَنَّهُ لَا يَقُولُ بَيْتًا
مِنَ الشُّعْرِ إِلَّا أَعْتَقَ رَقَبَةً.

وَمَذِبَكَ الرَّحْمَنُ مَنْ لَمْ يَزَلْ ٢٥٠ فِكْرِي فِي بَحْرِ الشَّنَاذَا غَرَقِ

لَا زِلْتَ بَدْرًا فِي بُرُوجِ الشُّعْرِ تَنْ ٢٥١ سَخُ بُنُورِكَ ظَلَامَ الْغَسَقِ

(مَنْ) أَنْعَمَ.

(لَا زِلْتَ بَدْرًا) أَبْقَاكَ اللَّهُ بَدْرًا.

(فِي بُرُوجِ الشُّعْرِ) الْبُرُوجُ: جَمْعُ بُرْجٍ، وَالْمَقْصُودُ بِالْبُرُوجِ: مَنَازِلُ الْكَوَاكِبِ فِي السَّمَاءِ.

(تَنْسَخُ) أَيِ تَمْحُو وَتُزِيلُ.

(بُنُورِكَ ظَلَامَ الْغَسَقِ) الْغَسَقُ: أَوَّلُ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ.

وَلَا بَرَحْتَ بِالْأَمَانِي ظَافِرًا ٢٥٢ وَمُذِرْكَ لِمَا تَشَامِنُ أَنْقِ

(وَلَا بَرَحْتَ بِالْأَمَانِي ظَافِرًا) أي لا زِلْتَ فائزًا بما تتمناه.

(وَمُذِرًا كَالِمَا تَشَا مِنْ أَنْقِ) الأَنْقُ: السُّرُورُ والْفَرَحُ.

بِسُورَةِ الْفَتْحِ وَطَهُ وَالضُّحَى ٢٥٣ وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ وَآيِ الْفَلَقِ

إِلَيْكَهَا أَرْجُوزَةً حُسَّانَةً ٢٥٤ لِمِثْلِهَا ذُو أَدَبٍ لَمْ يَسْبِقِ

(إِلَيْكَهَا) اسم فعل أمر بمعنى خُذْ.

(أَرْجُوزَةً) منظومةٌ على بحر الرجز.

(حُسَّانَةً) أَبْلَغُ مِنْ حَسَنَةٍ.

(لِمِثْلِهَا ذُو أَدَبٍ لَمْ يَسْبِقِ) ما سبقني إليها أديب.

كَانَتْهَا أَسْلَاكُ دُرٍّ وَيَـوَا ٢٥٥ قِيَتْ تُضِي كَالْبَارِقِ الْمُؤْتَلِقِ

(كَانَتْهَا أَسْلَاكُ دُرٍّ) أَسْلَاكُ الدُّرِّ: خيوطه.

(وَيَـوَا قِيَتْ تُضِي كَالْبَارِقِ الْمُؤْتَلِقِ) كالبرق اللامع في سرعة.

أَعَزُّ مِنْ بَيضِ الْأَنْثُوقِ وَمِنْ أَلِ ٢٥٦ عَنَقَاءُ وَمِنْ فَحْلِ عَقُوقٍ أَبْلَقِ

(أَعَزُّ مِنْ بَيضِ الْأَنْثُوقِ) الْأَنْثُوقُ: الرَّخْمَةُ، وهي لا تَبْيِضُ إِلَّا فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ وَالْأَمَاكِنِ

الْمَمْتَنَةِ كَصَدُوعِ الصَّخْرِ بَحِثْ لَا يَصِلُ إِلَى بَيضِهَا آدَمِيٌّ وَلَا سَبْعٌ، لَذَا ضَرَبَ بَبِيضِهَا الْمَثَلُ فِي الْعِزَّةِ، يَقُولُونَ: أَعَزُّ مِنْ بَيضِ الْأَنْثُوقِ.

قال: (وَمِنْ الْعَنَقَاءِ) الْعَنَقَاءُ: طائرٌ معروف الاسم مجهول الجسم، يقولون: أَعَزُّ مِنْ

الْعَنَقَاءِ يُرِيدُونَ أَنَّهَا يُسْمَعُ عَنْهَا وَلَا تُرَى.

(وَمِنْ فَحْلِ عَقُوقٍ أَبْلَقِ) يقولون: أَعَزُّ مِنْ الْأَبْلَقِ الْعَقُوقِ؛ لِأَنَّ الْأَبْلَقَ مِنْ صِفَاتِ الْفَرَسِ

الذَّكَرِ، وَالْعَقُوقُ مِنْ صِفَاتِ الْأُنْثَى؛ لِأَنَّ مَعْنَاهُ الْحَامِلُ، وَالذَّكَرُ لَا يَكُونُ حَامِلًا.

يُروى أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ طَلَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ حَاجَةً فَأَبَى، وَسَأَلَهُ أُخْرَى فَتَمَثَّلَ مُعَاوِيَةَ

-رضي الله عنه- بقول القائل:

طَلَبَ الْأَبْلَقَ الْعُقُوقَ فَلَمَّا لَمْ يَجِدْهُ أَرَادَ بَيْضَ الْأُنُوقِ

مَا رَوْضَةٌ فَيَنَانَةٌ غَنَاءٌ قَدْ ٢٥٧ جَادَتْ لَهَا الشُّحْبُ بِمَاءٍ غَدَقِ

(مَا رَوْضَةٌ) الرِّوَضَةُ: المَوْضِعُ الْمُعْجَبُ بالزهور.

(فَيَنَانَةٌ) الفَيَنَانَةُ: كثيرةُ الأفنان أي الأغصان.

(غَنَاءٌ) الغَنَاءُ: كثيرةُ الشَّجَرِ والعُشْبِ.

(قَدْ جَادَتْ لَهَا الشُّحْبُ بِمَاءٍ غَدَقِ) الغَدَقُ: الكثير، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْوِ اسْتَقَامُوا

عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦].

فَابْتَسَمَتْ أَغْصَانُهَا عَنْ أْبْيَضٍ ٢٥٨ وَأَحْمَرٍ وَأَصْفَرٍ وَأَزْرَقِ

(ابتسمت) كنايةٌ عن الإبانة، أي أبانت عن أنواع النبات الأبيض، والأحمر، والأصفر،

والأزرق.

يَوْمًا بِأَبْهَى لِلْعُيُونِ مَنْظَرًا ٢٥٩ مِنْهَا وَلَا كَلَفْظَهَا الْمُرُونَقِ

(يَوْمًا بِأَبْهَى) أي أجمل، والشَّيْءُ الْبَهِيُّ: الذي يملأ العينَ حُسْنُهُ.

يقول: ليست تلك الروضة التي وَصَفَهَا بأجملٍ من قصيدته.

مَا لِحَرِيرٍ وَجَمِيلٍ مِثْلَهَا ٢٦٠ فِي غَزَلٍ وَفِي نَسِيبٍ مُونَقِ

(مَا لِحَرِيرٍ) هو جريرُ بنُ عطيةَ بنِ الخطفي، الشاعرُ الأمويُّ المشهور.

(وَجَمِيلٍ) هو جميلُ بنُ عبد الله بنِ معمرِ العُدْريِّ، مِنْ شُعْرَاءِ الْغَزَلِ فِي الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ،

وهو في البادية نظيرُ عمرَ بنِ أبي ربيعةَ في الحاضرة.

(مُونَقٍ) أي مُعْجَبٍ.

فَلَوْ رَأَاهَا الْأَصْمَعِيُّ خَطَّهَا ٢٦١ كَيَّ يَسْتَفِيدُ بِسَوَادِ الْحَدَقِ

(فَلَوْ رَأَاهَا الْأَصْمَعِيُّ) سبق ذكر الأصمعي قريباً.

(خَطَّهَا) كتبها.

(كَيْ يَسْتَفِيدَ بِسَوَادِ الْحَدَقِ) لو رآها لكتبها بسوادِ حَدَقِهِ ليستفيد.

أَوْ فَتَحَ الْفَتْحَ عَلَيْهَا طَرْفَهُ ٢٦٢ سَامَ قَلَائِدَهُ بِالتَّمَزُّقِ

(الْفَتْحُ) هو الفَتْحُ بن خاقان الأديبُ صاحبُ قلائدِ العقيان.

(سَامَ قَلَائِدَهُ بِالتَّمَزُّقِ) لو رأى قصيدته هذه لَمَزَّقَ كتابه.

أَوْ وَصَلَتْ لِلْمَوْصِلِي فِيمَا مَضَى ٢٦٣ عِنْدَ الْغِنَا بِغَيْرِهَا لَمْ يَنْطِقِ

(أَوْ وَصَلَتْ لِلْمَوْصِلِي فِيمَا مَضَى) المَوْصِلِيُّ: هو إسحاقُ بنُ إبراهيمِ المَوْصِلِيُّ المَغْنِي،

كان مِنْ نُدَمَاءِ الْخُلَفَاءِ مِنْ بني العباس.

أَوْ ابْنُ بَسَّامٍ رَأَاهَا تَلَدَا ٢٦٤ رَكَ الذَّخِيرَةَ بِهَا عَنْ قَلَقِ

(ابْنُ بَسَّامٍ) هو الأديب أبو الحسن عليُّ بن بَسَّامِ الأندلسي، صاحب الذخيرة في محاسن

أهل الجزيرة، يقول: لو رأى ابْنُ بَسَّامٍ قصيدته هذه لألحقها بكتابه الذخيرة (عَنْ قَلَقِ) أي

بسرعة.

وَلَا أَدِيبٌ مِنْ قُرَى أُنْدَلُسٍ ٢٦٥ جَرَتْ بِهَا أَقْلَامُهُ فِي مُهْرَقِ

(فِي مُهْرَقِ) المُهْرَقُ: الصحيفة.

مَنْ كَانَ يَرْجُو مِنْ سِوَايَ مِثْلَهَا ٢٦٦ رَجَا مِنَ الْقُرْبَةِ رَشَحَ الْعَرَقِ

يُقال في أمثال العرب: "لَقِيتُ مِنْ فُلَانٍ عَرَقَ الْقُرْبَةِ" أي لَقِيتُ مِنْهُ شِدَّةً وَمَشَقَّةً، وأصله:

أَنَّ حَامِلَ الْقُرْبَةِ يَتَعَبُ فِي حَمْلِهَا وَثِقَلِهَا حَتَّى يَعْرِقَ جَبِينَهُ، فَاسْتَعِيرَ عَرَقُهُ فِي مَوْضِعِ الشِّدَّةِ

والتعب.

حَصَّنْتُهَا بِسُورَةِ النَّجْمِ إِذَا ٢٦٧ هَوَى مِنَ الْمُتَحِلِّ الْمُسْتَرَقِ

(الْمُتَحِل) مَنْ يَدَّعِي مَا لَيْسَ لَهُ.

(الْمُسْتَرْق) السَّارِق.

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَيَّرَهَا ٢٦٨ إِنْ مَدَّ عَيْنٍ مُنْصِفٍ مُوَفَّقٍ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَهَا ٢٦٩ قَدْ دَى بَعَيْنِ الْحَاسِدِ الْحَفَلَّقِ

(الْقَدَى) مَا يَقَعُ فِي الْعَيْنِ أَوْ الشَّرَابِ مِنَ الْوَسَخِ.

(الْحَفَلَّقِ) الضَّعِيفُ الْأَحْمَقُ.

ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا تَغْنَى ٢٧٠ نَتُّ أُمِّ مَهْدِيٍّ بِرَوْضٍ مُورِقِ

(أُمِّ مَهْدِيٍّ) عَلَمٌ جِنْسٍ لِلْحَمَامَةِ.

(بِرَوْضٍ) الرَّوْضُ: وَاحِدَتُهُ رَوْضَةٌ وَهِيَ الْمَوْضِعُ الْمُعْجَبُ بِالزُّهْرِ.

(مُورِقِ) اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ أَوْرَقَ، يُقَالُ: أَوْرَقَ الشَّجَرُ إِذَا أَخْرَجَ وَرَقَهُ.

عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ ٢٧١ وَتَابِعِيهِمْ مَنْ مَضَى وَمَنْ بَقِيَ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

